(٥) أحمر أسود

تفسير سورة الأحزاب

قال الله تعالى:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢
وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ
وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ
ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدۡعُوهُمۡ
لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ
وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ
وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ
إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦
وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ
وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ
عَذَابًا أَلِيمٗا ٨﴾ [الأحزاب: ١-٨].

(٦) أحمر أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ - وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ - وَكِيلٗا - تُظَٰهِرُونَ - يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ - ٱدۡعُوهُمۡ
لِأٓبَآئِهِمۡ - أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ - وَمَوَٰلِيكُمۡۚ - جُنَاحٞ - أَوۡلَىٰ - وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ - كِتَٰبِ
ٱللَّهِ - أَوۡلِيَآئِكُم - مَسۡطُورٗا - مِيثَٰقَهُمۡ - مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾	اجعل بينك وبين عذاب الله وغضبه وقاية (بطاعته واجتناب معصيته)
﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾	اعتمد على الله – فوِّض أمرك إلى الله
﴿وَكِيلٗا﴾	من يقض الأمور ويتولاها
﴿تُظَٰهِرُونَ﴾	تقولون إنهن عليكم محرمًا كظهور أمهاتكم
﴿يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾	يرشد إلى الحق والصواب ويوفق له
﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾	انسبوهم لآبائهم الحقيقيين
﴿أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾	أعدل عند الله
﴿وَمَوَٰلِيكُمۡۚ﴾	المولى هو العبد المعتق يكون مولى لمن أعتقه[1]
﴿جُنَاحٞ﴾	إثم
﴿أَوۡلَىٰ﴾	أحق
﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾	الأقارب
﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	حكم الله – القرآن – اللوح المحفوظ

(١) فإذا مات وله تركة وليس له وارث ورثه من أعتقه.

(٧) **أحمر** أسود

﴿أَوْلِيَآئِكُم﴾	حلفائكم – أنصاركم – أصحاب المؤاخاة
﴿مَسْطُورًا﴾	مكتوبًا
﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾	عهدهم
﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾	عهدًا مؤكدًا (باليمين)



س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق زِرٍّ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً. فَقَالَ: قَطُّ! لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ «سُورَةَ الْبَقَرَةِ»، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»[(١)]؟

ج: هذا الحديث إسناده حسن.

وقد حسنه الحافظ ابن كثير فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا إسناد حسن، وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضًا، والله أعلم.

وقال القرطبي بعد إيراده هذا الحديث:

أراد أُبيّ أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن. وأما ما يحكى من أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض.

وقال أيضًا:

وهذا يحمله أهل العلم على أن الله تعالى رفع من الأحزاب إليه ما يزيد على ما في أيدينا، وأن آية الرجم رفع لفظها.

(١) أحمد (٥/١٣٢)، والنسائي (٧١٥٠)، وله شواهد يحسن بها، والله أعلم.

(٨) أحمر أسود

النهي عن طاعة الكفار والمنافقين

س: اذكر بعض الآيات التي وردت في النهي عن طاعة الكفار والمنافقين؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

[الأحزاب: ٤٨]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

[الكهف: ٢٨]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

[الشعراء: ١٥١-١٥٢]



س: ألم يكن النبي ﷺ أتقى الناس؟! فكيف يوجّه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فإذا كان سيد ولد آدم رسول الله ﷺ يؤمر بتقوى الله، وهو إمام المتقين، فلأن يؤمر غيره فمن باب أولى.

الثاني: أن المراد الثبات على تقوى الله ﷻ والازدياد من ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – أمرٌ من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ، وللمؤمنين بالتبع أمرٌ بتقوى الله ﷻ، وذلك أن يجعل بينه وبين عذاب الله وغضبه وقاية، تلك الوقاية تتمثل في أمور، أعظمها الشهادتان (شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) وكذا طاعة الله على العموم، واجتناب معاصيه، وإن اختلفت عبارات العلماء في ذلك إلا أنها تدور حول هذا المعنى المذكور.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقد قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله.

ثم إن الله ﷻ نهى نبيه ﷺ عن طاعة الكفار والمنافقين، وهذا من التقوى، ومن التقوى عدم طاعة الكفار والمنافقين فيما يدعون إليه من الباطل والمنكر والكفر والضلال، ثم بين الله ﷻ علمه بأهل النفاق هؤلاء حتى يطمئن رسوله ﷺ، وإن كان رسول الله ﷺ مطمئنًا لكل أمر الله ﷻ، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ كان ولا يزال عليمًا بعباده وما تنطوي عليه قلوبهم، عليمًا بأهل الكفر والنفاق، وما يريدونه منك من الإغواء والإخلال والكفر والرِّدة حكيمًا فيما يأمرك به وينهاك عنه، حكيمًا في كل شيء، ثم إن الله ﷻ لما نهى نبيه ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين، أمره باتباع الوحي القرآني المنزل عليه من عند الله، وذكَّره، وحتى يجتهد في الطاعة والعمل الصالح؛ بأنه سبحانه وتعالى خبيرٌ بعمله وعمل أهل الإيمان معه وعمل الناس كلهم على

(١٠) أحمر
أسود

العموم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ وأمره سبحانه وتعالى بالاعتماد عليه وتفويض الأمور كلها إليه فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ واعتمد على الله وفوِّض أمرك إلى الله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ ونعم الوكيل الذي وكلته في أمورك كلها فهو يكفي عن غيره في كل الأمور، والله أعلم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه، وانتهاك حدوده ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ﴾ الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالًا، فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحًا بهم، فإنهم لك أعداء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ يقول: واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه، وآي كتابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ يقول: إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا أي: ذا خبرة، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء.

وأورد بإسناد حسن: عن قَتادة ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ أي هذا القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾.

(١١) أحمر
أسود

وقال الطبري في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

يقول تعالى ذكره: وفوّض إلى الله أمرك يا محمد، وثق به ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ يقول: وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: لا تسمع منهم ولا تستشرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ أي: فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله. ولهذا قال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من قرآن وسنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ أي: فلا تخفى عليه خافية.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في جميع أمورك وأحوالك، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: وكفى به وكيلًا لمن توكل عليه وأناب إليه.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، والله أعلم.



س: ما المراد بالقلبين المنفيين بقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾؟

ج: ذهب كثير من العلماء إلى أن المراد هو المضغة التي تكون في صدر الإنسان، ويكون في الجانب الأيسر منه في غالب الأحوال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى في الآية: أنه لا يجتمع في القلب الكفر

والإيمان والهدى والضلال والإنابة والإصرار وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة أو مجاز والله أعلم.

وقال: أعلم الله ﷻ في هذه الآية أنه لا أحد بقلبين ويكون في هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم أي إنما هو قلب واحد فإما فيه إيمان وإما فيه كفر؛ لأن درجة النفاق كأنها متوسطة فنفاها الله تعالى وبين أنه قلب واحد وعلى هذا النحو يستشهد الإنسان بهذه الآية متى نسى شيئًا أو وهم يقول على جهة الاعتذار: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾.



س: هل التقييد بقوله تعالى: ﴿لِرَجُلٖ﴾ له اعتبارٌ هنا؟

ج: ذكر بعض أهل العلم أن له اعتبارٌ للاحتراز عن المرأة التي قد يكون في جوفها جنين أو أكثر وله قلب، وهذا، وإن أريد بالنفي في قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾ نفي اجتماع الإيمان والكفر فهذا يتعلق بالرجال والنساء على السواء – والله أعلم.



س: هل لقوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾ تعلق بما قبله من الآيات.

ج: الذي يظهر لي –والله أعلم-: أن هناك تعلق، حاصله كما أن الله ﷻ لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه وكما أن الإيمان لا يجتمع في قلبٍ واحد مع الكفر فكذلك لا يصلح أن تطيع الكافرين والمنافقين وأن تتبع ما يوحى إليك من ربك، فبين هذين تعارض فلذلك نهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، وأمر باتباع ما يوحى إليه من ربه ﷻ، والله أعلم.

النهي عن التبني

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – ردٌّ على أهل النفاق الذين زعموا أن رسول الله ﷺ له قلبان فقد أخرج أحمد والترمذي والطبري[١] وغيرهم من طريق زُهَيْرٌ، عَنْ قَابُوسَ – يعني: ابْنِ أَبِي ظَبْيَانَ – أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾ مَا عَنَى بِذَلِكَ؟ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا يُصَلِّي، فَخَطَرَ خَطْرَةً. فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ مَعَهُ: أَلَا تَرَوْنَ لَهُ قَلْبَيْنِ، قَلْبٌ مَعَكُمْ وَقَلْبٌ مَعَهُمْ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾.

وكذا ردٌّ على رجلٍ كان على عهد رسول الله ﷺ يدعي أن له قلبان، ويقول إن في جوفي قلبين وقد وردت بذلك عدة أسانيد مرسلة عند الطبري وغيره تصح بمجموعها، فالآية فيها ردٌّ عليه.

وكذا في الآية الكريمة إشارة إلى أنه لا يجتمع إيمان مع كفرٍ، ولا طاعة الله مع طاعة الشياطين والكفار

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق، وصفوا نبيّ الله ﷺ بأنه ذو قلبين، فنفى الله ذلك عن نبيه وكذّبهم.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: رجل من قريش كان يُدعى ذا القلبين من

(١) أحمد (٢٦٧/١)، والترمذي (٣١٩٩)، والطبري (٢٨٣١٨).

دهيه.

وقال آخرون: بل عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله ﷺ كان تبناه، فضرب الله بذلك مثلًا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي رُوي عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكذيبًا من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيبًا لمن سمى القرشيّ الذي ذُكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه، وأيّ الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة.

قلت مصطفى:

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ حاصل معناه أن الله ﷻ لم يجعل أمك هي التي جعلتها أنت لنفسك أمًّا بقولك لزوجتك (أنت عليَّ كظهر أمي) أي: أن زوجتك لا تصير أمًّا لك بقولك لها (أنت عليَّ كظهر أمي) بل هذا منكر من القول وزور ولا قيمة له ولا اعتبار.

وكما هو معلوم فإن الرجل كان يحرم امرأته على نفسه بقوله لها: (أنت عليَّ كظهر أمي) فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ ..﴾ [المجادلة: ٢].

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهنّ: أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم، بل جعل ذلك من قبلكم كذبًا، وألزمكم عقوبة لكم كفّارة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: أي ما جعلها أمك؛ فإذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفَّارة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى موطئًا قبل المقصود المعنوي أمرًا حسيًّا معروفًا، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت عَلَيَّ كظهر أمي أمًّا له، كذلك لا يصير الدَّعيّ ولدًا للرجل إذا تبنَّاه فدعاه ابنًا له، فقال: (مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ﴾، كقوله: (مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ [المجادلة:٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ أي: وما جعل الولد الذي تدعيه ولدًا لك، وليس هو في الحقيقة بابنك، ما جعله الله بمجرد دعواك ولدًا لك، بل أبوه الذي نكح أمه فولدته بذلك النكاح، وقد كان في الجاهلية يتبنون أبناء ليسوا بأبنائهم ويلحقونهم بهم وينسبونهم إليهم.

وكان هذا شائعًا فيهم كما كان يُقال سالم بن أبي حذيفة، وقيل بعد: سالم مولى أبي حذيفة، وكما كان يقال لزيد بن حارثة زيد بن محمد، وبعد قيل زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ يقول: ولم يجعل الله من ادعيت أنه ابنك، وهو ابن غيرك ابنك بدعواك.

وذكر أن ذلك نزل على رسول الله ﷺ من أجل تبنيه زيد بن حارثة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾: هذا هو المقصود بالنفي؛ فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة، وكان يقال له: «زيد بن محمد» فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ كما قال في أثناء السورة: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال هاهنا: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾ يعني: تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًّا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أجمع أهل التفسير على أن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ نزل في زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ فحاصل معناه أن دعواكم أن أزواجكم عليكم كأمهاتكم، وأن الغلام الذي تبنيتموه كأبنائكم كل ذلك لا قيمة له ولا اعتبار، إنما هي أقوال بالأفواه فقط، وليس لها من الحقيقة والصواب شيءٌ يذكر، والله هو الذي يقول الحق، فقوله حق كله وهو سبحانه يرشد إلى الطريق الأقوم والسبيل الأرشد والأمر الحق، ويوفق لكل ذلك ويبين وجوه الصواب والحق في كل وقت وحين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾ يقول تعالى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه، إنما هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له، لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته،

ولا تصير الزوجة أمًّا بقول الرجل لها: أنت عليّ كظهر أمي ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ يقول: والله هو الصادق الذي يقول الحقّ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه، وبه تكون المرأة للمولود، أمَّا إذا حكم بذلك ﴿وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ يقول تعالى ذكره: والله يبين لعباده سبيل الحقّ، ويرشدهم لطريق الرشاد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾ بأفواهكم تأكيد لبطلان القول أي أنه قول لا حقيقة له في الوجود إنما هو قول لساني فقط وهذا كما تقول : أنا أمشي إليك على قدم فإنما تريد بذلك المبرة وهذا كثير وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ الحق نعت لمصدر محذوف أي يقول القول الحق و﴿يَهۡدِي﴾ معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر.

وقال: الأدعياء جمع الدعى وهو الذي يدعي ابنًا لغير أبيه أو يدعي غير أبيه والمصدر الدعوة بالكسر فأمر تعالى بدعاء الأدعياء إلى آبائهم للصلب فمن جهل ذلك فيه ولم تشتهر أنسابهم كان مولًى وأخًا في الدين وذكر الطبري أن أبا بكرة قرأ هذه الآية وقال : أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم في الدين ومولاكم قال الراوي عنه : ولو علم والله أن أباه حمار لانتمى إليه ورجال الحديث يقولون في أبي بكرة : نفيع بن الحارث.

وقال: روى الصحيح عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة كلاهما قال: سمعته أذناي ووعاه قلبي محمدًا ﷺ يقول: «**من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**»[(١)].

وفي حديث أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه**

(١) البخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣).

(١٨) أحمر
أسود

وهو يعلمه إلا كفر»[١].



س: وضح قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– يا من نسبتم بعض الأطفال إليكم وقلتم إنهم لكم أبناء، وهم في الحقيقة ليسوا بأبناء لكم، يا هؤلاء ادعو هؤلاء الأبناء لآبائهم فقولوا فلان ابن فلان (لأبيه على الحقيقة ليس على الادعاء) فذلكم أعدل عند الله فإن لم تعلموا آباءهم، لجهلكم بآبائهم فبينكم وبينهم أخوة الدين والموالاة فليقل فلان مولى فلان، أما الذي أخطأتم فيه ولم تتعمدوا الخطأ فلا إثم عليكم فيه، ولكن الإثم يلحقكم إذا تعمدتم خلاف أمر الله ﷻ وتوبوا إلى الله مما صنعتموه واستغفروه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ كثير المغفرة ﴿رَّحِيمًا﴾ بعباده.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى ذكره: انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم، يقول لنبيه محمد ﷺ: ألحق نسب زيد بأبيه حارثة، ولا تدعه زيدا بن محمد. وقوله: ﴿هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ يقول: دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبنّاهم وادّعاهم وليسوا له بنين.

---

(١) البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١).

وقولـه: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ يقـول تعـالى ذكره: فإن أنتم أيها الناس لـم تعلمـوا آباء أدعيائكم مـن هـم فتنسبوهم إلـيهم، ولم تعرفوهم، فتلحقوهم بهـم، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يقـول: فهـم إخـوانكم في الدين، إن كانوا من أهل ملَّتكم، ومواليكم إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيكم.

وأورد بإسـناد حسـن عـن قتـادة: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي أعـدل عنـد الله ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ فـإن لـم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك.

وقال رحمه الله تعالى: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال أبو بكرة: قـال الله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ فأنا ممـن لا يُعرف أبوه، وأنا من إخوانكم في الدين، قال: قـال أبي: والله إني لأظنه لـو علـم أن أباه كـان حمَّارًا لانتمى إليه.

قلت (مصطفى): وسنده صحيح.

قـال الطبـري: وقولـه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ يقـول: ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض مـن تنسـبونه إلـى أبيـه، وأنـتم ترونـه ابـن مـن ينسـبونه إليـه، وهـو ابـن لغيـره ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يقول: ولكن الإثم والحرج عليكم في نسبتكموه إلـى غيـر أبيـه، وأنـتم تعلمونـه ابن غير من تنسبونه إليه.

وأورد الطبـري بإسـناد حسـن عـن قتـادة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ يقـول: إذا دعـوت الرجـل لغيـر أبيـه، وأنـت تـرى أنـه كـذلك ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يقول الله: لا تدعه لغير أبيه متعمدًا. أما الخطأ فلا يؤاخذكم

الله به ﴿وَلَٰكِن﴾ يؤاخذكم بـ﴿مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما» التي في قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ خفض ردًّا على «ما» التي في قوله: ﴿فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾ وذلك أن معنى الكلام: ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن فيما تعمدت قلوبكم.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥﴾ يقول الله تعالى ذكره: وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر من زوجته فقال الباطل والزور من القول، وذمّ من ادّعى ولد غيره ابنًا له، إذا تابا وراجعا أمر الله، وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه، ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط.

وأورد ابن كثير ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث عبد الله بن عمر؛ أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾. وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي، من طرق، عن موسى بن عقبة، به.

قال ابن كثير: وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك؛ ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة: يا رسول

---

(١) البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

الله، كنا ندعو سالما ابنًا، وإن الله قد أنزل ما أنزل، وإنه كان يدخل عَلَيّ، وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا، فقال ﷺ: «**أرضعيه تحرمي عليه**»(١) الحديث.

ولهذا لما نسخ هذا الحكم، أباح تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة، وقال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، وقال في آية التحريم: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء:٢٣]، احترازًا عن زوجة الدعيّ، فإنه ليس من الصلب، فأما الابن من الرضاعة، فمنزل منزلة ابن الصلب شرعًا، بقوله عليه السلام في الصحيحين(٢): «**حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب**».

فأما دعوة الغير ابنًا على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهى عنه في هذه الآية، بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي، من حديث سفيان الثوري، عن سلمة بن كُهَيْل، عن الحسن العُرَني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على حُمُرَات لنا من جَمْع، فجعل يَلْطَخ أفخاذنا ويقول: «**أُبَيْنِيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس**»(٣).

قال أبو عبيد وغيره: «أُبَيْنِيّ: تصغير ابني». وهذا ظاهر الدلالة، فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر.

وقوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ في شأن زيد بن حارثة، وقد قتل في يوم مؤتة

---

(١) مسلم (١٤٥٣).
(٢) البخاري (٥٠٩٩)، ومسلم (١٤٤٤)، وأحمد (٧٢/٦) بنحوه.
(٣) أحمد (٢٣٤/١).

(٢٢) أحمر
أسود

سنة ثمان، وأيضًا ففي صحيح مسلم(١)، من حديث أبي عَوَانة الوضاح بن عبد الله اليَشْكُري، عن الجَعْد أبي عثمان البصري، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُني**».

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: أمر الله تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم، إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضًا عما فاتهم من النسب. ولهذا قال رسول الله ﷺ يوم خرج من مكة عام عُمرة القضاء، وتبعتهم ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم. فأخذها علي وقال لفاطمة: دونَك ابنة عَمّك فاحتمليها. فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر في أيّهم يكفلها، فكل أدلى بحجة؛ فقال علي: أنا أحق بها وهي ابنة عمي -وقال زيد: ابنة أخي. وقال جعفر بن أبي طالب: ابنة عمي، وخالتها تحتي -يعني أسماء بنت عميس. فقضى النبي ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**». وقال لعلي: «**أنت مني، وأنا منك**». وقال لجعفر: «**أشبهت خَلْقي وخُلُقي**». وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»(٢).

ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها: أنه، عليه الصلاة والسلام حكم بالحق، وأرضى كلا من المتنازعين، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»، كما قال تعالى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

وقد جاء في الحديث: «**من ادعى لغير أبيه، وهو يعلمه إلّا كفر**»(٣). وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد، في التبري من النسب المعلوم؛ ولهذا قال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

(١) مسلم (٢١٥١).
(٢) البخاري (٦٩٩).
(٣) البخاري (٣٥٠٨) بنحوه.

(٢٣) أحمر
أسود

س: المسلم إذا أخطأ فلا إثم عليه دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «**قال الله: قد فعلت**». أخرجه مسلم (١) في صحيحه.

وقول النبي ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**» (٢).

وما روي عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» وهو صحيح لشواهده، وقد تقدم.



س: هل يجوز أخذ الأطفال اللقطاء ونسبتهم إلينا لكوننا نربيهم معنا في البيوت، ولا نعرف آباءهم؟

ج: لا تجوز نسبتهم إليك، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.



س: اذكر بعض الأحاديث المحذرة من انتساب شخص إلى غير أبيه عن عمدٍ؟

تقدم قريبًا شيء من هذا في ثنايا كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**».

---

(١) مسلم (١٢٦).
(٢) البخاري (٧٣٥٢).
(٣) البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢).

(٢٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن رسول الله ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في أمورٍ، منها:

محبته أعظم من محبة النفس، فرسول الله ﷺ أولى بأن أحبه وأحق أن أحبه من محبتي لنفسي.

ففي الصحيحين(١) من حديث: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين».

وفي الصحيح(٢) أيضًا أن عمر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يَا عُمَر، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شيء حَتَّى مِنْ نَفْسِي. «الْآنَ يَا عُمَرُ». ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾.

* وأولى بنا كذلك في قضائه وحكمه فحكمه مقدمٌ في النفاذ فينا على حكم غيره، بل على حكم أنفسنا في أنفسنا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ محمد ﴿أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: أحق بالمؤمنين به ﴿مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلما قضيت على عبدك جاز.

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥)، ومسلم (٤٤).
(٢) البخاري (٦٦٣٢).

(٢٥) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، ونصحَه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مُقَدّمًا على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فكذلك أولى بنا من أنفسنا في السمع والطاعة والاتباع فنسمع قوله ونتبعه ونطيعه، وإن خالف ذلك ما في أنفسنا.

وكذلك يدخل فيما ذكر ما أخرجه البخاري(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. اقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عَصَبَتُه مَن كانوا. فإن ترك دَيْنًا أو ضَياعًا، فليأتني فأنا مولاه**».

وأورد بعض أهل العلم وجهًا آخر حاصله أنه صلوات الله وسلامه عليه أولى بهم من أنفسهم لكون أنفسهم تدعوهم إلى النار وهو يدعوهم إلى الجنة، وذلك كما في الأحاديث عن رسول الله ﷺ، منها حديث أبي موسى(٢) عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**».

---

(١) البخاري (٤٧٨١)، وكثيرًا ما تأتي كلمة «اقرؤوا إن شئتم» مدرجة من قول أبي هريرة فينبغي أن تحرر ها هنا.

(٢) حديث أبي موسى عند البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، واللفظ لمسلم.

وفي الصحيحين (١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَتْ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ».

وما أخرجه مسلم من حديث جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» (٢).

قال القرطبي رحمه الله بعد ذكره بعض هذه الأحاديث:

وهذا قول حسن في معنى الآية وتفسيرها.

ثم قال: في شرح بعض ألفاظ الحديث، قال العلماء: الحجزة للسراويل والمعقد للإزار فإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه وهذا مثل لاجتهاد نبينا عليه الصلاة والسلام في نجاتنا وحرصه على تخلصنا من الهلكات التي بين أيدينا فهو أولى بنا من أنفسنا ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدونا اللعين بنا صرنا أحقر من الفراش وأذل من الفراش ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقيل: أولى بهم أي أنه إذا أمر بشيء ودعت النفس إلى غيره كان أمر النبي ﷺ أولى وقيل: أولى بهم أي هو أولى بأن يحكم على المؤمنين فينفذ حكمه في أنفسهم أي فيما يحكمون به لأنفسهم مما يخالف حكمه.



(١) حديث أبي هريرة عند البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، واللفظ لمسلم.
(٢) مسلم (٢٢٨٥).

شيء من فضيلة أزواج النبي ﷺ

س: قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ أمهاتهم في ماذا؟

ج: أمهاتهم في التشريف والتعظيم والتبجيل، وكذا في حرمه زواج الرجال بهن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ يقول: وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم، في أنهم يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ يعظِّم بذلك حقهنّ، وفي بعض القراءة: (وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ).

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ محرّمات عليهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي في «المختصر»، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمهات وقيل: لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات ثم هذه الأمومة لا

توجب ميراثًا كأمومة التبني وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن أخوات للناس وسيأتي عدد أزواج النبي ﷺ في آية التخيير إن شاء الله تعالى.



س: هل أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنات أيضًا؟

ج: الظاهر؛ أن نعم –والله أعلم– وذلك لكونهن شُرفن بذلك فالتشريف يقتضي التعميم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختلف الناس هل هن أمهات الرجال والنساء أم أمهات الرجال خاصة على قولين : فروى الشعبي عن مسروق عن عائشة ڤ أن امرأة قالت لها : يا أمة فقالت لها : لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم قال ابن العربي : وهو الصحيح.

قلت : لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للرجال دون النساء والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيمًا لحقهن على الرجال والنساء يدل عليه صدر الآية : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة ويدل على ذلك حديث أبي هريرة وجابر فيكون قوله : ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ عائدًا إلى الجميع ثم إن في مصحف أبي بن كعب وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقرأ ابن عباس : من أنفسهم وهو أب(١) لهم وأزواجه أمهاتهم وهذا كله يوهن ما رواه مسروق إن صح من جهة الترجيح وإن لم يصح فيسقط الاستدلال به في التخصيص وبقينا على الأصل الذي هو العموم الذي يسبق إلى الفهوم والله أعلم.

---

(١) لا بد وأن يفهم هذا في ضوء قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ...﴾.

س: ما مدى صحة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا، وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ»، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ وَيَنْهَى عَنْ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ.

ج: الحديث أخرجه أبو داود[(١)] وغيره بسندٍ حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه.



س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: والقرابات الذين ورَّث الله بعضهم من بعض أولى بالميراث من غيرهم، وذلك موجود في كتاب الله وحكمه، موجود أن القرابات هم الذين يرثون الميت (إذا كان الأقرباء مسلمون) وهم أولى به من سائر المؤمنين والمهاجرين (أولى بميراثه)، ولمزيد إيضاح فقد كان الأمر في أول الهجرة، وقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار فقد المهاجري الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين أنصاري، يرث المهاجريُّ الأنصاريَّ دون سائر قراباته، وكذا يرث الأنصاري المهاجريَّ دون سائر قراباته.

وقال بعض العلماء: إن التوارث كان بالهجرة بمعنى أن المسلم المهاجر يرث المسلم المهاجر دون سائر قراباته من المسلمين الذين لم يهاجروا فنسخ كل ذلك بآية المواريث، وبالآية التي بين أيدينا وبغير ذلك مما في هذا المعنى – والله أعلم، والوجه الأول الذي قدمته هو قول مجاهد.

وإن كانت هناك أقوالٌ أخر.

وهذه طائفة من أقوال العلماء في ذلك.

(١) أبو داود حديث (٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكم الله ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار. وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه، للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ، وكذا قال سعيد ابن جبير، وغير واحد من السلف والخلف.

وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثًا عن الزبير بن العوام، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبي -من ساكني بغداد -عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير بن العوام قال: أنزل الله، عَزَّ وَجَلَّ، فينا خاصة معشر قريش والأنصار: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ﴾، وذلك أنا معشر قريش لما قَدمنا المدينة، قَدمنا ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نِعْمَ الإخوانُ، فواخيناهم ووارثناهم. فآخى أبو بكر خارجة بن زيد، وآخى عمر فلانا، وآخى عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنه رجلًا من بني زُرَيق، سعد الزرقي، ويقول بعض الناس غيره. قال الزبير: وواخيت أنا كعب بن مالك، فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى، فوالله يا بني، لو مات يومئذٍ عن الدنيا، ما ورثه غيري، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة، فرجعنا إلى موارثينا(١).

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) سنده صحيح، وعبد الرحمن بن أبي الزناد من الأثبات في هشام بن عروة. والله أعلم.

(٣١) أحمر
أسود

﴿وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأولوا الأرحام الذين ورّثت بعضهم من بعض، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضًا، بالهجرة والإيمان دون الرحم.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ لبث المسلمون زمانًا يتوارثون بالهجرة، والأعرابيّ المسلم لا يرث من المهاجرين شيئًا، فأنزل الله هذه الآية، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض، فصارت المواريث بالملل.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ قال: كان النبيّ ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار أوّل ما كانت الهجرة، وكانوا يتوارثون على ذلك، وقال الله: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ [النساء: ٣٣] قال: إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم، قال: فكان هذا أوّلًا، فقال الله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ يقول: إلا أن توصوا لهم ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، قال: وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولي رحم، حتى يهاجروا إلى المدينة، وقرأ: قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ...﴾ إلى قوله: ﴿وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣] فكانوا لا يتوارثون، حتى إذا كان عام الفتح، انقطعت الهجرة، وكثر الإسلام، وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبيّ ومن معه إلا أن يهاجر؛ قال: وقال رسول الله ﷺ لمن بعث: «**اغْدُوا عَلى اسْمِ اللهِ لا تَغْلُوا وَلا تُوَلُّوا، ادْعُوهُمْ إلى**

الإسْلامِ، فإنْ أجابُوكُمْ فاقْبَلُوا وَادْعُوهُمْ إلى الهِجْرَةِ، فإنْ هاجَرُوا مَعَكُمْ، فَلَهُمْ ما لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ ما عَلَيْكُمْ، فإنْ أبَوْا وَلَمْ يُهاجِرُوا وَاخْتارُوا دَارَهُمْ فأقِرُّوهُمْ فِيها، فَهُمْ كالأعْرابِ تجْرِي عَلَيْهِمْ أحْكام الإسْلام، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الفَيْءِ نَصِيبٌ».

قال: فلما جاء الفتح، وانقطعت الهجرة، قال رسول الله ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» وكثر الإسلام، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين، وكان لهم في الفيء نصيب، وإن أقاموا وأبوا، وكان حقهم في الإسلام واحدًا، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكلّ أحد، حين جاء الفتح.

فمعنى الكلام على هذا التأويل: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين، أولى بالميراث، ممن لم يؤمن، ولم يهاجر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ قيل: إنه أراد بالمؤمنين الأنصار وبالمهاجرين قريشًا وفيه قولان:

أحدهما: أنه ناسخ للتوارث بالهجرة.

الثاني: أن ذلك ناسخ للتوارث بالحلف.

و﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بـ أولى لا بقوله: وأولو الأرحام بالإجماع لأن ذلك كان يوجب تخصيصًا ببعض المؤمنين ولا خلاف في عمومها وهذا حل إشكالها قاله ابن العربي. النحاس: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي

كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ يجوز أن يتعلق من المؤمنين بـ أولو فيكون التقدير : وأولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين ويجوز أن يكون المعنى أولى من المؤمنين.

قلت (مصطفى): ويمكن إيضاح ما ذكر على النحو التالي:

الأول: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين أي: أن القرابات أولى بأن يرث بعضهم بعضًا من أهل الإيمان، أي: أن القرابات أولى بالميراث من المؤمنين.

الثاني: أن القرابات أولى بأن يرث بعضهم بعضًا من المهاجرين وهذا على قول من قال: إن المؤمن المهاجر كان يرث المؤمن المهاجر، ولا يرث المؤمن الذي لم يهاجر من أخيه شيئًا فتكون الآية قد عمَّت، ومعناها: والقرابات أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بأقرباء للميت، وأولى بالميراث من المؤمنين الذين هاجروا. والله أعلم.



س: ما المراد بكتاب الله في قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: في حكم الله كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٤].

الثاني: أن المراد: القرآن.

الثالث: أن المراد: اللوح المحفوظ الذي قضى فيه أحوال خلقه. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – قد ذهب التوارث الذي كان بين المهاجريِّ والأنصاريِّ، ولم يبق إلا أن توصوا لبعضكم البعض، وينصر بعضكم بعضًا ويُحسن بعضكم إلى بعض، أما الميراث فقد ذهب، والأولى به هم القرابات المسلمون، وقد قال بعض أهل العلم إلى القرابات المسلمة يرث بعضهم بعضًا، ولا يرث أهل الشرك شيئًا من المسلمين، وهذا معلوم فالمسلم لا يرثه مشركٌ، وهو لا يرث الكافر كذلك إلا أنه يجوز أن يوصي المسلم ببعض ماله لقراباته من أهل الشرك.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ قال: للقرابة من أهل الشرك وصية، ولا ميراث لهم.

وبإسناد حسن عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: ما قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ فقال: العطاء، فقلت له: المؤمن للكافر بينهما قرابة؟ قال: نعم عطاؤه إياه حباء ووصية له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحقّ الإيمان والهجرة والحلف، فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ يقول: إلا أن توصوا لهم.

ثم قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفًا من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كلّ ذلك من المعروف الذي قد حثّ الله عليه عباده.

وإنما اخترت هذا القول، وقلت: هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك، لأن القريب من المشرك، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليًّا بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء، ثم يصفهم جلّ ثناؤه بأنهم لهم أولياء. وموضع «أن» من قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾ نصب على الاستثناء ومعنى الكلام: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولي أرحام منكم معروفًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾، أي: ذهب الميراث، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ يريد الإحسان في الحياة والوصية عند الموت أي إن ذلك جائز قاله قتادة والحسن وعطاء وقال محمد

ابن الحنفية نزلت في إجازة الوصية لليهودي والنصراني أي يفعل هذا مع الولي والقريب وإن كان كافرا فالمشرك وليٌّ في النسب لا في الدين فيوصى له بوصية واختلف العلماء هل يجعل الكافر وصيًّا فجوز بعض ومنع بعض ورد النظر إلى السلطان في ذلك بعض منهم مالك رحمه الله تعالى وذهب مجاهد وابن زيد والرماني إلى أن المعنى : إلى أوليائكم من المؤمنين، ولفظ الآية يعضد هذا المذهب وتعميم الولي أيضًا حسنٌ وولاية النسب لا تدفع الكافر وإنما تدفع أن يلقى إليه بالمودة كوليِّ الإسلام.



س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾؟

ج: المراد – والله أعلم – اللوح المحفوظ الذي سُطِّرت فيه أعمال العباد، ومن العلماء من قال الكتاب القرآن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ أي: هذا الحكم، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدَّر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل، ولا يغير . قاله مجاهد وغير واحد. وإن كان قد يقال: قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي، وقضائه القدري الشرعي.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله: أي في اللوح المحفوظ مسطورًا: أي

(٣٧) أحمر
أسود

مكتوبًا، مكا قال الراجز:

فِي الصُّحُفِ الأُولَى التِي كَانَ سَطَرْ

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ «الكتاب» يحتمل الوجهين المذكورين المتقدمين في «كتاب الله». و﴿مَسْطُورًا﴾ من قولك سطرت الكتاب إذا أثبته أسطارًا. وقال قتادة: أي: مكتوبًا عند الله عَزَّوَجَلَّ ألا يرث كافر مسلمًا. قال قتادة: وفي بعض القراءة «كان ذلك عند الله مكتوبًا». وقال القرطبي: كان ذلك في التوراة.



الميثاق المأخوذ على النبيين و

س: ما هذا الميثاق الذي أخذه الله على النبيين عليهم صلوات الله وسلامه؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها:

الأول: أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الثاني: أنه الميثاق المأخوذ عليهم أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وذلك لقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

الثالث: أنه الميثاق المأخوذ على النبيين للتصديق برسول الله ﷺ إذا بُعث وهم أحياء كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

(٣٨) أحمر
أسود

رابعًا: أنه كل ما أخذ على النبيين من عهود ومواثيق من الله ﷻ. والله أعلم.



س: في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ...﴾ عطف للخاص على العام، وضحه وبيِّن المستفاد منه.

ج: إيضاحه أن الله ﷻ بعد أن ذكر أنه أخذ الميثاق من النبيين، والنبيون يدخل فيهم الأنبياء المذكورون و عطف بذكر بعض الأنبياء، إذ قال: ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم...

والمستفاد منه بيان فضيلة هؤلاء الأنبياء فهم أولو العزم من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه محمد رسول الله ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه.

وقد ذكر خمستهم في آية أخرى؛ إذ الله قال: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾. [الشورى: ١٣]



س: هل الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ...﴾ هو الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ...﴾؟

ج: قال بعض العلماء هو نفسه، وإنما أعيد للتأكيد والتوكيد.

وقال آخرون: إن الميثاق الأول هو المأخوذ على الأنبياء وهم في صلب آدم عليه السلام، والثاني: هو المأخوذ عليهم بعد إرسالهم أن يؤمنوا برسول الله إذا بعث وهم أحياء.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تأكيد للميثاق الأول باليمين وقيل: الأول هو الإقرار بالله تعالى والثاني في أمر النبوة ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ الآية أي أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمدًا رسول الله ﷺ ويعلن محمد ﷺ أن لا نبي بعده.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧...﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – وإذ يا رسول الله، ما كان مسطورًا في الكتاب إذ أخذنا من النبيين العهد المؤكد على إقامة الدين وعلى أن يصدق بعضهم بعضًا، وأخذنا هذا الميثاق أيضًا منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأكدنا عليهم الميثاق وغلظناه عليهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ أي عهدهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضا أي كان مسطورا حين كتب الله ما هو كائن وحين أخذ الله تعالى المواثيق من الأنبياء ﴿وَمِنكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ وإنما خص هؤلاء الخمسة وأن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلًا لهم وقيل: لأنهم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم ويحتمل أن يكون هذا تعظيمًا في قطع

الولاية بين المسلمين والكافرين أي هذا مما لم تختلف فيه الشرائع أي شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي كان في ابتداء الإسلام توارث بالهجرة والهجرة سبب متأكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الإيمان وهو سبب وكيد فأما التوارث بين مؤمن وكافر فلم يكن في دين أحد من الأنبياء الذين أخذ عليهم المواثيق فلا تداهنوا في الدين ولا تمالئوا الكفار ونظيره : (﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا)-إلى قوله:-(وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾. ومن ترك التفرق في الدين ترك موالاة الكفار وقيل : أي النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورًا ومأخوذًا به المواثيق من الأنبياء (وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ أي عهدًا وثيقًا عظيمًا على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة وأن يصدق بعضهم بعضا.



س: وضح المراد بقوله تعالى: (لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ ...﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الصادقين هم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه يسألهم ربهم عن الصدق الذي جاءوا به من عند الله وبماذا أجابتهم أممهم، كما قال تعالى: (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

الثاني: أن المراد بالصادقين أيضًا الأنبياء، والمراد أنهم يُسألون عن العهود التي أعطوها ربهم، وأخذها عليهم ربهم ﷻ، هل وفَّوا بها أم لا.

الثالث: ليسأل الأنبياء هل بلغوا رسالات ربهم أم لا، والله أعلم.



س: ما فائدة هذا السؤال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ...﴾؟

ج: قيل: لتوبيخ أهل الكفر والتكذيب كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فهذا سؤال لتوبيخ من عبدوا عيسى عليه السلام وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ: ٤٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩] وذلك لتوبيخ من وأدها.



س: وضح المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وأعدَّ الله للجاحدين وحدانيته والمكذبين لرسله عذابًا مؤلمًا موجعًا.



(٤٢) أحمر
أسود

شيءٌ من الوارد في غزوة الأحزاب (الخندق)

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا
وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ
ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ
يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ
وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ
ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا
يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ
ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ
أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾

[الأحزاب: ٩-١٧]

(٤٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:
﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا - زَاغَتِ الْأَبْصَارُ - وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ - ابْتُلِيَ - وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا - فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ - غُرُورًا - طَّائِفَةٌ - يَثْرِبَ - لَا مُقَامَ لَكُمْ - بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ - أَقْطَارِهَا - سُئِلُوا الْفِتْنَةَ - تَلَبَّثُوا بِهَا - يَسِيرًا - لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ - لَّا تُمَتَّعُونَ - يَعْصِمُكُم - سُوءًا - رَحْمَةً - وَلِيًّا - نَصِيرًا﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾	جنودًا لم تبصروها، وهم الملائكة
﴿زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾	شخصت العيون – مالت العيون
﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾	انتقلت القلوب من أماكنها من شدة الخوف من الصدور إلى الحناجر، وقيل هذا مَثَلٌ يضرب لمن غلبه الخوف الشديد فاضطرب قلبه اضطرابًا شديدًا
﴿ابْتُلِيَ﴾	اختُبر
﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	تحركوا تحركًا شديدًا – تحركت قلوبهم تحركًا شديدًا (منها قلوب تحركت خوفًا، وأخرى إيمانًا وطمأنينةً)
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	في قلوبهم شك، وضعف إيمان
﴿غُرُورًا﴾	خداعًا وغشًّا
﴿طَّائِفَةٌ﴾	جماعة
﴿يَثْرِبَ﴾	المدينة، وقيل: يثرب أرض والمدينة جزء منها في أطرافها

(٤٤) أحمر
أسود

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾	لا وجه لمرابطتكم هنا حول الخندق فهذا مقام لن تحفظوا فيه
﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾	مكشوفة معرضة للسرقة – غير مرتفعة الأسوار، وذلك يعرضها للسرقة
﴿أَقْطَارِهَا﴾	جوانبها – نواحيها
﴿سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾	طلب منهم الشرك – طلب منهم أن يشركوا – طلبت منهم الخيانة
﴿تَلَبَّثُوا بِهَا﴾	تمسكوا بها
﴿يَسِيرًا﴾	زمنًا قليلًا
﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾	لا يفرون عند لقاء العدو فيجرون أمامه وهو يتبعهم
﴿لَا تُمَتَّعُونَ﴾	لا تعيشون متمتعين بدنياكم
﴿يَعْصِمُكُمْ﴾	يمنعكم
﴿سُوءًا﴾	شرًّا – بلاءً – هزيمةً – مرضًا
﴿رَحْمَةً﴾	عافيةً ونصرًا وسعةً ورزقًا وإيمانًا
﴿وَلِيًّا﴾	أحدًا يتولى أمركم
﴿نَصِيرًا﴾	شخصًا ينصركم



س: قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ما المراد به.

ج: المراد، والله أعلم، أحد أمرين:

الأول: تذكروها، فاشكروها واعملوا بمقتضى هذا الشكر.

الثاني: حدثوا بها الناس شاكرين لها.

(٤٥) أحمر
أسود

س: ما هذه النعمة التي أنعم الله بها على أهل الإيمان وعناها الله بقوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ...﴾؟

ج: هل التي ذكرت عقيب ذلك إذ الله قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ فالنعمة هي حفظ الله لعباده المؤمنين وتسليمه لهم مما حلَّ بهم من الخوف، ومما كان سيحلُّ بهم من القتل، والتشريد والسبي وانتهاك الأعراض على أيدي الأحزاب الذين تحزبوا عليهم من أهل الشرك من قريش وغطفان ويهود بني قريظة، وكانت هذه النعمة ممثلة في ريحٍ سلَّطها الله ﷻ وأرسلها على أهل الكفر فانقلبوا خائبين، وكذا كانت النعمةَ إرسال جنودٍ لم يرها المؤمنون، وهم الملائكة لنصرة أهل الإيمان وتثبيتهم ومؤازرتهم وطمأنينتهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾: جنود الأحزاب: قُريش، وغطفان، ويهود بني النضير ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ وهي فيما ذكر: ريح الصبا.



س: ما هذه الريح، وما تلك الجنود التي لم يرها المؤمنون؟

ج: هي ريح الصبا، وتلك التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**نصرت بالصبا وأُهلكت عاد بالدبور**»[(١)].

أما الجنود الذين لم يرهم المؤمنون فهم الملائكة.

قال الحافظ ابن كثير $:

(١) مسلم (٩٠٠)، والبخاري (١٣٥).

وقوله: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف، فكان رئيس كل قبيلة يقول: يا بني فلان إليّ، فيجتمعون إليه فيقول: النجاء، النجاء، لما ألقى الله تعالى في قلوبهم من الرعب.



س: أية غزوة تلك التي ذكر الله ﷻ بنعمته على المسلمين فيها إذ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ وفي أي السنوات كانت؟

ج: هي غزوة الأحزاب، وأيضًا يطلق عليها غزوة الخندق، وهي بها أشهر وأما في أي السنوات كانت فأقوال العلماء أغلبها دائر بين كونها في السنة الرابعة من الهجرة إلى السنة الخامسة، ورجح الحافظ ابن كثير كونها كانت في السنة الخامسة من الهجرة، ولعلَّ الجمع بين الأقوال ممكن بأن تكون بعد أربع سنوات وبضعة أشهر من الهجرة، ومن العلماء من قَرَّبَ السنوات إلى خمس، ومنهم من قرَّبها إلى الأربع والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف في أي سنة كانت، فقال ابن إسحاق: كانت في شوال من السنة الخامسة، وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت وقعة الخندق سنة أربع، وهي وبنو قريظة في يوم واحد، وبين بني قريظة والنضير أربع سنين.

وصحح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كونها كانت سنة خمس؛ إذ قال:

يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين، في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور. وقال موسى

ابن عقبة وغيره: كانت في سنة أربع.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ⑨﴾؟

ج: الخطاب لأهل الإيمان، وما كان من شأنهم يوم الخندق فأخبر الله ﷻ أنه بصير بأحوالهم آنذاك وما هم فيه من الكرب والبلاء، وبصيرٌ بعملهم الذي كانوا يعملون وما حدث لهم من جهدٍ ومشقةٍ وعناء، وأن كل ذلك معلوم لديه سبحانه وسيوافيهم به جزاءً حسنًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ⑨﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم يومئذٍ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة، وثباتهم لعدوهم، وغير ذلك من أعمالهم، بصيرًا لا يخفى عليه من ذلك شيء، يحصيه عليهم، ليجزيهم عليه.



ذِكرُ بعض الأحاديث الواردة
في غزوة الأحزاب (الخندق)
شيءٌ من الوارد في حفر الخندق،
وفي ثناياه وبعض الآيات المعجزات

أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَة فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ».

وفي الصحيحين[(٢)] من حديث البراء قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ. وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

«واللهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّ الْأُولَى قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا

قَالَ: وربَّمَا قَالَ:

إِنَّ الْمَلَا قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ.

وفي رواية البخاري:

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وعند مسلم من طريق: حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا ... عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

---

(١) البخاري (٤٠٩٨)، ومسلم (١٨٠٤).

(٢) البخاري (٢٨٣٧)، (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣) ونحوه من حديث أنس عند البخاري (٢٧٩٥)، ومسلم (١٨٠٥).

أَوْ قَالَ: عَلَى الْجِهَادِ. شَكَّ حَمَّادٌ. وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»

وأخرج البخاري(١) من حديث جابر رضي الله عنه قال: «إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ. ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فِي الكدية، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ. فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ. ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ». قَالَ: «قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ» فَقَالَ: «قُومُوا». فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».

وفي رواية(٢) من طريق سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما

(١) البخاري (٤١٠١).
(٢) البخاري (٤١٠٢).

قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا. فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا. ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِهَلّكُمْ**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**» فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ؛ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي. وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُو».



قول النبي ﷺ من يأتيني بخبر القوم
وفيه فضيلة للزبير وحذيفة رضي الله عنهما

أخرج البخاري[(١)] **من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ:** قال: رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».

وأورد ابن إسحاق[(٢)] **من وجهٍ آخر فقال:** فحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَلَحَمَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا. قَالَ: فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «**مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثم يرجع** - يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ - **أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟**» فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ فلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «**يَا حُذَيْفَةُ فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا**» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ لَا تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً. فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ قَالَ

---

(١) البخاري (٤١١٣).

(٢) وفي سنده يزيد بن زياد فيه بعض المقال.

حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالخُفُّ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا مِنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ وَاللهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ فَواللهِ مَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ «**أن لا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**»، ثُمَّ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مَرَاجِلُ. قَالَ ابنُ هشام: المَرَاجِلُ ضَربٌ مِنْ وَشي اليَمَنِ. فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَجْلِيهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، فَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ.

أخرج مسلم[١] في صحيحه من طريق إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**» فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا؛ إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي، أَنْ أَقُومَ. قَالَ: «**اذْهَبْ**

---

(١) مسلم (١٧٨٨).

فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ» فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ. حَتَّى أَتَيْتُهُمْ. فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ. فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ. فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**» وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ. فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ. فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ. فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا. فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «**قُمْ يَا نَوْمَانُ**».



الريح التي نُصر بها النبي ﷺ
وقوله ﷺ: «نُصرت بالصبا»

أخرج البخاري[1] من طريق مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**».



(١) البخاري (٤١٠٥).

مشاركة جبريل عليه السلام
للمؤمنين في غزوة الخندق وبني قريظة

أخرج البخاري[(١)] من حديث عَائِشَةَ ؓ قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا. وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ.

ومن حديث[(٢)] أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

وأخرج البخاري[(٣)] من حديث ابن عمرَ ؓ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ».

حكم سعد بن معاذ
رضي الله عنه في بني قريظة وقصة موته رضي الله عنه

وأخرج البخاري[(٤)] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدريّ ؓ يَقُول: «نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ -أَوْ خَيْرِكُمْ-» فَقَالَ: هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ. قَالَ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ

(١) البخاري (٤١١٧).
(٢) البخاري (٤١١٨).
(٣) البخاري (٤١١٩).
(٤) البخاري (٤١٢٢).

(٥٥) أحمر
أسود

اللهِ» وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ الْمَلِكِ».

وأخرج البخاري[(١)] من حديث عَائِشَةَ ڤ قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ. فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ. قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ. فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضي الله عنه».



(١) البخاري (٤١٢٢).

متفرقات في غزوة الأحزاب وبني قريظة

أخرج البخاري[(١)] من حديث سليمان بن صُرد قال: قال النبي ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا».

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَه أيضًا: «الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ».

وأخرج البخاري[(٢)] من حديث ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «أَوَّلُ يَوْمٍ شَهِدْتُهُ يَوْمُ الْخَنْدَقِ».

أخرج البخاري[(٣)] من حديث عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «مَلَأَ اللهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ».

وعند البخاري[(٤)] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﭬ قَالَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَت الشَّمْسُ جَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ مَا صَلَّيْتُهَا» فَنَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بُطْحَانَ، فَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ».

وعند البخاري[(٥)] من حديث أبي هريرة ﭬ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ».

(١) البخاري (٤١٠٩).
(٢) البخاري (٤١٠٧).
(٣) البخاري (٤١١١).
(٤) البخاري (٤١١٢).
(٥) البخاري (٤١١٤).

(٥٧) أحمر
أسود

وأخرج البخاري[١] من حديث عبد الله بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمْ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».

وعنده[٢] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ الْغَزْوِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ يَبْدَأُ فَيُكَبِّرُ ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

وأخرج البخاري[٣] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخَلَاتِ حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْأَلَهُ الَّذِي كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي، تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا - أَوْ كَمَا قَالَتْ- وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَكِ كَذَا» وَتَقُولُ: كَلَّا وَاللهِ، حَتَّى أَعْطَاهَا - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ- عَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. أَوْ كَمَا قَالَ».



(١) البخاري (٤١١٥).
(٢) البخاري (٤١١٦).
(٣) البخاري (٤١٢٠).

بعض أقوال أهل العلم إجمالاً في غزوة الخندق

س: اذكر إجمالًا بعض أقوال أهل العلم في غزوة الخندق؟

ج: من هذه الأقوال ما يلي:

قول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، قال رَحِمَهُ اللهُ:

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، منهم: سلام بن أبي الحُقَيْق، وسلام بن مِشْكَم، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش، وألّبوهم على حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة. فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا. وخرجت قريش في أحابيشها، ومن تابعها، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، وعلى غطفان عُيَينة بن حصن بن بدر، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق، وذلك بإشارة سلمان الفارسي، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا، ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب وحفَر، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات.

وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أراضي المدينة، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، وخرج رسول الله ﷺ، ومن معه من المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف، وقيل: سبعمائة، وأسندوا ظهورهم إلى سَلْع ووجوههم إلى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجالة والخيالة أن تصل إليهم، وجعل النساء والذراري في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة -وهم

طائفة من اليهود -لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حُيَيّ بن أخطب النَّضَري، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالؤوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فعَظُم الخَطْب واشتد الأمر، وضاق الحال، كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريبًا من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ودّ العامري -وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية -ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق، وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله ﷺ خيل المسلمين إليه، فلم يبرز إليه أحد، فأمر عليًّا فخرج إليه، فتجاولا ساعة، ثم قتله عليٌّ، رضي الله عنه، فكان علامة على النصر.

ثم أرسل الله ﷻ، على الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا تُوقَد لهم نار، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾.

وقال القرطبي رحمه الله:

قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول: أمر رسول الله ﷺ بالقتال من المدينة وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ قال: ذلك يوم الخندق جاءت قريش من ها هنا واليهود من ها هنا والنجدية من ها هنا يريد مالك: إن الذين جاؤوا من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان وكان سببها: أن نفرًا من اليهود

منهم كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن أخطب النضريون وهوذة بن قيس وأبو عمار من بني وائل وهم كلهم يهود هم الذين حزَّبوا الأحزاب وألَّبوا وجمعوا خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل فأتوا مكة فدعوا إلى حرب رسول الله ﷺوواعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على فزارة، والحارث بن عوف المري على بني مرة، ومسعود بن رخيلة على أشجع فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم وخروجهم شاور أصحابه فأشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضى رأيه وقال المهاجرون يومئذ : سلمان منا، وقال الأنصار : سلمان منا فقال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**» وكان الخندق أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حرٌّ فقال : يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا فعمل المسلمون في الخندق مجتهدين ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن إسحاق وغيره وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره حتى كمل الخندق وكانت فيه آيات بينات وعلامات للنبوات.

قلت: كذا أورد القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم أخرج الآثار التي أوردها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا التي أوردها قبله ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما قوله ﷺ: «**سلمان منا آل البيت**» فضعيف الإسناد.



(٦١) أحمر
أسود

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (زاد المعاد)

فصل
في غزوة الخندق

فصل: في غزوة الخندق

وكانت في سنة خمسٍ من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلافَ أن أحدًا كانت في شوال سنةَ ثلاثٍ، وواعدَ المشركون رسولَ الله ﷺ في العام المقبل، وهو سنة أربع، ثم أخلفوه لأجل جَدب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس، جاؤوا لحربه، هذا قول أهل السير والمغازي.

وخالفهم موسى بن عقبة وقال: بل كانت سنةَ أربع.

قال أبو محمد بن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لا شَك فيه، واحتج عليه بحديث ابن عمَرَ في «الصحيحين» أنه عرضَ على النبي ﷺ يومَ أُحدٍ، وهو ابن أربع عشرةَ سنة، فلم يجزه، ثم عرضَ عليه يومَ الخندق، وهو ابن خَمسَ عشرةَ سنة، فأجازه[(١)].

قال: فصح أنه لم يكن بينهما إلا سنةٌ واحدة.

وأجيب عن هذا بجوابين:

أحدهما: أن ابنَ عمر أخبرَ أن النبي ﷺ، رده لما استصغَرَه عَن القتال، وأجازه لما وَصَلَ إلى السن التي رآه فيها مطيقًا، وليس في هذا ما يَنفي تجاوزَها بسنةٍ أو نحوها.

الثاني: أنه لعله كان يومَ أُحدٍ في أول الرابعة عشرة، ويومَ الخندق في آخر الخامسة عشرة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٠٩٧)، ومسلم (١٨٦٨) من حديث ابن عمر.

(٦٢) أحمر
أسود

فصل

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهودَ لما رَأوا انتصارَ المشركين على المسلمين يَومَ «أُحد»، وعلموا بميعاد أَبِي سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك، ثم رجع للعام المقبل؛ خرج أشرافهم، كسلام بن أَبِي الحقيق، وسلام ابن مشكَم، وكنَانة بن الربيع، وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم عَلَى غَزو رسول الله ﷺ، ويؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابَتهم قريشٌ، ثم خرجوا إلى غَطَفَان فدعَوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب، يدعونَهم إلى ذلك، فاستجابَ لهم مَن استجاب، فخرجت قريشٌ وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلافٍ، ووافَتهم بنو سليم بمَر الظهرَان، وخرجت بنو أسد، وفَزَارَة، وأشجع، وبنو مرةَ، وجاءت غَطَفَان وقائدهم عيينة بن حصنٍ. وكان مَن وافى الخندقَ من الكفار عشرة آلاف.

فلما سَمعَ رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه، استشار الصحابةَ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندقٍ يحول بين العدو وبينَ المدينة، فأمر به رسول الله ﷺ، فبادر إليه المسلمون، وعَملَ بنفسه فيه، وبادروا هجومَ الكفّار عليهم، -وكان في حَفره من آيات نبوته، وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به، وكان حفر الخندق أمامَ سَلعٍ، وسَلعٌ: جبل خلفَ ظهور المسلمين، والخندق بينهم وبين الكفار.

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فتحصن بالجبل من خلفه، وبالخندق أمامهم.

وقال ابن إسحاق: خرج في سبعمائة، وهذا غلط من خروجه يوم أحدٍ.

وأمر النبيّ ﷺ بالنسَاء والذراري، فَجعلوا في آطام المدينة، واستخلف

عليها ابنَ أم مكتوم.

وانطلق حُيي بن أَخطَب إلى بنِي قريظة، فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد أن يفتَح له، فلم يَزَل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل عليه، قال: لقد جئتكَ بعز الدهر، جئتكَ بقريش وغَطَفَان وأَسَدٍ على قادتها لحرب محمد، قال كعب: جئتَنِي والله بذل الدهر، وبجَهَامٍ قد هراقَ مَاؤه. فهو يَرعد ويَبرق ليس فيه شيء. فلم يزل به حتى نقضَ العَهدَ الذي بينَه وبينَ رسول الله ﷺ. ودخل مع المشركين في محاربته، فَسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حُيي أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخلَ معه في حصنه، فيصيبه ما أصابه، فأجابه إلى ذلك، ووفى له به.

وبلغ رسولَ الله ﷺ خبر بنِي قريظة ونقضهم للعهد، فبعث إليهم السعدين، وخواتَ بن جبير، وعبدَ الله بن رواحة ليَعرفوا: هل هم على عهدهم، أو قد نقضوه، فلما دَنوا منهم، فوجدوهم على أخبث ما يكون، وجاهروهم بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله، فانصرفوا عنهم. ولحنوا إلى رسول الله ﷺ لحنًا يخبرونه أنهم قد نقضوا العَهد وغدَروا، فعظمَ ذلك على المسلمين، فقالَ رسول الله ﷺ عند ذلك: «الله أكبَر أبشروا يَا مَعشَرَ المسلمين»، واشتد البلاء، ونَجَم النفَاق، واستأذن بعض بنِي حارثة رسولَ الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة وقَالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] وهمَّ بنو سلمَةَ بالفَشَل، ثم ثبت الله الطائفتين.

وأقام المشركون محاصرينَ رسولَ الله ﷺ شهرًا. ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فَوارسَ من قريش، منهم عمرو بن عبد ودٍّ، وجماعة معه أقبلوا نحوَ الخندق، فلما وقفوا عليه، قالوا: إن هذه مَكيدةٌ ما كانت العرب تعرفها، ثم تيمموا مكانًا ضيقًا من

الخندق، فاقتحموه، وجالت بهم خيلهم في السّبخة بين الخندق وسَلعٍ، وَدَعَوا إلى البرَاز، فانتدب لعمروٍ عليّ بن أبِي طالب ا، فبارزه، فقتله الله على يديه، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم، وانهزمَ الباقون إلى أصحابهم، وكان شعار المسلمين يومئذٍ «حم لا ينصَرونَ»[(١)].

ولما طالت هذه الحال على المسلمين، أراد رسول الله ﷺ أن يصالح عيينةَ بنَ حصنٍ، والحارثَ بنَ عوف رئيسي غَطَفَان، على ثلث ثمار المدينة، وينصرفا بقومهما، وجرت المراوضة على ذلك، فاستشار السعدين في ذلك؛ فقالا: يا رسولَ الله، إن كان الله أَمَرَكَ بهذا، فسمعًا وطاعةً، وإن كان شيئًا تصنعه لنا، فلا حاجةَ لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرىً أو بيعًا، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالَنَا. والله لا نعطيهم إلا السيفَ، فصوبَ رأيَهما، وقال: «**إنمَا هوَ شَيء أَصنَعه لَكم لَما رَأَيت العَرَبَ قَد رَمَتكم عَن قَوسٍ وَاحدَةٍ**»[(٢)].

ثم إن الله - ﷻ، وله الحمد- صنع أمرًا من عنده، خَذَلَ به العدو، وهزم جموعَهم، وفَلَّ حدهم، فكان مما هيأ من ذلك، أن رجلًا من غَطَفَانَ يقَال له: نُعَيم بن مسعود بن عامر ﵁، جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله إنِّي قد أسلمت، فمرنِي بما شئت، فقالَ رسول الله ﷺ: «**إنمَا أَنتَ رَجلٌ وَاحدٌ،**

(١) صحيح: لكن ليس فيه أن هذا الشعار كان يوم الخندق. أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، والترمذي (١٦٨٢)، وأحمد (٤/٦٥) و(٥/٣٧٧) وغيرهم من حديث أبي إسحاق السبيعي عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي ﷺ يقول: «إن بلغكم العدو فإن شعاركم: حم لا ينصرون».

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تاريخه» (٢/٩٤)، وابن هشام في «السيرة» (٤/١٨٠) من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة والزهري مرسلًا. وأخرج ابن أبي شيبة نحوه في «المصنف» (٣٦٨١٦) عن أبي معشر مرسلًا. وأبو معشر ضعيف.

فَخَذِّل عَنا مَا استَطَعتَ فَإن الحَربَ خَدعَة». فذهب من فوره ذلك إلى بنِي قريظة، وكان عشيرًا لهم في الجاهلية، فدخل عليهم، وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال: يا بنِي قريظة، إنكم قد حاربتم محمدًا، وإن قريشًا إن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا انشمَروا إلى بلادهم راجعين، وتركوكم ومحمدًا، فانتقم منكم. قالوا: فما العمل يا نعيم؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن، قالوا: لقد أشرتَ بالرأي، ثم مضى على وجهه إلى قريش، فقال لهم: تعلمون ودي لكم، ونُصحي لكم، قالوا: نعم. قال: إن يهودَ قد نَدموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رَهائنَ يدفعونَها إليه، ثمَ يمالئونه عليكم، فإن سألوكم رهائنَ، فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غَطَفَان، فقال لهم مثلَ ذلكَ، فلما كان ليلة السبت من شوال، بعثوا إلى اليهود: إنا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكراع والخفّ، فانهضوا بنا حتى نناَجزَ محمدًا، فأرسل إليهم اليهود: إن اليومَ يومَ السبت، وقد علمتم ما أصاب مَن قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإنا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رَهائنَ، فلما جاءتهم رسلهم بذلك، قالت قريش: صدقَكم والله نعيم، فبعثوا إلى يهود؛ إنا والله لا نرسل إليكم أحدًا، فاخرجوا معنا حتى نناجزَ محمدًا فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم، فتخاذلَ الفريقان(١)، وأرسلَ الله على المشركين جندًا من الريح، فجعلت تقوض خيامَهم، ولا تَدَعُ لهم قدرًا إلا كَفَأَتها، ولا طنبًا إلا قَلَعَته، ولا يَقرّ لهم قرار، وجند الله من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرّعبَ والخوفَ، وأرسل رسول الله ﷺ حذيفةَ بن اليمان يأتيه بخبرهم،

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام (١٨٨/٤)، و«تاريخ الطبري» (٩٦/٢)، و«البداية والنهاية» (١٢٧/٤).

فوجدهم على هذه الحال، وقد تهيؤوا للرحيل[(١)]، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره برحيل القوم فأصبح رسول الله، وقد ردَّ الله عدوه بغيظه، لم ينالوا خيرًا، وكفاه الله قتالهم، فصدق وعدَه، وأعز جندَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزابَ وحده، فدخل المدينةَ ووضعَ السلاحَ، فجاءه جبريل عليه السلام، وهو يغتسل في بيت أم سلمة، فقال: أَوَضَعتم السلاَحَ، إن المَلائكَةَ لَم تَضَع بَعد أَسلحَتَهَا، انهَض إلَى غَزوَة هؤلاء – يَعنِي: بني قَرَيظَةَ – فَنادَى رسول الله ﷺ: «**مَن كَانَ سَامعًا مطيعًا، فَلاَ يصَلّيَن العَصرَ إلا في بنِي قَرَيظَة**»[(٢)]. فخرج المسلمون سراعًا، وكان من أمره وأمر بنِي قريظَة ما قدمناه، واستشهد يومَ الخندق ويومَ قريظة نحو عشرةٍ من المسلمين.

فصل

وقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألَّبَ الأحزابَ على رسول الله، ولم يُقتل مع بنِي قريظة كما قتلَ صاحبه حُيي بن أخطب، ورغبت الخزرج في قتله مساواةً للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وكان الله – سبحانه وتعالى –، قد جعل هذين الحيين يتصاولان بينَ يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فَأذنَ لهم، فانتدب له رجالٌ كلّهم من بنِي سلمة، وهم: عبد الله بن عَتيكٍ، وهو أمير القوم، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، الحارث بن ربعي، ومسعود بن سنان، وخُزَاعيّ بن أسود، فساروا حتى أتوه في خيبر في دار له، فنزلوا عليه ليلًا، فقتلوه، ورجعوا إلى رسول الله، وكلّهم ادعى قتله، فقال: «**أَروني أَسيَافَكم**» فلما أَرَوه إياهَا، قال لسيف عبد الله بن أنيس، «**هذَا الذي قَتَلَه أرى فيه أَثَرَ الطعَام**»[(٣)].

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (١٧٨٨) لكن ليس فيه أنهم تهيئوا للرحيل.
(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) وغيرهما من حديث ابن عمر.
(٣) أخرج قصة قتل أبي رافع البخاري (٤٠٣٨، ٤٠٣٩)، وغيره من حديث البراء بن عازب وفيها أن الذي قتله هو عبد الله بن عتيك، وأما ما ذكره المصنف فأخرجه ابن جرير في

(٦٧) أحمر
أسود

«تاريخه» (٥٦/٢) من حديث عبد الله بن كعب بن مالك مرسلًا وأورده ابن سعد في «الطبقات» (٩١/٢) من غير إسناد.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وكان الله بما تعملون بصيرًا مُطلعًا عليكم عالمًا بكم بصيرًا بكم وبأعمالكم في كل وقت وحين، وبصيرًا بكم لما جاءتكم جنود الأحزاب من كل مكان، أبو سفيان من ناحية مكة وعيينة بن حصن الفزاري ومن معه من قبل نجد، واليهود من ناحيتهم، وكلٌّ من اتجاهه، واشتد الخطب وازداد الكرب وعمَّ البلاء فهنالك شخصت الأبصار ومالت، وانتقلت القلوب من أماكنها فلكأنها بلغت الحناجر من شدة الخوف الذي اعتراها، وكثرت الظنون بالله ﷻ فأهل النفاق يظنون بالله شر الظنون يظنون أن رسول الله ﷺ سيُتأصل هو ومن معه ولن تبقى منهم باقية، وأهل الإيمان ازدادوا إيمانًا مع إيمانهم كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكان الله بما تعملون بصيرا، إذ جاءتكم جنود الأحزاب من فوقكم، ومن أسفل منكم. وقيل: إن الذين أتوهم من أسفل منهم، أبو سفيان في قريش ومن معه.

وقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرّها، وشخصت طامحة.

وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر.

وقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ يقول: وتظنون بالله الظنونَ الكاذبة، وذلك كظنّ من ظنّ منهم أن رسول الله ﷺ يُغلب، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظنّ ممن كان مع رسول الله ﷺ في عسكره.

وأورد بإسناد حسن عن الحسن: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ قال: ظنونا مختلفة: ظنّ المنافقون أن محمدًا وأصحابه يُستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حقّ، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي: الأحزاب ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ تقدم عن حذيفة أنهم بنو قريظة، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي: من شدة الخوف والفزع، ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾.

وقال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق حتى قال مُعَتّب بن قشير -أخو بني عمرو بن عوف-: كان محمد يَعِدُنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط.

وقال الحسن في قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه سيستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ ﴿إِذْ﴾ في موضع نصب بمعنى واذكر. وكذا ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني من فوق الوادي،

وهو أعلاه من قبل المشرق جاء منه عوف بن مالك في بني نصر، وعيينة بن حصن في أهل نجد، وطليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد ﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب جاء منه أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، ويزيد بن جحش على قريش وجاء أبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي شخصت وقيل: مالت، فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشا من فرط الهول ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ أي زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجرة؛ فلولا أن الحلوق ضاقت عنها لخرجت قاله قتادة وقيل: هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على إضمار كاد قال:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أي: كادت تقطر. ويقال: إن الرئة تنفتح عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلا ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره، وقيل: إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة قال معناه عكرمة. روى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: بلغ فزعها والأظهر أنه أراد اضطراب القلب وضربانه أي كأنه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة، والحنجرة والحنجور (بزيادة النون) حرف الحلق ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ قال الحسن: ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم ينصرون وقيل: هو خطاب للمنافقين أي قلتم: هلك محمد وأصحابه.

وأخرج البخاري[1] من حديث عَائِشَةَ ڤ: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ

(١) البخاري (٤١٠٣).

مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ قَالَتْ: كَانَ ذَاكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – لما جاءتكم الجنود من كل اتجاه وأحاطوا بالمدينة من جوانبها عندئذ حلَّ البلاء الشديد وحُرِّك المؤمنون بالفتنة تحريكًا عظيمًا فالثابت ثبته الله ﷻ والمنافق أظهر نفاقه وضعيف الإيمان أبان عن ضعف إيمانه، وأخرج أهل النفاق ما كان مُضمرًا في نفوسهم وكذا أظهر ضعفاء الإيمان ضعفهم فقالوا: أين هذا الذي وعدنا به محمدٌ ﷺ، قد كان يعدنا أننا سنفتح فارس والروم وكنوزهما ستنفق في سبيل الله فأين ذلك؟!!

وقالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا خداعًا وتغريرًا وباطلًا ليس له من الصواب والحق وجه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول: عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين، ومُحِّصَ القوم وعرف المؤمن من المنافق.

وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ يقول: وحرّكوا بالفتنة تحريكًا شديدًا، وابتلوا وفتنوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ شكّ في الإيمان وضعف في اعتقادهم إياه: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا، وذلك فيما ذكر قول معتب بن قشير.

وأورد بإسناد حسن[(١)] عن قتادة قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ قال: قال ذلك أُناس من المنافقين، قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبيّ ﷺ: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله ﷺ: «**إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُما في سَبِيلِ اللهِ**» فأين هذا من هذا، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ فقال له: كذبت، لأخبرنّ رسول الله ﷺ خبرك، قال: فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فدعاه فقال: «**ما قلت؟**» فقال: كذب عليّ يا رسول الله، ما قلت شيئًا، ما خرج هذا من فمي قطّ، قال الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ...﴾، حتى بلغ ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: ٧٤] قال: فهذا قول الله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال، حين نزلت الأحزاب حول المدينة، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم: أنهم ابتُلوا واختُبروا وزلزلوا زلزالًا شديدًا، فحينئذٍ ظهر النفاق، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم.

---

(١) وهذا تفسيرٌ من قتادة للآيات، وليس مسندًا منه إلى رسول الله ☐ كما هو واضح، وكذا ابن زيد في الأثر الذي بعده.

(٧٣) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ أما المنافق، فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حَسِيْكَة، ضَعُف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه؛ لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر إذ قالت جماعة من أهل النفاق، ومن ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم شك وارتياب، وضعف في الإيمان، قالت هذه الطائفة: يا أهل يثرب لا وجه لمرابطتكم مع رسول الله ﷺ في هذا المقام فارجعوا إلى بيوتكم سالمين، واتركوا الرباط اتركوا الثغور التي أنتم عليها واستقروا في بيوتكم فلم يعد بنافعٍ ولا مُجدٍ تواجدكم ها هنا فهكذا تنادوا فيما بينهم، نادى بعضهم بعضًا بهذا وطلب بعضهم من بعض هذا، وفريق آخر يستأذن رسول الله في التخلف عن المرابطة في الثغور كي يرجع إلى بيته، مُتعللًا بأن البيوت عرضة للسرقة، وليس لها أبواب جيدة ولا حصون جيدة، ولا جدران عالية، بل هي معرضة للسرقة، قال تعالى مكذبًا لهم: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هي حصينةٌ منيعةٌ، وليس هنالك سراقٌ كما يزعمون، ولكنهم يريدون الفرار والهرب.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ وإذ

قال بعضهم: يا أهل يثرب، ويثرب: اسم أرض، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية من يثرب. وقوله: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ بفتح الميم من مقام. يقول: لا مكان لكم، تقومون فيه، كما قال الشاعر:

فـأيّي مـا وأيُّـك كـانَ شَـرّا   فَقِيـدَ إلـى المَقامَـةِ لا يَرَاهـا

قوله: ﴿فَارْجِعُوا﴾ يقول: فارجعوا إلى منازلكم، أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه، وترك رسول الله ﷺ. وقيل: إن ذلك من قيل أوس ابن قيظي ومن وافقه على رأيه.

وقوله: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ويستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله ﷺ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ وإنها مما يلي العدوّ، وإنا نخاف عليها السرّاق، فبعث النبيّ ﷺ، فلا يجد بها عدوًّا، قال الله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ يقول: إنما كان قولهم ذلك: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ إنما كان يريدون بذلك الفرار.(١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: أي، هاهنا، يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة ﴿فَارْجِعُوا﴾، أي: إلى بيوتكم ومنازلكم. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ الطائفة تقع

(١) وهذا مرسل.

(٧٥) أحمر
أسود

على الواحد فما فوقه وعني به هنا أوس بن قيظي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ويثرب هي المدينة وسماها رسول الله ﷺ طيبة وطابة وقال أبو عبيدة : يثرب اسم أرض، والمدينة ناحية منها: السهيلي: وسميت يثرب لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن مهلائيل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن إرم وفي بعض هذه الأسماء اختلاف. وبنو عميل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول فيها وبها سُمِّيت الجحفة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بفتح الميم قراءة العامة وقرأ حفص والسلمي والجحدري وأبو حيوة : بضم الميم يكون مصدرًا من أقام يقيم أي لا إقامة أو موضعًا يقيمون فيه ومن فتح فهو اسم مكان أي لا موضع لكم تقيمون فيه ﴿فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ أي إلى منازلكم أمروهم بالهروب من عسكر النبي ﷺ. قال ابن عباس : قالت اليهود لعبد الله ابن أبي ابن سلول وأصحابه من المنافقين : ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه فارجعوا إلى المدينة فإنا مع القوم فأنتم آمنون.

قوله تعالى : ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة بن الحارث في قول ابن عباس وقال يزيد بن رومان : قال ذلك أوس بن قيظي عن ملإ من قومه ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ أي سائبة ضائعة ليست بحصينة وهي مما يلي العدو وقيل : ممكنة للسراق لخلوها من الرجال.

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ﴾ تكذيبًا لهم وردًّا عليهم فيما ذكروه ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣﴾ أي ما يريدون إلا الهرب قيل : من القتل وقيل : من الدين، وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار : بني حارثة

وبني سلمة وهموا أن يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿إِذْ هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، الآية فلما نزلت هذه الآية قالوا : والله ما ساءنا ما كنا هممنا به إذ الله ولينا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم– ولو دخل العدو على هؤلاء القوم المدينة أو بيوتهم من جوانبها، ثم طلب منهم أن يشركوا بالله لأشركوا وأطاعوه، وما تمسكوا بما هم عليه من الإيمان إلا زمنًا يسيرًا، ولبادروا بالكفر وقيل: وما تلبثوا بالمدينة إلا زمنًا يسيرًا، وقيل: وما تلبثوا بالممانعة إلا يسيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ من أقطارها، يعني: من جوانبها ونواحيها، واحدها: قطر، وفيها لغة أخرى: قُتر، وأقتار، ومنه قول الراجز:

إنْ شِئْتَ أنْ تدهن أو تمرا فَولِّهنَّ قُتْرَكَ الأشَرَّا

وقوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾ يقول: لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا. وقوله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ يقول: وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرًا قليلًا ولأسرعوا إلى ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دخل عليهم من نواحي المدينة ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: أي: الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾ يقول:

لأعطوها. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ يقول: إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا﴾ سئلوا أن يكفروا لكفروا. قال: وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش، والذين يريدون قتالهم، ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا. قال: والفتنة: الكفر، وهي التي يقول الله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] أي: الكفر. يقول: يحملهم الخوف منهم، وخبث الفتنة التي هم عليها من النفاق على أن يكفروا به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾: أنهم لو دَخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة، وقُطر من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة، وهي الدخول في الكفر، لكفروا سريعًا، وهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع.

هكذا فسرها قتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وابن جرير، وهذا ذم لهم في غاية الذم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الفتنة هنا وجهان:

أحدهما: سئلوا القتال في العصبية لأسرعوا إليه؛ قاله الضحاك.

الثاني: ثم سئلوا الشرك لأجابوا إليه مسرعين قاله الحسن ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ أي: بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلًا حتى يهلكوا قاله السدي والقتيبي والحسن والفراء وقال أكثر المفسرين: أي وما احتبسوا عن فتنة الشرك إلا

(٧٨) أحمر
أسود

قليلًا ولأجابوا بالشرك مسرعين وذلك لضعف نياتهم ولفرط نفاقهم فلو اختلطت بهم الأحزاب لأظهروا الكفر.



س: في قوله تعالى: ﴿لَأَتَوْهَا﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما؟

ج: القراءة الأولى: بالمد ﴿لآتوها﴾ ومعناها لأعطوها، أي: لأعطوا الفتنة وهي الشرك من طلبها منهم، أي: لأشركوا.

والثانية: بالقصر ﴿لَأَتَوْهَا﴾ أي لجاءوها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (لآتَوْها) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء مكة: ﴿لَأَتَوْهَا﴾ بقصر الألف، بمعنى جاءوها. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة: (لآتَوْها) بمدّ الألف، بمعنى: لأعطوها، لقوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾. وقالوا: إذا كان سؤال كان إعطاء. والمدّ أعجب القراءتين إليّ لما ذكرت، وإن كانت الأخرى جائزة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – ولقد كان هؤلاء الذين قالوا إن بيوتنا عورة، وأرادوا بذلك الفرار والهرب وترك المرابطة مع رسول الله ﷺ أمام الكفار، كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ عهدًا وأكدوا عهدهم، وأشهدوا الله على أنفسهم أنهم لن يولوا الأدبار ولن يتخلوا عن رسول الله ﷺ، وسيسألهم الله عن هذا العهد.

أما هذا العهد فمتى كان؟ فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدهما: أنه عند إسلامهم ومبايعتهم رسول الله ﷺ على نصرته والدفاع عنه.

الثاني: أنهم لما تخلفوا عن بدر أعطوا عهودًا بالثبات.

الثالث: أنهم لما انهزموا يوم أُحدٍ وفروا أعطوا عهودًا بالثبات.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه، ويقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، عاهدوا الله من قبل ذلك، ألا يولوا عدوّهم الأدبار، إن لقوهم في مشهد لرسول الله ﷺ معهم، فما أوفوا بعهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥﴾ يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه.

وذُكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥﴾ قال: كان ناس غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالًا لنقاتلنّ، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف، أن لا يولوا الأدبار ولا يفروا من الزحف ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي: وإن الله سيسألهم عن ذلك العهد، لا بد من ذلك.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين أرادوا الفرار، لن ينفعكم فراركم من الموت أو القتل فالآجال مقدرة ومكتوبة، وإن قُدِّر أنكم تخلفتم عن القتال فماذا عساكم أن تتمتعوا في هذه الحياة الدنيا، إنكم لن تمتعوا إلا زمنًا يسيرًا ثم تأتيكم منيتكم في الوقت الذي قدره الله عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون: إن بيوتنا عورة ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ يقول: لأن ذلك، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال، كرهتم أو أحببتم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: وإنما الدنيا كلها قليل.

وبإسناد صحيح عن ربيع بن خثيم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى آجالهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم، ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غرة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بعد هربكم وفراركم ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – قل لهؤلاء الذين أرادوا الفرار واستأذنوك للرجوع إلى ديارهم: من هذا الذي يمنعكم من الله إن أراد سوءًا من قتل أو جراح أو قلة مال أو تسلط عدوٍّ أو غير ذلك أو أراد بكم سلامة وعافية، وأمنًا وأمانًا وغير ذلك من صور النعم.

قل لهؤلاء: لن تجدوا وليًّا يتولاكم من دون الله ولا ناصرًا ينصركم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد! لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون:(إن بيوتنا عورة) هربا من القتل: من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءًا في أنفسكم، من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قِبَله؟

وقال $:

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءًا في أنفسهم وأموالهم (مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يليهم بالكفاية (وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء في ذلك.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يمنعكم منه. (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

سُوٓءًا﴾ أي: هلاكًا. ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ﴾ أي: خيرًا ونصرًا وعافية. ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧﴾ أي: لا قريبًا ينفعهم ولا ناصرًا ينصرهم.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم﴾، أي: يمنعكم، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧﴾، أي: ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجيرٌ ولا مغيث.



(٨٣) أحمر

أسود

قال الله تعالى:

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى
يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ
يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا
زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[الأحزاب: ١٨-٢٧]

(٨٤) **أحمر**
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ - هَلُمَّ إِلَيْنَا - وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ - أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ -يُغْشَىٰ عَلَيْهِ - سَلَقُوكُم - بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ - أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ -فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ - يَسِيرًا - ٱلْأَحْزَابَ - بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ - أَنۢبَآئِكُمْ - أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ - قَضَىٰ نَحْبَهُۥ - وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا - بِصِدْقِهِمْ - ظَٰهَرُوهُم - أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ - صَيَاصِيهِمْ - لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾	كثيرو التعويق، وهو الصد عن سبيل الله والصد عن الجهاد، وتخذيل المؤمنين، والصد عن سبل الخير عمومًا
﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾	تعالوا إلينا، وإلى ما نحن فيه من الراحة والأمان
﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾	لا يشهدون القتال
﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾	بخلاء عليكم – طامعون فيما عندكم – وطامعون فيما رزقكم الله من الغنائم وغيرها – بخلاء عليكم بالنفقة والنصح والقتال معكم والمشورة الصحيحة
﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾	يغمى عليه – يُصاب بالإغشاء
﴿سَلَقُوكُم﴾	السلق رفع الصوت، والمعنى استقبلوكم بأصوات مرتفعة قائلين إنا كنا معكم وتسببنا في نصركم، وقائلين غير ذلك أيضًا.
﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾	ألسنة شديدة (سواء في الثناء على أنفسهم أو في المطالبة بشيء من الغنائم وغير ذلك

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾	بخلاء بصنوف الخير عمومًا، لا يعطونكم إياها
﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ	أذهب الله ثواب أعمالهم – ضيِّع الله أعمالهم
﴿يَسِيرًا﴾	سهلًا غير شاق ولا عسير
﴿ٱلْأَحْزَابَ﴾	المراد المتحزبون لحرب الله ورسوله الذين حاصروا المدينة، وهم قريش وغطفان وغيرهم.
﴿بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾	ماكثون في البادية مع الأعراب
﴿أَنۢبَآئِكُمْ﴾	أخباركم
﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	قدوة تقتدون به
﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾	وفى بعهده ونذره، قضى أجله
﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾	وما غيَّروا – وما نقضوا العهد ولا الميثاق
﴿بِصِدْقِهِمْ﴾	بوفائهم بعهودهم
﴿ظَٰهَرُوهُم﴾	عاونوهم
﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، لكن المراد هنا يهود بني قريظة ومن كان معهم من غيرهم من اليهود
﴿صَيَاصِيهِمْ﴾	حصونهم
﴿لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾	لم تفتحوها – لم تغنموها ولم تدخلوها منتصرين على أهلها



(٨٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: يخبر الله ﷻ بأنه يعلم المُخذلين الذين يُخذّلون عن رسول الله ﷺ ويصدون الناس عن المرابطة معه على الثغور، ويصرفون الناس عن الجهاد في سبيل الله، فيقول: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ ﴾، وهم الذين يصرفون الناس عن الجهاد فهم كثيرو التعويق كثيرو الحث على عدم الجهاد، هؤلاء الذين يقولون لإخوانهم المجاهدين تعالوا إلينا واتركوا رسول الله ﷺ، واتركوا المرابطة معه عند الخندق، وتعالوا إلينا حيث الظلال الوارفة، والثمار اليانعة والأشجار المثمرة، ثم إن هؤلاء المعوقين لا يشهدون المعارك إلا في القليل النادر، وكأنه حياءً فقط وخجلًا من المؤمنين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله ﷺ فيصدّونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقا منهم، وتخذيلًا عن الإسلام وأهله ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ﴾: أي تعالوا إلينا، ودعوا محمدًا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيرًا، ودفعًا عن أنفسهم المؤمنين.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ قال: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك.

وقال الطبري: وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾: أي لا يشهدون القتال، يغيبون عنه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي المعترضين منكم؛ لأن يصدوا الناس عن النبي ﷺ وهو مشتق من عاقني عن كذا أي صرفني عنه وعوق، على التكثير ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ على لغة أهل الحجاز وغيرهم يقولون: «هَلُمُّوا» للجماعة و«هَلُمِّي» للمرأة لأن الأصل: «ها» التي للتنبيه ضمت إليها «لم» ثم حذفت الألف استخفافًا وبنيت على الفتح ولم يجز فيها الكسر ولا الضم لأنها لا تنصرف ومعنى هلم أقبل وهؤلاء طائفتان أي منكم من يثبط ويعوق والعوق المنع والصرف يقال: عاقه يعوقه عوقا وعوقه واعتاقه بمعنى واحد قال مقاتل: هم عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقون ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون قالوا للمسلمين: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس وهو هالك ومن معه فهلم إلينا. الثاني: أنهم اليهود من بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين: هلم إلينا أي تعالوا إلينا وفارقوا محمدا فإنه هالك وإن أبا سفيان إن ظفر لم يبق منكم أحدًا.

وأورد وجهًا آخر ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ خوفًا من الموت وقيل: لا يحضرون القتال إلا رياء وسمعة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم وعشائرهم وخلطائهم ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، أي:

إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن هؤلاء المنافقين المعوِّقين عن الجهاد في سبيل الله بخلاء عليكم يا أصحاب رسول الله ﷺ، يا أهل الإيمان، بخلاء عليكم إذا غنمتم يطالبونكم بالغنيمة أو بشيء كبير منها، بخلاء عليكم بالنصح والإرشاد، بخلاء عليكم بالجهاد معكم، فإذا جاءت الحروب بما فيها من خوف رأيت هؤلاء المنافقين في حالة ذُعرٍ شديد وخوف شديد وهلع شديد ينظرون إليك إذا رأوا العدو أو سمعوا بمجيئه وأعينهم تدور كالمغمى عليه، كالذي جاءته سكرات الموت، فإذا ذهب العدو، وانقلع الخوف، ورد الله أهل الكفر، وغنمكم عدوكم إذا بهؤلاء المنافقين يستقبلونكم بألسنة حادة وشديدة يقولون بصوت عالٍ: إنا فعلنا كذا وكذا، وفعلنا كذا وكذا، وينسبون لأنفسهم ما لم يفعلوه من شجاعة وإقدام وبسالة، وهم أجبن الناس وأخوف الناس.

مع العلم بأن هؤلاء أشحة على الخير، ليس فيهم كبير خير، ولا يُرجى منهم خير، فهؤلاء لم يؤمنوا، لم يوقنوا بقلوبهم، ولكنها أقوال تصدر من الألسن والأفواه فقط، فلذا فقد أحبط الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في وقت من الأوقات، بسبب نفاقهم ورياءهم وكفرهم الذي أضمروه في نفوسهم، وكان هذا الإحباط، إحباط أعمالهم شيئًا سهلًا على الله ﷻ ليس

بشاق عليه ولا بشديد، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به هؤلاء المنافقين في هذا الموضع من الشح، فقال بعضهم: وصفهم بالشحّ عليهم في الغنيمة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ﴾ في الغنيمة.

وقال آخرون: بل وصفهم بالشحّ عليهم بالخير.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشحّ، ولم يخصص وصفهم من معاني الشحّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ﴾ على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ﴾ كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله: ﴿۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ﴾ فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس على القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة، ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله: هلم إلينا أشحة، وهم هكذا أشحة. ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين لما في أنفسهم لهم من العداوة والضغن.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ﴾... إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا حضر البأس، وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لواذا بك، تدور أعينهم خوفا من القتل، وفرارا منه ﴿كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ يقول: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به ﴿فَإِذَا ذَهَبَ

(٩٠) أحمر
أسود

ٱلْخَوْفُ﴾ يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأنوا ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.

وأما قوله: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ فإنه يقول: عضوكم بألسنة ذربة. ويقال للرجل الخطيب الذرب اللسان: خطيب مسلق ومصلق، وخطيب سَلاق وصَلاق.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يسلقون المؤمنين به، فقال بعضهم: ذلك سلقهم إياهم عند الغنيمة بمسألتهم القسم لهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أما عند الغنيمة، فأشحّ قوم وأسوأ مقاسمة، أعطونا أعطونا فإنا قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحقّ.

وقال آخرون: بل ذلك سلقهم إياهم بالأذَى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يسلقونهم من القول بما تحبون نفاقًا منهم.

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ فأخبر أن سلقهم المسلمين شحًّا منهم على الغنيمة والخير، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أن ذلك لطلب الغنيمة. وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل في ذلك قول من قال: معنى ذلك: سلقوكم بالأذى، لأن فعلهم ذلك كذلك لا شكّ أنه للمؤمنين أذى.

وقوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ يقول: أشحة على الغنيمة إذا ظفر المؤمنون.

وقوله: ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات لم يصدّقوا الله ورسوله. ولكنهم أهل كفر

ونفاق، ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها.

وقوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾ يقول تعالى ذكره: وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم.

وقال السُّدي: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: في الغنائم.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي: فإذا كان الأمن، تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك.

وقال ابن عباس: ﴿سَلَقُوكُم﴾ أي: استقبلوكم.

وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق.

وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جَمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:

أفي السّلم أعْيَارًا جَفَاءً وغلظَةً وَفي الحَربْ أمْثَالَ النِّسَاء العَوَارِكِ

أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير.

والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحُيَّض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾ أي: سهلا هينا عنده.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾ أي بخلاء عليكم أي بالحفر في الخندق والنفقة في سبيل الله قاله مجاهد وقتادة وقيل: بالقتال معكم، وقيل: بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم، وقيل: أشحة بالغنائم إذا أصابوها.

وقال:

يحسن أن تقف على قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾ وقف حسن ومثله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ حال من المضمر في ﴿سَلَقُوكُم﴾ وهو العامل فيه ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ وصفهم بالجبن وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا بصره وربما غشي عليه، وفي الخوف وجهان:

أحدهما: من قتال العدو إذا أقبل قاله السدي.

الثاني: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب قاله ابن شجرة.

﴿رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ خوفا من القتال على القول الأول ومن النبي ﷺ على الثاني ﴿تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ﴾ لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة وقيل: لشدة خوفهم حذرا أن يأتيهم القتل من كل جهة ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ وحكى الفراء (صلقوكم) بالصاد وخطيب مسلاق ومصلاق إذا كان بليغا وأصل الصلق الصوت ومنه قول النبي ﷺ: «**لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة**» قال الأعشى:

فيهم المجد والسماحة والنجـ ـدة فيهم والخاطب السلاق

قال قتادة: ومعناه بسطوا ألسنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطنا أعطنا فإنا قد شهدنا معكم فعند الغنيمة أشح قوم وأبسطهم لسانا ووقت

البأس أجبن قوم وأخوفهم قال النحاس : هذا قول حسن لأن بعده ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ وقيل : المعنى بالغوا في مخاصمتكم والاحتجاج عليكم وقال القتبي : المعنى آذوكم بالكلام الشديد السلق : الأذى ومنه قول الشاعر :

ولقد سلقنا هوازنا بنواهل حتى انحنينا

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: على الغنيمة قاله يحيى بن سلام وقيل : على المال أن ينفقوه في سبيل الله قاله السدي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ يعني بقلوبهم وإن كان ظاهرهم الإيمان والمنافق كافر على الحقيقة لوصف الله ﷻ لهم بالكفر ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ﴾ أي لم يثبتهم عليها إذا لم يقصدوا وجه الله تعالى بها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما: وكان نفاقهم على الله هينًا.

الثاني: وكان إحباط عملهم على الله هينا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ٢٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن هؤلاء المنافقين لا يتوقعون نصر الله ﷻ لكم، لسوء ظنهم بالله، فإن هؤلاء المنافقين، وإن صرف الله الأحزاب وردهم خائبين، وقد انطلقوا مذعورين، فإنهم لا يصدقون ولا يتوقعون أن يكون الأحزاب قد انصرفوا، وإن قدر الله ورجع الأحزاب إليكم يتمنى هؤلاء المنافقون أنهم في البادية هنالك مع الأعراب يسألون عن أخباركم، ماذا صنع محمد وأصحاب محمد ولو أنهم كانوا معكم ما قاتلوا معكم عدوّكم إلا شيئًا

قليلًا دفعًا للمعرّة عن أنفسهم أمامكم وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب، وهم قريش وغطفان.

وقوله: ﴿لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾ يقول: لم ينصرفوا، وإن كانوا قد انصرفوا جبنًا وهَلعًا منهم.

وقوله: ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة: واحدهم حزب ﴿يَوَدُّواْ﴾ يقول: يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفا من القتل.

وذلك أن قوله: ﴿لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ تقول: قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو، وهو باد؛ وأما الأعراب: فإنهم جمع أعرابيّ، وواحد العرب عربيّ، وإنما قيل: أعرابيّ لأهل البدو، فرقا بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر.

وقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ﴾ يقول: يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم، يعني: عن أخباركم بالبادية، هل هلك محمد وأصحابه؟ تقول: يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم، ألا يشهدوا معكم مشاهدكم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا يقول: إلا تعذيرا، لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور، ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾ بل هم قريب منهم، وإن لهم عودة إليهم ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ﴾ أي: ويَوَدّون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية، يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم، ﴿وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠﴾ أي: ولو كانوا بين أظهركم، لما قاتلوا معكم إلا قليلًا؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾ أي لجبنهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا وكانوا انصرفوا ولكنهم لم يتباعدوا في السير ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ أي وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال ﴿يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ تمنوا أن يكونوا مع الأعراب حذرًا من القتل وتربصًا للدوائر، وقرأ طلحة بن مصرف «**لو أنهم بدى في الأعراب**» يقال: باد وبدى مثل غاز وغزى ويمد مثل صائم وصوام بدا فلان يبدو إذا خرج إلى البادية وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح وأصل الكلمة من البدو وهو الظهور ﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ وقرأ يعقوب في رواية رويس «**يتساءلون عن أنبائكم**» أي عن أخبار النبي ﷺ يتحدثون: أما هلك محمد وأصحابه أما غلب أبو سفيان وأحزابه أي يودوا لو أنهم بادون سائلون عن أنبائكم من غير مشاهدة القتال لفرط جبنهم وقيل: أي هم أبدا لجبنهم يسألون عن أخبار المؤمنين وهل أصيبوا وقيل: كان منهم في أطراف المدينة من لم يحضر الخندق جعلوا يسألون عن أخباركم ويتمنون هزيمة المسلمين

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ أي رميا بالنبل والحجارة على طريق الرياء والسمعة ولو كان ذلك لله لكان قليله كثيرًا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: لقد كان لكم يا أهل الإسلام في رسولكم قدوة حسنة تقتدون به، فكان من اللائق أن تقتدوا بنبيكم ﷺ فيما كان عليه من الصبر والمصابرة والمرابطة، والتضحية والفداء، فمن كان يرجو ثواب الله ﷻ ويرجو لقاء الله ﷻ، وكان لله ذاكرًا ذكرًا كثيرًا فليتأسَّ برسول الله ﷺ وليفعل فعله وليقتد به.

قال الطبري $:

وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله ﷺ وعسكره بالمدينة، من المؤمنين به، يقول لهم جلّ ثناؤه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلَّفوا عنه ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ يقول: فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أُسوة في أن يكون معه حيث يكون هو.

وقال ابن كثير $:

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا

وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ هذا عتاب للمتخلفين عن القتال أي كان لكم قدوة في النبي ﷺ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق والأسوة: القدوة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأسوة ما يتأسى به أي يتعزى به فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يلف إلا صابرًا محتسبًا وشاكرًا راضيًا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختلف فيمن أريد بهذا الخطاب على قولين:

أحدهما: المنافقون عطفا على ماتقدم من خطابهم.

الثاني: المؤمنون لقوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ واختلف في هذه الأسوة بالرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هل هي على الإيجاب أو على الإستحباب على قولين:

أحدهما: على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.

الثاني: على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا.

قلت (مصطفى): وفي التأسي به ﷺ تفصيل من ناحية الوجوب أو الاستحباب أو الإباحة، والله أعلم.



س: ما هذا الوعد الذي عناه المؤمنون بقولهم ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؟

ج: قال عددٌ من العلماء: إنه المذكور في سورة البقرة إذ الله قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم- ولما رأى أهل الإيمان والتصديق واليقين أحزاب الكفار قد اجتمعوا عليهم من كل صوب وحدب تذكروا ما وعدهم الله ورسوله في الكتاب العزيز بأنهم سيبتلون ويختبرون فقالوا مصدقين بوعد الله ﷻ، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادتهم تلك الجموع التي رأوها والأحزاب التي تألبت عليهم من كل صوبٍ وحدبٍ إلا إيمانًا واستسلامًا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ يقول: ولمَّا عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا -تسليما منهم لأمر الله، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ...﴾ إلى قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]- ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾ فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع

(٩٩) أحمر
أسود

الأحزاب عليهم إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وكان الله قد وعدهم في سورة البقرة فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ...﴾ [البقرة: ٢١٤] خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ هذا والله البلاء والنقص الشديد، وإن أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا ما أصابهم من الشدّة والبلاء ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ وتصديقًا بما وعدهم الله، وتسليمًا لقضاء الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مخبرًا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم، وجَعْله العاقبةَ حاصلةً لهم في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

قال ابن عباس وقتادة: يعنون قوله تعالى في «سورة البقرة»: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾: دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قاله جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص. وقد

(١٠٠) أحمر
أسود

قررنا ذلك في أول «شرح البخاري» ولله الحمد والمنة.

ومعنى قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ أي: ذلك الحال والضيق والشدة ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بالله، ﴿وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: انقيادا لأوامره، وطاعة لرسوله.



فضيلة لأنس بن النضر رضي الله عنه

س: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾؟

ج: نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه أخرج البخاري[(١)] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: نُرَى هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

وعند أحمد ومسلم[(٢)] من حديث أنس رضي الله عنه قال: عَمِّي (أَنَسٌ) الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا قَالَ: فَشَقَّ عَلَيْهِ. قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ. وَإِنْ أَرَانِي اللهُ مَشْهَدًا، فِيمَا بَعْدُ، مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ. قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا. قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ. فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو! أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ قَالَ فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ، مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ. قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ، عَمَّتِي الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ.

---

(١) البخاري (٤٧٨٣).

(٢) أحمد (٣/١٩٤)، ومسلم (١٩٠٣).

وعند الطبري[(١)] وغيره بإسناد صحيح عن حميد قال: زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالا ليرينّ الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أُحُد، انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، فمشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع وثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، قال أنس: فكنا نتحدّث أن هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ نزلت فيه، وفي أصحابه.



فضيلة لطلحة رضي الله عنه

س: اذكر صحابيًّا قال رسول الله ﷺ في شأنه: إنه ممن قضى نحبه؟

ج: ذاك طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

أخرج الطبري وغيره[(٢)] بسندٍ صحيح.

عَنْ طَلْحَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ قال: وَكَانُوا لَا يَجْرِؤُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ، فَقَالُوا لِلْأَعْرَابِيِّ سَلْهُ ﴿مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾؟ فَسَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ دَخلت مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ وَعَلَيَّ ثِيَابٌ

(١) الطبري (٢٨٤٢٨) وأصله في الصحيح دون ذكر سبب النزول.

(٢) وأخرجه أيضًا أبو يعلى (٢/٢٦-٢٧)، والترمذي (٣٧٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٩).

خُضْرٌ، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلِي عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟» قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ».

وعند البخاري (١) من طريق قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ قَدْ شُلَّتْ.

وَفِي رِوَايَة: وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ.

وعند أبي يعلى (٢) من حديث الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ: «أَوْجَبَ طَلْحَةَ حِينَ صَنَعَ برسولِ الله ﷺ مَا صَنع».



س: ما هذا العهد الذي عاهدوا الله عليه، وقال تعالى في شأنه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه العهد الذي ذكره الله أو قال: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أن المعنى، من المؤمنين رجال أوفياء وفَّوا بما عاهدوا الله عليه ووفوا بالعهود التي أخذها عليهم رسول الله ﷺ والتي فيها أن لن يفروا ولن يهربوا عند الحرب ولن يتخلوا عن رسول الله ﷺ،

---

(١) البخاري (٣٧٢٤ و ٤٠٦٣).

(٢) أبو يعلى (٣٣/٢) بسندٍ حسن، والترمذي (٣٧٣٨)، وأحمد (١٦٥/١).

فهؤلاء الرجال صدقوا وما كذبوا، ووفوا وما غدروا، وأدوا الأمانة ولم يخونوها فمنهم من قضى أجله شهيدًا في سبيل الله لنصرة دين الله، ولنصرة رسول الله ﷺ، ومنهم من لا يزال قائمًا مدافعًا عن الدين حتى يأتيه الأجل وحتى يتسنى له قضاء نذره، وما غيَّر هؤلاء ولا بدلوا كما فعل أهل النفاق، بل ثبتوا على العهد والوفاء به.

أما قوله تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ...﴾ فحاصل معناه،والله أعلم أننا ابتليناهم حتى نعلم الصادق منهم في دعواه، والوفيَّ منهم بعهده من الغادر الخائن، فالذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه سيجزيهم الله بوفائهم أفضل الجزاء وأحسن الجزاء، والذين غدروا ونقضوا العهد والميثاق أمرهم موكول إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤﴾ فيه فتح باب التوبة أمام المسرفين حتى لا ييأس شخص من رحمة الله ولا يقنط من روح الله. فهؤلاء الذين نكلوا عن رسول الله، ونقضوا العهد، فتح لهم باب التوبة كي يتوبوا ويصلحوا وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤﴾.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بالله ورسوله ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه. والنحب: النذر في كلام العرب. وللنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك،

(١٠٤) أحمر
أسود

منها الموت، كما قال الشاعر:

قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى القَوْمِ هَوْبَرُ

يعني: منيته ونفسه؛ ومنها الخطر العظيم، كما قال جرير:

بِطَخْفَـةَ جالَـدْنا المُلُـوكَ وَخَيْلُنَـا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ

أي على خطر عظيم؛ ومنها النحيب، يقال: نحب في سيره يومه أجمع: إذا مدّ فلم ينزل يومه وليلته؛ ومنها التنحيب، وهو الخطار، كما قال الشاعر:

وإذْ نَحَّبَتْ كَلْبٌ على النَّاس أيُّهُمْ أحَقُّ بِتاجِ المَاجِدِ المُتَكَرِّمِ؟

وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾: وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييرًا، كما غيره المعوّقون القائلون لإخوانهم: هلمّ إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ يقول: ما شكُّوا وما تردّدوا في دينهم، ولا استبدلوا به غيره.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾: لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون.

وقوله: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ... لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾: يقول: ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه، ووفائهم له به ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بكفرهم بالله ونفاقهم ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ من نفاقهم، فيهديهم للإيمان.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يقول: إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان.

قال الطبري: إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بقوله: ﴿إِن شَآءَ﴾ والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق، فيقال:

ويعذّبه إن شاء؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته. وإنما معنى ذلك: ويعذّب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء، فيستوجبوا بذلك العذاب، فالاستثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم.

وقد بين ما قلنا في ذلك قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فمعنى الكلام إذن: ويعذّب المنافقين إذ لم يهدهم للتوبة، فيوفقهم لها، أو يتوب عليهم فلا يعذّبهم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ يقول: إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين، رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لمَّا ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾، قال بعضهم: أجله.

وقال البخاري: عهده. وهو يرجع إلى الأول.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه.

وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: وما غيَّروا عهدهم، وبدَّلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ﴾.

وقوله: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ أي: إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا

يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، فهذا علم بالشيء بعد كونه، وإن كان العلم السابق حاصلًا به قبل وجوده. وكذا قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. ولهذا قال هاهنا: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به، ومحافظتهم عليه . ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾: وهم الناقضون لعهد الله، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، وعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان. ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: أمر الله بالجهاد ليجزي الصادقين في الآخرة بصدقهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ في الآخرة ﴿إِن شَاءَ﴾ أي: إن شاء أن يعذبهم لم يوفقهم للتوبة؛ وإن لم يشأ أن يعذبهم تاب عليهم قبل الموت. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.



س: هل صح أن هذه الآية الكريمة كانت مفقودة إلى أن وجدت مع خزيمة ابن ثابت؟

ج: أخرج البخاري[1] في صحيحه من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ فَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) البخاري (٤٧٨٤).

(١٠٧) أحمر
أسود

يَقْرَؤُهَا، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ - الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وردَّ الله ﷻ الأحزاب عن مدينة رسول الله لم يصيبوها بسوء ولا مكروه ولم يصيبوا أهلها كذلك بسوء ولا مكروه، ولم يحظوا بما راموه وتمنَّوه وأرادوه، فلم يرجعوا بغنيمة ولا مال ولا ظفروا بمسلم ولا مسلمة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أرسله على أهل الكفر من جنودٍ من الملائكة الكرام وريح الصبا التي نصر الله بها أهل الإيمان.

وكان الله ﷻ قويًّا لا يُغلب ولا يُغلب جنده وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ به وبرسوله من قُرَيش وغطفان ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ يقول: بكربهم وغمهم، بفوتهم ما أمَّلوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا طَمِعوا فيه من الغَلَبة ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ﴾ يقول: لم يصيبوا من المسلمين مالًا ولا إسارًا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾ بجنود من الملائكة والريح التي بعثها عليهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ﴾ وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب، ردّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيرا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾ بالجنود من عنده، والريح التي بعث عليهم.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالجنود من عنده، والريح التي بعث عليهم.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ يقول: وكان الله قويًّا على فعل ما يشاء فعله بخلقه، فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله، لا يغلبه غالب؛ ﴿عَزِيزًا﴾: يقول: هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾: قويًّا في أمره، عزيزًا في نقمته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، ولكن قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فسلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهَوَى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحَنَقهم، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بالعداوة، وهمهم بقتله، واستئصال جيشه، ومَنْ هَمّ بشيء وصَدق هَمَّه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله.

وقوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ أي: لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**».

(١٠٩) أحمر
أسود

وفي الصحيحين من حديث إسماعيل[1] بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوْفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم**». وفي قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم.

وأورد حديث سليمان بن صُرَد قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا**»[2].

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: بحوله وقوته، ردهم خائبين، لم ينالوا خيرًا، وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، فله الحمد والمنة.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الطبري[3] بإسنادٍ صحيح من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: حُبسنا يوم الخندق عن الصلاة، فلم نصلّ الظهر، ولا العصر، ولا المغرب، ولا العشاء، حتى كان بعد العشاء بهويّ كفينا، وأنزل الله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ فأمر رسول الله ﷺ بلالًا فأقام الصلاة، وصلى الظهر، فأحسن صلاتها، كما كان يصليها في وقتها، ثم صلى العصر كذلك، ثم صلى المغرب كذلك، ثم صلى العشاء كذلك، جعل لكل صلاة إقامة، وذلك

(١) البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤١).
(٢) البخاري (٤١٠٩)، وأحمد (٤/٢٦٢).
(٣) الطبري (٢٨٤٣٩، ٢٨٤٤٠).

قبل أن تنزل صلاة الخوف ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأنزل الله ﷻ يهود بني قريظة وهم الذين عاونوا الأحزاب الكافرة (قريشًا وغطفان وغيرهم)، أنزلهم الله ﷻ من حصونهم التي كانوا بها يتحصنون وقذف في قلوبهم الخوف والفزع الشديد فأدى ذلك إلى استسلامهم فحكم فيهم سعدُ بن معاذ ﵁ بأن تقتل مقاتلتهم وتُسبى نساءهم وذراريهم، فكان القتل خاصًّا عمن بلغ من الرجال والسبي للنساء والصبيان، وغنّمكم الله يا أهل الإسلام ارض بني قريظة وأموالهم، وكذا منَّ الله ﷻ عليكم بأرض لم تنزلوها في حينكم فغنَّمكم إياها بعد ذلك، وقد قيل: إنها أرض خيبر، وقيل: إنها مكة، وقيل: فارس والروم، وقيل غير ذلك، وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيءٌ، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري ﵀:

يقول تعالى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك هو مظاهرتهم إياه، وعنى بذلك بني قريظة، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: من أهل التوراة، وكانوا يهود: وقوله: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعني: من حصونهم.

وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ يقول: وألقى في قلوبهم الخوف منكم ﴿فَرِيقًا

تَقۡتُلُونَ﴾ يقول: تقتلون منهم جماعة، وهم الذين قتل رسول الله ﷺ منهم حين ظهر عليهم ﴿وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يقول: وتأسرون منهم جماعة، وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا.

وقوله: ﴿وَأَرۡضًا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ اختلف أهل التأويل فيها، أيّ أرض هي؟ فقال بعضهم: هي الروم وفارس ونحوها من البلاد التي فتحها الله بعد ذلك على المسلمين.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَأَرۡضًا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ قال: قال الحسن: هي الروم وفارس، وما فتح الله عليهم.

وقال آخرون: هي مكة.

وقال آخرون: بل هي خيبر.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم، وأرضا لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خَيبر، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن، مما كان وطئوه يومئذ، ثم وطئوا ذلك بعد، وأورثهموه الله، وذلك كله داخل في قوله: ﴿وَأَرۡضًا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾. يقول تعالى ذكره: وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك، وعلى نصره إياهم، وغير ذلك من الأمور ذا قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب

رسول الله ﷺ ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: بني قريظة من اليهود، من بعض أسباط بني إسرائيل، كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما، طَمَعًا في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، فعليهم لعنة الله.

وقوله: ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ يعني: حصونهم. كذا قال مجاهد، وعِكْرِمة، وعطاء، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم ومنه سميت صياصي البقر، وهي قرونها؛ لأنها أعلى شيء فيها.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾: وهو الخوف؛ لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ، وليس مَنْ يعلم كمن لا يعلم، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليَعزّوا في الدنيا، فانعكس عليهم الحال، وانقلب الفال، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون، فكما راموا العز ذلوا، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقًا﴾، فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء.

قال الإمام أحمد[(١)]: حدثنا هُشَيْم بن بشير، أخبرنا عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي قال: عُرضتُ على النبي ﷺ يوم قريظة فشكوا فيَّ، فأمر بي النبي ﷺ أن ينظروا: هل أنبت بعد؟ فنظروا فلم يجدوني أنبت، فخلى عني وألحقني بالسبي.

بعض مرويات غزوة بني قريظة

(١) أحمد في المسند (٤/٣٨٣) وسنده صحيح.

س: اذكر شيئًا من المرويات الصحيحة الواردة في شأن غزوة بني قريظة؟

ج: أورد البخاري ومسلم في صحيحهما جملة من ذلك، منها ومن غيرها ما يلي أخرج البخاري[1] من حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﵇ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا. وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ.

وما أخرجه بسنده إلى[2] أَنَسٍ ﵁ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

وما أخرجه بسنده[3] إلى ابن عمرَ ﭬ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ»[4].

---

(١) البخاري (٤١١٧).

(٢) البخاري (٤١١٨).

(٣) البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠).

(٤) **قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/١١٠ فما بعدها):** واختلف الفقهاء أيّهما كان أصوب؟ فقالت طائفة: الذين أَخَّروها هم المصيبون، ولو كنا معهم، لأخرناها كما أخروها، ولما صليناها إلا في بني قريظة امتثالًا لأمره وتركًا للتأويل المخالف للظاهر.

وقالت طائفة أخرى: بل الذين صلوها في الطريق في وقتها حازوا قصب السبق، وكانوا أسعد بالفضيلتين، فإنهم بادروا إلى امتثال أمره في الخروج، وبادروا إلى مرضاته في الصلاة في وقتها، ثم= = بادروا إلى اللحاق بالقوم، فحازوا فضيلة الجهاد، وفضيلةَ الصلاة في وقتها، وفهموا ما يراد منهم، وكانوا أفقه من الآخرين، ولا سيما تلك الصلاة، فإنها كانت صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذي لا مدفع له ولا مطعن فيه. ومجيء السُّنة بالمحافظة

(١١٤) أحمر
أسود

وأخرج البخاري[(١)] من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخَلَاتِ حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْأَلَهُ الَّذِي كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمُّ

عليها، والمبادرة إليها، والتبكير بها، وأن من فاتته، فقد وتر أهله وماله، أو قد حبط عمله.

فالذي جاء فيها أمر لم يجئ مثله في غيرها، وأما المؤخرون لها، فغايتهم أنهم معذورون، بل مأجورون أجرًا واحدًا لتمسّكهم بظاهر النص، وقصدهم امتثال الأمر، وأما أن يكونوا هم المصيبين في نفس الأمر، ومن بادر إلى الصلاة وإلى الجهاد مخطئًا، فحاشا وكلا، والذين صلوا في الطريق، جمعوا بين الأدلة، وحصلوا الفضيلتين، فلهم أجران، والآخرون مأجورون أيضًا رضي الله عنهم.

فإن قيل: كان تأخير الصلاة للجهاد حينئذٍ جائزًا مشروعًا، ولهذا كان عقب تأخير النبي ﷺ العصر يوم الخندق إلى الليل، فتأخيرهم صلاة العصر إلى الليل، كتأخيره لها يوم الخندق إلى الليل سواء، ولا سيما أن ذلك كان قبل شروع صلاة الخوف.

قيل: هذا سؤال قوي، وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن يقال: لم يثبت أن تأخير الصلاة عن وقتها كان جائزًا بعد بيان المواقيت، ولا دليل على ذلك إلا قصة الخندق، فإنها هي التِي استدلّ بها من قال ذلك، ولا حجة فيها؛ لأنه ليس فيها بيان أن التأخير من النبي ﷺ كان عن عمد، بل لعله كان نسيانًا، وفي القصة ما يشعر بذلك، فإن عمر لما قال له: يا رسول الله، ما كدت أصلّي العصر حتى كادت الشمس تغرب، قال رسول الله ﷺ: «**والله ما صليتها**». ثم قام، فصلاها. وهذا مشعر بأنه كان ناسيًا بما هو فيه من الشغل، والاهتمام بأمر العدو المحيط به، وعلى هذا يكون قد أخرها بعذر النسيان، كما أخرها بعذر النوم في سفره، وصلاها بعد استيقاظه، وبعد ذكره؛ لتتأسى أمته به.

والجواب الثاني: أن هذا على تقدير ثبوته إنما هو في حال الخوف والمُسايفة عند الدهش عن تعقّل أفعال الصلاة، والإتيان بها، والصحابة في مسيرهم إلى بني قريظة، لم يكونوا كذلك، بل كان حكمهم حكم أسفارهم إلى العدو قبل ذلك وبعده، ومعلومٌ أنهم لم يكونوا يؤخرون الصلاة عن وقتها، ولم تكن قريظة ممن يخاف فوتهم، فإنهم كانوا مقيمين بدارهم، فهذا منتهى أقدام الفريقين في هذا الموضع.

فائدة: قال ابن القيم في زاد المعاد (٣/١١٤-١١٥ ط. ابن رجب): فغزوة بنِي قَيْنُقَاع عقب بدر، وغزوة بنِي النضير عقب غزوة أُحد، وغزوة بنِي قُريظة عقب الخندق.وأما يهود خيبر، فسيأتِي ذكر قصتهم إن شاء الله تعالى.

(١) البخاري (٤١٢٠).

أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي، تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا - أَوْ كَمَا قَالَتْ- وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَكِ كَذَا» وَتَقُولُ: كَلَّا وَاللهِ، حَتَّى أَعْطَاهَا - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ- عَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. أَوْ كَمَا قَالَ».

ومن حديث أَبِي سَعِيدٍ[١] الخدريّ ؓ يَقُول: «نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ** -أَوْ **خَيْرِكُمْ**- فَقَالَ: **هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ** فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ. قَالَ: **قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللهِ** وَرُبَّمَا قَالَ: **بِحُكْمِ الْمَلِكِ**».

ومن حديث[٢] عَائِشَةَ ؓ قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ. فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ؏ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنْ الْغُبَارِ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَيْنَ؟**» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ. قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ

---

(١) البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨).
(٢) البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ. فَلَمْ يَرُعْهُمْ – وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ – إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: **يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟** فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا ﷺ».

وفي رواية عند مسلم[1]: فَانْفَجَرَ مِنْ لَيْلَتِهِ. فَمَا زَالَ يَسِيلُ حَتَّى مَاتَ –وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ– قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... فَمَا فَعَلَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... غَدَاةَ تَحَمَّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ
تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا ... وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ
وَقَدْ قَالَ الْكَرِيمُ أَبُو حُبَابٍ ... أَقِيمُوا قَيْنُقَاعُ وَلَا تَسِيرُوا
وَقَدْ كَانُوا بِبَلْدَتِهِمْ ثِقَالًا ... كَمَا ثَقُلَتْ بِمَيْطَانَ الصُّخُورُ

وأخرج البخاري[2] من حديث الْبَرَاءَ بن عازبٍ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: **اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ**».



(١) عقب حديث (١٧٦٩).
(٢) البخاري (٤١٢٤).

آية التخيير ومناقب
لأهل بيت النبي ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ
أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ
مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ
وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ
فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي
بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ
تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

[الأحزاب: ٢٨-٣٤]

س: وضح معنى ما يلي:
﴿أُمَتِّعۡكُنَّ -وَأُسَرِّحۡكُنَّ -سَرَاحٗا جَمِيلٗا -وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ -بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ -يَقۡنُتۡ -رِزۡقٗا كَرِيمٗا -إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ -فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ -فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ - وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ -ٱلرِّجۡسَ - وَٱلۡحِكۡمَةِ -لَطِيفًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أُمَتِّعۡكُنَّ﴾	أعطيكن ما تعطاه المطلقة من المتاع والمال أو نحوه
﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ﴾	أطلقكن
﴿سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾	تطليقًا جميلًا وفق ما أمرني الله به
﴿وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾	الثواب يوم القيامة – الجنة في الآخرة
﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾	قيل: المراد الزنا – وقيل: الكبائر عمومًا – وقيل: النشوز والتعالي
﴿يَقۡنُتۡ﴾	يطيع
﴿رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾	رزقًا حسنًا وهو الجنة
﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾	إن أطعتن
﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾	فلا تكنَّ – لا يكن قولكن ليِّنًا
﴿فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾	في قلبه شك ونفاق – في قلبه حب إتيان الفواحش
﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾	استقررن في بيوتكن – الزمن بيوتكن
﴿ٱلرِّجۡسَ﴾	الشيطان – الشرك – السوء والفحشاء

(١١٩) أحمر
أسود

﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾	السُّنة
﴿لَطِيفًا﴾	ذا لطفٍ



س: ما سبب نزول آية التخيير؟

ج: أخرج مسلم[(١)] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ. قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ. فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا. قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**» فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ**» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ! أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ. قَالَ: «**لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**».

---

(١) مسلم (١٤٧٨).

وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رضي الله عنه عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ لَهُمَا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ...﴾ فذكر الحديث.

وفيه فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ وَكَانَ قَدْ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا» مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللهُ فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ» وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمًا﴾ قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ.



س: ما الذي صنعه رسول الله ﷺ عند نزول آيات التخيير هذه؟

ج: أخرج البخاري[(٢)] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَهَا حِينَ أَمَرَ اللهُ أَنْ يُخَيِّرَ أَزْوَاجَهُ، فَبَدَأَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، وقَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ. قَالَت: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ إِلَى تَمَامِ الآيَتِينِ فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ

(١) البخاري (مع الفتح ٦/٣٩)، ومسلم (١٠/٩٣).
(٢) البخاري (٤٧٨٥، ٧٤٨٦)، ومسلم (١٤٧٥).

(١٢١) أحمر
أسود

اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ».

وَفِي رِوَايَة[1] لمسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا مَضَى تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدَأَ بِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا. وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَعُدُّهُنَّ فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ**» ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**» ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ الْآيَةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ عَلِمَ وَاللهِ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَوَ فِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.



س: ما المراد بالسراح الجميل المذكور في قوله: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾؟

ج: المراد الطلاق وفق ما أمر الله به، أي على الوجه الذي أمر الله به.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾؟

ج: هذا أمرٌ من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ بتخيير نساءه بين الدنيا وحطامها وبين الآخرة وثوابها، وكان ذلك لما سألته النفقة، واستقللن قدر النفقة التي يعطيها لهن رسول الله ﷺ، وقيل: إن ذلك بسبب شدة غيرتهن عليه، والأول أولى.

---

(١) في طرق حديث (١٤٧٥) بعده بقليل.

فأمره الله ﷻ بأن يخيرهن فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: الدنيا بما فيها من متاع وزينة ﴿فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ أي: أعطيكن المتعة التي تعطاها المطلقات ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ وأطلقكن طلاقًا وفق ما أمرني الله ﷻ به.

ومن هذا التسريح الجميل، تسريحهن بإحسان، كما قال تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أما إذا كنتن تردن وجه الله ﷻ، ولقاء الله ﷻ وطاعة الله والثواب الذي عند الله ﷻ، وتردن البقاء مع رسول الله ﷺ كزوجات مطيعات له فأبشرن بما أعدَّه الله لكنَّ، فقد أعد للمحسنات منكنَّ الراغبات في الآخرة المحسنات في التعامل مع رسول الله ﷺ، اللواتي يأتين بالنفل مع الفرض، أعدَّ الله لهنَّ أجرًا عظيمًا، وهو عظيم الثواب يوم القيامة بإدخالهان الجنة برفقة النبي ﷺ، ويالله من عظيم الأجر وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد، ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ يقول: فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهنّ بالطلاق بقوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ يقول: وأطلقكنّ على ما أذن الله به، وأدّب به عباده بقوله: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يقول: وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ وهن العاملات منهنّ بأمر الله وأمر رسوله ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا

(١٢٣) أحمر
أسود

.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئا من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا، فيما ذكر، ثم أمره الله أن يخيرهنّ بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهنّ، والعمل بطاعة الله، وبين أن يمتِّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذي يقسم لهن. وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا أمرٌ من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يخَيّر نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يَحصُل لهن عنده الحياةُ الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن، رضي الله عنهن وأرضاهن، الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وأورد ما أخرجه البخاري(١): من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة، ڤ، زوج النبي ﷺ أخبرته: أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تستَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**». وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوهًا أُخر لهذا الحديث.



(١) البخاري (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٧٥).

تخيير الزوجة لا يُعدُّ طلاقًا

س: هل تخيير الرجل زوجته بين الفراق والإبقاء عليها يُعدُّ طلاقًا؟

ج: لا يعد طلاقًا عند جماهير العلماء .

أخرج البخاري ومسلم[١] في صحيحيهما من حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: خَيَّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاخْتَرْنَا اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَمْ يَعُدَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا شَيْئًا.

وفي رواية في الصحيحين[٢] لذلك من طريق مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ الْخِيَرَةِ فَقَالَتْ: خَيَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَفَكَانَ طَلَاقًا؟

قَالَ مَسْرُوقٌ: لَا أُبَالِي أَخَيَّرْتُهَا وَاحِدَةً أَوْ مِائَةً بَعْدَ أَنْ تَخْتَارَنِي.

وفِي بَعضِ ألفَاظِ مُسْلِم مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةُ عَنْ عَاصِم عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَلَمْ يَكُنْ طَلَاقًا.

قَالَ النَّوَوي ﵀: فِي هَذِهِ الْأَحَادِيث دَلَالَة لِمَذْهَبِ مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَأَبِي حَنِيفَة وَأَحْمَد وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء أَنَّ مَنْ خَيَّرَ زَوْجَته فَاخْتَارَتْهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ طَلَاقًا وَلَا يَقَع بِهِ فُرْقَة.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيّ وَزَيْد بْن ثَابِت وَالْحَسَن وَاللَّيْث بْن سَعْد أَنَّ نَفْس التَّخْيِير يَقَع بِهِ طَلْقَة بَائِنَة سَوَاء اِخْتَارَتْ زَوْجهَا أَمْ لَا، وَحَكَاهُ الْخَطَّابِيّ وَالنَّقَّاش عَنْ مَالِك، قَالَ الْقَاضِي: لَا يَصِحّ هَذَا عَنْ مَالِك . ثُمَّ هُوَ مَذْهَب ضَعِيف مَرْدُود بِهَذِهِ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة الصَّرِيحَة ، وَلَعَلَّ الْقَائِلِينَ بِهِ لَمْ تَبْلُغهُمْ هَذِهِ الْأَحَادِيث وَاَللَّه أَعْلَم.

قلت: ومن خيَّر زوجته فاختارت نفسها فيعده كثير من أهل العلم طلاقًا ولا نعلم لهم دليلًا صريحًا، ولكننا لا نراه طلاقًا حتى يُحدث المطلق نفسه

(١) البخاري (٥٢٦٢ مع الفتح (٣٦٧/٩))، ومسلم (٦٧٧/٣).
(٢) البخاري (٥٢٦٣)، ومسلم (٦٧٧/٣).

الطلاق إذ إن الأمر بيد الرجل وهو صاحب الحق في طلاق زوجته أو إمساكها.

وقد قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ..﴾ [النساء: ٣٤] الآية[(١)].

من جعل أمر امرأته بيدها فطلَّقت نفسها هل يقع الطلاق؟

* ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الرجل إذا ملَّك امرأته أمرها (أي: قال لها: أمرك بيدك) فطلقت نفسها أن ذلك الطلاق يقع، ولكنهم اختلفوا هل يقع واحدة أو يقع ثلاثًا وتكون قد بانت منه، أو أن الأمر بيدها والقضاء ما قضت به فإن اختارت واحدة فواحدة أو اثنتين فاثنتان أو ثلاثًا فثلاث.

* بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى ان كل ذلك لا يقع إلا إذا طلقها هو بنفسه.

وها هي بعض أقوال أهل العلم[(٢)] في ذلك، وبالله التوفيق.

قال عبد الرزاق «المصنف»[(٣)]: أخبرنا الثوري عن منصور قال: حدثني إبراهيم عن علقمة - أو الأسود - عن ابن مسعود قال: جاء إليه رجل فقال: كان بيني وبين امرأتي بعض ما يكون بين الناس، فقالت: لو أن الذي بيدك من أمري بيدي لعلمت كيف أصنع؟ فقال: إن الذي بيدي من أمري بيدك، قالت: فأنت طالق ثلاثًا، فقال: أراها واحدة وأنت أحق بالرجعة وسألقى أمير

(١) وانظر ما قاله أبو محمد بن حزم رحمه الله «المحلى» (١٠/ ١١٦، ١١٧).
(٢) اقتصرت على جملة آثار وأعرضت عن جملة منها؛ لأن الغرض مؤدى مما ذكر، ولكون بعض الآثار فيه ضعف
(٣) المصنف (٦/ ٥٢٠)، وسعيد بن منصور (السنن ١٦٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٤٧).

المؤمنين عمر، فلقيه فقص عليه القصة قال: فقال: فعل الله بالرجال وفعل الله بالرجال يعمدون إلى ما في أيديهم فيجعلونه في أيدي النساء بفيها التراب، ماذا قلت؟ قال: قلت: أراها واحدة وهو أحق بها، قال: وأنا أرى ذلك، ولو رأيت غير ذلك لرأيت أنك لم تصب. صحيح

قال منصور: فقلت لإبراهيم: فإن ابن عباس يقول: خطأ الله نوترها لو كانت قالت: طلقت نفسي فقال إبراهيم: هما سواء[(١)].

وأخرج عبد الرزاق[(٢)] من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن امرأة ملكها زوجها أمرها فقالت أنت الطلاق وأنت الطلاق وأنت الطلاق فقال ابن عباس خطأ الله نوترها إنما الطلاق لك عليها ليس لها عليك.

صحيح عن ابن عباس

وقال عبد الرزاق[(٣)] أيضًا: أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا أبو الزبير أن مجاهدا أخبره أن رجلا جاء إلى ابن عباس فقال لما ملكت امرأتي أمرها طلقتني ثلاثا فقال خطأ الله نوتها إنما الطلاق لك عليها وليس لها عليك.

صحيح

وأخرج سعيد بن منصور[(٤)] في سننه بسندٍ صحيح عن ابن عمر قال: إذا جعل الرجل أمر امرأته بيدها فطلقت نفسها واحدة فهي واحدة أو اثنتين فثنتين أو ثلاث فثلاث إلا أن يناكرها ويقول : لم أجعل الأمر إليك إلا في واحدة فيحلف على ذلك وإن ردت الأمر فليس بشيء وكان يقول : القضاء

(١) يعني قولها طلقت نفسي وقولها: أنت طالق.
(٢) المصنف (١١٩١٩).
(٣) المصنف (١١٩١٨).
(٤) السنن (١٦٢٠)، ومالك في الموطأ (٦/ ٣٣٥).

ما قضت.

وفي لفظ لمالك (عن طريق نافع عن ابن عمر): إذا ملك الرجل امرأته أمرها فالقضاء ما قضت به إلا أن ينكر عليها ويقول: لم أرد إلا واحدة فيحلف على ذلك ويكون أملك بها ما كانت في عدتها.

وروى عبد الرزاق[١]:

عن معمر عن الزهري وقتادة عن ابن المسيب قالا: إذا ملَّك الرجل امرأته أمرها فالقضاء ما قضت إن واحدة فواحدة، وإن اثنتان فثنتان، وإن ثلاث فثلاث. صحيح عن ابن المسيب

وروى عبد الرزاق[٢]:

عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: امرأة ملكت أمرها فردته إلى زوجها قال: ليست بشيء، فإن طلقت نفسها فهو على ذلك إن واحدة فواحدة، وإن اثنتان فثنتان، وإن ثلاث فثلاث. صحيح عن عطاء

وروى عبد الرزاق[٣]:

عن ابن جريج قال: أخبرني ابن طاوس عن أبيه وقلت له: فكيف كان أبوك يقول في رجل ملك امرأته أمرها أتملك أن تطلق نفسها؟ قال: لا، كان يقول: ليس إلى النساء طلاق. صحيح عن طاوس

قلت: والنفس أميل إلى قول طاوس إلا إذا تلفظ الزوج بلفظ الطلاق، والله أعلم.

وذهب قليل من أهل العلم إلى أن ذلك لا يقع به طلاق:

(١) المصنف (١١٩٠٣).
(٢) المصنف (١١٩٠١).
(٣) المصنف (١١٩١٣).

وذلك لأن الله تعالى إنما جعل الطلاق إلى الرجال فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧﴾ [البقرة: ٢٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ...﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ...﴾ [البقرة: ٢٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات، فكلها أفادت أن الطلاق إنما هو بيد الرجال.

وقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

ومن تمام القوامة أن يكون الطلاق بيد الرجل.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾[(١)] [الأحزاب: ٢٨].

فردَّ الله سبحانه الأمر على رسوله إذا أرادت نساؤه الحياة الدنيا وزينتها أن يمتعهن ويسرحهن بنفسه، ولم يقل لهن: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فأنتن طوالق، والقول بعدم الوقوع قول قليل من العلماء[(٢)] كما أسلفت.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) قال أبو محمد ابن حزم رحمه الله تعالى «المحلى» (١٠/ ١٢٣) في هذه الآية: فإنما نص الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام إن أردن الدنيا ولم يردن الآخرة طلقهن حينئذ من قبل نفسه مختارًا للطلاق لا أنهن طوالق بنفس اختيارهن الدنيا، ومن ادعى غير هذا فقد حرف كلام الله عز وجل وأقحم في حكم الآية كذبًا محضًا ليس فيها منه نص ولا دليل.

(٢) وهذا القول هو قول طاوس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقول أبي محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفهمه البعض من أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

مسألة: ومن خيَّر امرأته فاختارت نفسها، أو اختارت الطلاق، أو اختارت زوجها، أو لم تختر شيئًا، فكل ذلك لا شيء وكل ذلك سواء، ولا تطلق بذلك، ولا تحرم عليه ولا لشيء من ذلك حكم ولو كرر التخيير وكررت هي اختيار نفسها، أو اختيار الطلاق ألف مرة، وكذلك إن ملَّكها أمر نفسها أو جعل أمرها بيدها ولا فرق ... ثم أورد جملة من الآثار وقال: وكل هذه الأقاويل آراء لا دليل على صحة شيء منها ..[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

مسألة: ومن جعل إلى امرأته أن تطلق نفسها لم يلزمه ذلك ولا تكون طالقًا طلقت نفسها أو لم تطلق لما ذكرنا قبل من أن الطلاق إنما جعله الله تعالى للرجال لا للنساء[2].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

ج: هذا تحذيرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنذار لهن وتخويف من المعاصي والكبائر، وفي ذات الوقت فإنه ترغيب لهن في الطاعات والاستكثار منها.

يقول تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفاحشة الزنا، والعياذ بالله، وقيل: النشوز وسوء الخلق، وقيل: عموم الفواحش، من يأت

---

(١) المحلى (١٠/١١٦).
(٢) المحلى (١٠/٢١٦).

منكن بشيء منها فإن عذابها مضاعف ضعفين، قيل: مضاعف في الآخرة، وقيل: يضاعف في الدنيا والآخرة، فإذا كان هناك حدٌّ من الحدود فإنه يضاعف، والأظهر الأول، وكان هذا التعذيب أمرًا سهلًا عند الله لمن ارتكبوا الجنايات والكبائر وانتهكوا الحرمات.

وفي المقابل فإن من تطيع الله ورسوله وتتبع ذلك وتصاحبه الأعمال الصالحة من صلاة وصيام ونحو ذلك يضاعف الله ﷻ له الأجر والثواب مرتين فضلًا عما أعده لها في الآخرة من فسيح الجنان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لأزواج النبيّ ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ يقول: من يزن منكنّ الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحدّ، ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ﴾ على فجورها في الآخرة ﴿ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ على فجور أزواج الناس غيرهم.

وقوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ والله أعلم.

يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله منكن، وتعمل بما أمر الله به؛ ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ يقول: يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ يقول: وأعتدنا لها في الآخرة عيشًا هنيئًا في الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى واعظًا نساء النبي ﷺ، اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ أن يخبرهن بحكمهن دون سائر

النساء، بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة -قال ابن عباس: وهي النشوز وسوء الخلق. وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، وكقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف:٨١]، ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:٤]، فلما كانت محلَّتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع؛ ولهذا قال: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ﴾.

قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ﴾ قال: في الدنيا والآخرة.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: سهلا هينا.

ثم ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: يطيع الله ورسوله ويستجب ﴿نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ، في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال العلماء: لما اختار نساء النبي ﷺ رسول الله ﷺ شكرهن الله على ذلك فقال تكرمة لهن: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية وبين حكمهن عن غيرهن فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وجعل ثواب طاعتهن

وعقاب معصيتهن أكثر مما لغيرهن فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ فأخبر تعالى أن من جاء من نساء النبي ﷺ بفاحشة - والله عاصم رسوله عليه السلام من ذلك كما مر في حديث الإفك - ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن على سائر النساء أجمع وكذلك بينت الشريعة في غير ما موضع حسبما تقدم بيانه غير مرة - أنه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر وقيل: لما كان أزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيه قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الأجر والعذاب وقيل: إنما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن بإيذاء رسول الله ﷺ فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة في إيذاء رسول الله ﷺ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] واختار هذا القول الكيا الطبري.

الثانية: قال قوم: لو قدر الزنى من واحدة منهن - وقد أعاذهن الله من ذلك - لكانت تحد حدين لعظم قدرها كما يزاد حد الحرة على الأمة والعذاب بمعنى الحد قال الله تعالى: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين أو المرتين.

وقال رحمه الله:

وقال قوم: الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزِّنى واللِّواط، وإذا وردت منكَّرة فهي سائر المعاصي، وإذا وردت منعوتة فهي عقوق الزوج وفساد عشرته وقالت فرقة: بل قوله ﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ تعم جميع المعاصي وكذلك الفاحشة كيف وردت.

(١٣٣) أحمر
أسود

وقال: وأهل التفسير على أن الرزق الكريم الجنة؛ ذكره النحاس.



تضاعف العقوبات والأجور لقرائن تحتف بالأعمال

س: كثيرًا ما تتضاعف العقوبات على الكبائر والمعاصي لقرائن تحتف بتلك الكبائر والمعاصي، وكثيرًا ما تتضاعف الأجور على الأعمال الصالحة لقرائن تحتف بتلك الأعمال الصالحة، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك، ولإيضاح ذلك أقول، وبالله التوفيق:

إن الكذب حرام حرَّمه الله ﷻ ولكن الكذب على رسول الله أشد تحريمًا، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وقال: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدِكُم».

والكذب على الله أشد وأشد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ ...﴾ [العنكبوت: ٦٨].

فلما كان في تبليغ كلام الله ﷻ لخلق الله أجرٌ عظيم، وفي تبليغ كلام رسوله ﷺ أجرٌ أيضًا، كذا فقد تضاعف العذاب على من كذب.

وكذلك الصلاة في الحرم المكي بمائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، وأيضًا فالعقوبات على الظالم هناك أشد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

* وأزواج النبي ﷺ كُرِّمن وشرفن بالزواج برسول الله ﷺ وضوعف لهن الأجر على الطاعة، فكذلك إذا قُدِّر وارتكبن فاحشة ضوعف لهن العذاب ضعفين.

* وكذا فالزنى حرام وكبيرةٌ من الكبائر، لكن الزنى بحليلة الجار أشد

تحريمًا وأعظم إثمًا.

وهذا باب عليه أدلة كثيرة جدًّا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– يا نساء النبي لستن كأحد من النساء من هذه الأمة في الشرف والفضيلة، وعلو المنزلة فقد شرفكن الله ﷻ بالزواج من نبيه محمد ﷺ فمن ثَمَّ يلزمكن مزيدٌ من الأدب والتقى، فإن أنتن لَزِمْتُن التقوى تضاعفت لكم الأجور وعظم لكم الفضل، فلا تلن بالقول أثناء الحديث مع الرجال، فإن إلانة القول هذه تطمع أهل النفاق فيكنَّ، وتُطمِّع مريدي الفواحش ومُحبيها فيكن، والزمن يا نساء النبي الكلام الذي يرضى الله عنكن، الكلام الطيب الذي ليس فيه خضوع وليس فيه ما يُطمع الآخرين فيكن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ من نساء هذه الأمة ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ الله فأطعتنه في ما أمركن ونهاكن.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾يعني من نساء هذه الأمة.

وقوله: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ يقول: فلا تلنَّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ قال: خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال.

وقوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ يقول: فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه؛ إما شاكٌّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: إنما وصفه بأن في قلبه مرضًا، لأنه منافق.

وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون إتيان الفواحش.

وقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ يقول: وقلن قولًا قد أذن الله لكم به وأباحه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطبا لنساء النبي بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنهن لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾.

قال السُّدِّي وغيره: يعني بذلك: ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال؛ ولهذا قال: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: دَغَل، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: قال ابن زيد: قولا حسنًا جميلا معروفًا في الخير.

ومعنى هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ يعني في الفضل والشرف وقال : كأحد ولم يقل كواحدة؛ لأن أحدًا نفي من المذكر والمؤنث والواحد والجماعة وقد يقال على ما ليس بآدمي يقال : ليس فيها أحد لا شاة ولا بعير وإنما خصص النساء بالذكر لأن فيمن تقدم آسية ومريم وقد أشار إلى

هذا قتادة وقد تقدم في آل عمران الاختلاف في التفضيل بينهن فتأمله هناك ثم قال : إن اتقيتن أي خفتن الله فبين أن الفضيلة إنما تتم لهن بشرط التقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن، قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ في موضع جزم بالنهي إلا أنه مبني كما بني الماضي هذا مذهب سيبويه أي لا تلن القول أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلًا ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المريبات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا، قوله تعالى : ﴿فَيَطْمَعَ﴾ بالنصب على جواب النهي ﴿ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي شك ونفاق عن قتادة والسدي وقيل : تشوف لفجور وهو الفسق والغزل قاله عكرمة، وهذا أصوب وليس للنفاق مدخل في هذه الآية.

ثم قال: وعلى الجملة فالقول المعروف هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

ج: هذا خطاب لأزواج النبي ﷺ، والمؤمنات لهن تبع، خطابٌ لهن وأمرٌ بأن يلزمن بيوتهن ولا يخرجن إلا للحاجة والضرورة، ونهيٌّ لهن عن التبرج الذي هو إظهار المحاسن، والمفاتن التي يفتتن بها الرجال كما كانت النسوة في الجاهلية الأولى تصنع، وأمر لهن بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها وأداء

فرائضها وواجباتها، وكذا أمرٌ لهن بإخراج الزكوات المفروضة، ثم أمر عام بطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ ثم أخبر الله ﷻ أنه يريد أن يذهب عنهم الرجس وعن عموم أهل البيت، والرجس قيل إنه الشيطان، وقيل الشرك، وقيل: كل ما يُشين ويُسيء، ويريد ربي أن يطهرهم من الذنوب والآثام تطهيرًا عظيمًا، وبنحو هذا قال أهل العلم.



حث النساء على القرار في البيوت

س: اذكر بعض الوارد في حث النساء على القرار في بيوتهن؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

والمفهوم من قول المرأتين اللتين سألهما موسى عليه السلام: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣]، فاعتذرتا عن الخروج لكون أبيهما شيخًا كبيرًا، وكذا قول النبي ﷺ: «**صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ**»[1].

وما روي عن النبي ﷺ: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وكذا العمومات الواردة في التحذير من فتنة النساء كقوله ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ**»[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي**

---

(١) صحيح: وله طرق كثيرة عن رسول الله □.
(٢) رجاله ثقات، وقد أخرجه الترمذي (١١٧٣) وغيره.
(٣) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(١).

وكذا فإن قرارها في البيت أصون لها وأبعد عن الأنظار، وقد قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

إلا أنه يجوز لها أن تخرج لقضاء حوائجها بالضوابط الشرعية كما هو معلوم(٢).



ذم التبرج والتحذير منه

س: اذكر بعض الوارد في ذم التبرج؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

ومن ذلك ما أخرجه أحمد(٣) بسندٍ صحيح من حديث: فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا، فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللهَ ﷻ رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ».

---

(١) مسلم (٢٧٤٢).

(٢) وينبغي أن تكون حالة المرأة وهي خارجة على وفق ما يقتضيه الشرع وما يلزم به من العفة والتستر الذي ينافي التبرج والسفور، وينبغي لها عند خروجها أن تمتنع من الطيب عند خروجها وتترك مزاحمة الرجال وتمشي على حافة الطريق ولا تضرب بأرجلها ليُعلم ما يُخفى من زينتها، وتلزم الحياء في مشيتها، وبصفة عامة تتبع ما أمر به الله ورسوله عند خروجها، وقد قدمنا أكثر ذلك ويلزمها أيضًا أن تستأذن الزوج أو تعلم رضاه، وبالله التوفيق.

(٣) أحمد في المسند (٦/ ١٩).

(١٣٩) أحمر
أسود

وأخرج أحمد(١) من حديث أُمَيْمَة بِنْت رُقَيْقَة: أَنَّهَا أَتَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: «أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقِي، وَلَا تَزْنِي، وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكِ، وَلَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ، وَلَا تَنُوحِي، وَلَا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى».

وأخرجه مسلم(٢) في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(٣).

---

(١) أحمد في المسند (٢/ ١٩٦) وسنده حسن.

(٢) مسلم (٥/ ٧١٠).

(٣) قال النووي رحمه الله: هَذَا الْحَدِيث مِنْ مُعْجِزَات النُّبُوَّة ، فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النبي □، فَأَمَّا أَصْحَاب السِّيَاط فَهُمْ غِلْمَان وَالِي الشُّرْطَة .
أَمَّا (الْكَاسِيَات) فَفِيهِ أَوْجُه:
أَحَدهَا: مَعْنَاهُ : كَاسِيَات مِنْ نِعْمَة الله ، عَارِيَات مِنْ شُكْرهَا.
وَالثَّانِي: كَاسِيَات مِنْ الثِّيَاب ، عَارِيَات مِنْ فِعْل الْخَيْر وَالِاهْتِمَام لِآخِرَتِهِنَّ ، وَالِاعْتِنَاء بِالطَّاعَاتِ .
وَالثَّالِث: تَكْشِف شَيْئًا مِنْ بَدَنهَا إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا ، فَهُنَّ كَاسِيَات عَارِيَات .
وَالرَّابِع: تَلْبَسْنَ ثِيَابًا رِقَاقًا تَصِف مَا تَحْتهَا ، كَاسِيَات عَارِيَات فِي الْمَعْنَى .
قلت: (القائل مصطفى): والذي يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن الوجه الثالث والرابع أقرب إلى المعنى، وذلك لقوله عليه السلام في الحديث: «مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة».=
= ثم قال النووي رحمه الله:
وَأَمَّا «مَائِلَات مُمِيلَات»: فَقِيلَ : زَائِغَات عَنْ طَاعَة الله تَعَالَى ، وَمَا يَلْزَمهُنَّ مِنْ حِفْظ الْفُرُوج وَغَيْرهَا ، وَمُمِيلَات يُعَلِّمْنَ غَيْرهنَّ مِثْل فِعْلهنَّ.
وَقِيلَ : مَائِلَات مُتَبَخْتِرَات فِي مِشْيَتهنَّ ، مُمِيلَات أَكْتَافهنَّ.
وَقِيلَ : مَائِلَات يَتَمَشَّطْنَ الْمِشْطَة الْمَيْلَاء ، وَهِيَ مِشْطَة الْبَغَايَا مَعْرُوفَة لَهُنَّ ، مُمِيلَات يُمَشِّطْنَ غَيْرهنَّ تِلْك الْمِشْطَة.

وأخرج أحمد(١) بإسناد حسن لغيره من حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﵄ قَالَ: كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسْ الْقُبْطِيَّةَ؟(٢)» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً(٣) إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا».

وأخرج عبد الرزاق(٤) في مصنفه بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: كان

وَقِيلَ: مَائِلَات إِلَى الرِّجَال مُمِيلَات لَهُمْ بِمَا يُبْدِينَ مِنْ زِينَتهنَّ وَغَيْرهَا.
وَأَمَّا «رُءُوسهنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْت» فَمَعْنَاهُ: يُعَظِّمْنَ رُءُوسهنَّ بِالْخُمُرِ وَالْعَمَائِم وَغَيْرهَا مِمَّا يُلَفّ عَلَى الرَّأْس، حَتَّى تُشْبِه أَسْنِمَة الْإِبِل الْبُخْت، هَذَا هُوَ الْمَشْهُور فِي تَفْسِيره، قَالَ الْمَازِرِيّ: وَيَجُوز أَنْ يَكُون مَعْنَاهُ يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَال وَلَا يَغْضُضْنَ عَنْهُمْ، وَلَا يُنَكِّسْنَ رُءُوسهنَّ، وَاخْتَارَ الْقَاضِي أَنَّ الْمَائِلَات تُمَشِّطْنَ الْمِشْطَة الْمَيْلَاء، قَالَ: وَهِيَ ضَفْر الْغَدَائِر وَشَدّهَا إِلَى فَوْق، وَجَمْعهَا فِي وَسَط الرَّأْس فَتَصِير كَأَسْنِمَةِ الْبُخْت.
قَالَ: وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالتَّشْبِيهِ بِأَسْنِمَةِ الْبُخْت إِنَّمَا هُوَ لِارْتِفَاعِ الْغَدَائِر فَوْق رُءُوسهنَّ، وَجَمْع عَقَائِصهَا هُنَاكَ، وَتُكْثِرهَا بِمَا يُضَفِّرْنَهُ حَتَّى تَمِيل إِلَى نَاحِيَة مِنْ جَوَانِب الرَّأْس، كَمَا يَمِيل السَّنَام، قَالَ اِبْن دُرَيْد: يُقَال: نَاقَة مَيْلَاء إِذَا كَانَ سَنَامهَا يَمِيل إِلَى أَحَد شِقَّيْهَا. وَاَللَّه أَعْلَم.
قَوْله ﷺ: «لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّة» يُتَأَوَّل التَّأْوِيلَيْنِ السَّابِقَيْنِ فِي نَظَائِره أَحَدهمَا: أَنَّهُ مَحْمُول عَلَى مَنْ اِسْتَحَلَّتْ حَرَامًا مِنْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمهَا بِتَحْرِيمِهِ، فَتَكُون كَافِرَة مُخَلَّدَة فِي النَّار، لَا تَدْخُل الْجَنَّة أَبَدًا. وَالثَّانِي: يُحْمَل عَلَى أَنَّهَا لَا تَدْخُلهَا أَوَّل الْأَمْر مَعَ الْفَائِزِينَ. وَاَللَّه تَعَالَى أَعْلَم..

(١) أحمد في المسند (٥/ ٢٠٥).
(٢) القُبطية هي بضم القاف، قال الخطابي: الشقة أو الثوب من القباطي وهي ثياب تعمل بمصر، وفي «اللسان» (ص ٣٥١٤) القُباطي ثياب إلى الدقة والرقة والبياض.
(٣) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب وقيل: بطائن تلبس تحت الدروع، كذا في «السان» وثَمَّ أقوال أخر.
وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل متكلم فيه، لكن له شاهد عند أبي داود (٤١١٦) من حديث دحية الكلبي أن النبي ﷺ أعطاه قبطية، فقال: «**اصدعها صدعين، فاقطع أحدهما قميصًا، وأعط** = **الآخر امرأتك تختمر به**»، فلما أدبر قال: «**وأؤمر امرأتك أن تجعل ثوبًا لا يصفها**».
(٤) المصنف (٥١١٥).

الرجال والنساء في بني إسرائيل يصلون جميعًا، فكانت المرأة لها الخليل تلبس القالبين[1] تطول بهما لخليلها، فألقي عليهن الحيض، فكان ابن مسعود يقول: أخروهن حيث أخرهن الله.



س: ما المراد بتبرج الجاهلية الأولى؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، ذكرها الطبري وغيره.

منها ما أخرجه الطبري بسندٍ صحيح عن ابن عباس: قال: تلا هذه الآية ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحًا، وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحًا، وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلًا من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئًا مثل ذلك الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدًا يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج الرجال للنساء، قال: ويتزين النساء للرجال، وإن رجلًا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، فظهرت الفاحشة فيهن، فهو قول الله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

وبإسناد صحيح عن ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: التبختر. وقيل إن التبرج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة

(١) هما نعلان من خشب.

محاسنها للرجال.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قيل: إن التبرج في هذا الموضع: التبختر والتكسر.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي إذا خرجتن من بيوتكن، قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج، يعني بذلك: الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام.

فإن قال قائل: أوفي الإسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله: ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: التي قبل الإسلام؟ قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأقمن الصلاة المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما أمراكن ونهياكن.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إنما يريد الله ليصرف عنكم السوء

والمكروه والشرك والشيطان، وسائر صور السوء والفحشاء، ويطهركم يا أهل البيت من الذنوب تطهيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرًا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ قال: الرجس هاهنا: الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك.



أهل البيت وشيء من فضلهم

س: عرِّف أهل البيت؟ واذكر بعض الوارد في فضلهم؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن أهل البيت هم أصحاب الكساء فقط وهم عليٌّ وفاطمة وحسن وحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أجمعين، **فهذا هو القول الأول**.

وحجة أصحاب هذا القول، حديث الكساء وسيأتي إن شاء الله.

القول الثاني: أن أهل البيت هم أزواج النبي ﷺ خاصة، وحجة أصحاب هذا القول أن سياق الآيات في شأنهن.

القول الثالث: أن المراد بأهل البيت من حُرِّمت عليهم الصدقة، وهم آل

(١٤٤) أحمر
أسود

عليٍّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، وحجتهم قول النبي ﷺ: «إِنَّا آلُ مُحَمَّد لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ».

القول الرابع: أنهم أصحاب الكساء (علي وفاطمة وحسن وحسين) وأزواج النبي ﷺ وحجتهم بأن النبي فسر الآية بقوله في أصحاب الكساء اللهم هؤلاء أهل بيتي، وبأن سياق الآيات في أزواج النبي ﷺ، وبأن الله قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ﴾ ولم يقل عنكن..

القول الخامس: أن كل المذكورين داخلون في آل البيت، والله أعلم.

ثم هذه بعض الأقوال في ذلك:

أخرج مسلم[1] في صحيحه من طريق يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي؛ وَاللهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا - بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ - فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ثلاثًا فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ

(١) مسلم (٢٤٠٨).

نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ قَالَ وَمَنْ هُمْ قَالَ هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ قَالَ نَعَمْ.

قال ابن كثير ثم رواه مسلم وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الرَّيَّانِ، عن حَسَّانُ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فذكر الحديث كنحو ما تقدم، وفيه: فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لَا، وَايْمُ اللهِ إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَقَوْمِهَا، أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ.

هكذا وقع في هذه الرواية، والأولى أولى، والأخذ بها أحرى. وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه، إنما المراد بهم آله الذين حُرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح؛ جمعًا بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعًا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة[1] إن صحت، فإن في بعض أسانيدها نظرًا، والله أعلم.

وقال ابن كثير أيضًا:

ثم الذي لا يشك فيه من تَدَبَّر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي

(١) فقد أورد عددًا من الأحاديث في شأن أهل البيت.

خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس.

ثم قال ابن كثير: ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقرابته أحق بهذه التسمية، كما تقدم في الحديث: «**وأهل بيتي أحق**»[1].

وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال: «**هو مسجدي هذا**».

فهذا من هذا القبيل؛ فإن الآية إنما نزلت في مسجد قُباء، كما ورد في الأحاديث الأخر. ولكن إذا كان ذاك أسّسَ على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ أولى بتَسمِيَته بذلك، والله أعلم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا أبو عَوَانة، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن أبي جميلة قال: إن الحسن بن علي استُخلفَ حين قُتِل علي، رضي الله عنهما قال: فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد، وحسن ساجد قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهرا، ثم بَرَأَ فقعد على المنبر، فقال: يا أهل العراق، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ

---

(١) أخرج أحمد (٤/ ١٠٧)، والحاكم (٢/ ٤١٦) وغيرهما من طرق عن الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنَا شَدَّادٍ أَبو عَمَّارٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ، فَذَكَرُوا عَلِيًّا رضي الله عنه فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ □؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ ف أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ قَالَتْ: تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللهِ □ فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ □ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رضي الله عنهم آخِذٌ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ، فَأَدْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ - أَوْ قَالَ: كِسَاءه- ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ**».

(١٤٧) أحمر
أسود

﴿تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ قال: فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يَحِنّ بكاء.

وقال السُّدِّي، عن أبي الديلم قال: قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾؟ قال: نعم، ولأنتم هم؟ قال: نعم.

وهذا مزيد من الوارد
في فضل آل بيت النبي ﷺ

أخرج مسلم في صحيحه[(١)] من حديث عائشة ڤ قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾.

وعند أحمد[(٢)] بسندٍ يصح لشواهده من حديث أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ جَاءَ نَعْيُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ لَعَنَتْ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللهُ غَرُّوهُ وَذَلُّوهُ لَعَنَهُمْ اللهُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ غَدِيَّةً بِبُرْمَةٍ قَدْ صَنَعَتْ لَهُ فِيهَا عَصِيدَةً تَحْمِلُهُ فِي طَبَقٍ لَهَا حَتَّى وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟**» قَالَتْ: هُوَ فِي الْبَيْتِ، قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَادْعِيهِ وَائْتِنِي بِابْنَيْهِ**» قَالَتْ: فَجَاءَتْ تَقُودُ ابْنَيْهَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدٍ وَعَلِيٌّ يَمْشِي فِي إِثْرِهِمَا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَجْلَسَهُمَا فِي حِجْرِهِ وَجَلَسَ عَلِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَاجْتَبَذَ مِنْ تَحْتِي كِسَاءً خَيْبَرِيًّا كَانَ بِسَاطًا لَنَا عَلَى الْمَنَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ فَلَفَّهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَأَخَذَ بِشِمَالِهِ

(١) مسلم (٢٤٢٤).
(٢) أحمد (٦/ ٢٩٨)، وانظر شواهده عند الطبري (٢٢/ ٦)، وابن كثير في تفسير الأحزاب (٣/ ٤٨٣).

طَرَفَيِ الْكِسَاءِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَهْلِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: بَلَى فَادْخُلِي فِي الْكِسَاءِ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ فِي الْكِسَاءِ بَعْدَمَا قَضَى دُعَاءَهُ لِابْنِ عَمِّهِ عَلِيٍّ وَابْنَيْهِ وَابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رضي الله عنهما. صحيح لشواهده.

وأخرج مسلم[١] في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**».

وأخرج أحمد[٢] وغيره بسند صحيح لشواهده من حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ كِتَابُ اللهِ وَأَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ جَمِيعًا**».

ومن فضائل آل البيت أننا نصلي عليهم في كل صلاة (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد).

ونبرك عليهم كذلك.

(اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد).

هذا، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه: (ارقبوا محمدًا في أهل بيته)[٣].

وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»[٤].

---

(١) مسلم (ص ١٨٧١ في طرق حديث ٢٤٠٤).
(٢) أحمد (٥/ ١٨١-١٨٢)، وعبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٢٤٠) وله شواهد يصح بها.
(٣) البخاري (٣٧١٣).
(٤) البخاري (٣٧١١).

هذا، وقد وردت أحاديث في فضائل صحابة مخصوصين من آل البيت كثيرة جدًّا في فضائل علي وفاطمة وحسنٍ وحسينٍ رضي الله عنهم أجمعين فراجعها إن شئت في كتابي الصحيح المسند من فضائل الصحابة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – أمرٌ من الله عز وجل لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ العلم الشرعي المتمثل في القرآن والسنة التي هي الحكمة لخلق الله عز وجل، وذلك لأن الله عز وجل قد امتن عليهن بالزواج برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنهن يطلعن منه على بعض ما لم يطلع عليه، غيرهن فلزم أن يبينَّ للناس ما ينفعهم إن الله كان ذا لطف بكن خبيرًا بكن كذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكرن نعمة الله عليكن، بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك واحمدنه عليه. وعنى بقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعني بالحكمة: ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن وذلك السنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾: أي: السنة، قال: يمتن عليهم بذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان ذا لطف بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيرا بكن إذ

اختاركن لرسوله أزواجًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ أي: بلطفه بكنَّ بلغتنَّ هذه المنزلة، وبخبرته بكنَّ وأنكنَّ أهل لذلك، أعطاكنَّ ذلك وخصكنَّ بذلك.

وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لفظ الذكر يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أي اذكرن موضع النعمة إذ صيركن الله في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة.

الثاني اذكرن آيات الله واقدرن قدرها وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال لتتعظن بمواعظ الله تعالى ومن كان هذا حاله ينبغي أن تحسن أفعاله.

الثالث: ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ بمعنى احفظن واقرأن وألزمنه الألسنة فكأنه يقول: احفظن أوامر الله تعالى ونواهيه وذلك هو الذي يتلى في بيوتكن من آيات الله فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وما يرين من أفعال النبي ﷺ ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس فيعملوا ويقتدوا وهذا يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين .

قال ابن العربي: في هذه الآية مسألة بديعة وهي أن الله تعالى أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بتبليغ ما أنزل عليه من القرآن وتعليم ما علمه من الدين فكان إذا قرأ على واحد أو ما اتفق سقط عنه الفرض وكان على من سمعه أن يبلغه إلى غيره ولا يلزمه أن يذكره لجميع الصحابة ولا كان عليه إذا علم ذلك أزواجه أن يخرج إلى الناس فيقول لهم: نزل كذا ولا كان كذا ولهذا قلنا :

يجوز العمل بخبر بسرة في إيجاب الوضوء من مس الذكر؛ لأنها روت ما سمعت وبلغت ما وعت ولا يلزم أن يبلغ ذلك الرجال كما قال أبو حنيفة: على أنه قد نقل عن سعد بن أبي وقاص وابن عمر.



(١٥٢) أحمر

أسود

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥]

س: وضح معنى ما يلي:
﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ -وَٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾	المُطيعين (لله ورسوله)
﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾	الخائفين من الله – المطمئنين بالله



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ..﴾ سبب نزول؟

ج: ورد عند الترمذي[1] ما يحسن لشواهده من حديث أُمِّ عمَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ...﴾ الآية.



س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ..﴾.

ج: هذه بشارةٌ من الله ﷻ لمن هذه صفاتهم.

أما قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ﴾ فهم الذين التزموا الإسلام دينًا فشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصاموا رمضان، وحجوا بيت الله الحرام عند استطاعتهم، وكذا الذين استسلموا لأمر الله ورسوله.

---

(١) الترمذي (٤/ ١١٦)، وانظر الحاكم (٢/ ٤١٦)، ومجمع الزوائد (٧/ ٩١)، وتفسير ابن كثير للآية الكريمة، والله أعلم.

أما قوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ فهم الذين أيقنت قلوبهم بما سبق وصدقت به، فآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وصدقت بذلك كله قلوبهم، وأطاعوا ربهم ﷻ فيما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم الله عنه.

فقوله: ﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ هم المطيعون والمطيعات لأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ فهم الذين صدقوا في عهودهم مع الله ووفوا بها، وصدقوا فيما أعلنوا عليه من إسلام وإيمان ووفاء وطاعة.

وكذا صدقوا في حديثهم مع الناس.

وكذا فقد صبروا على أوامر الله ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ هم الصابرون على الأقدار، وعلى الطاعات، والممتنعون عن المناهي.

وقوله: ﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ﴾ عنى به الخائفين من الله ﷻ والخائفات، والمتذللين له بالطاعات والمتذللات، ثم رغبة منهم فيما عند الله واستسلامًا بعد استسلام وطاعة بعد طاعة فإنهم أقاموا النفل مع الفرض.

فقوله: ﴿وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ المتصدقين بما أوجبه الله عليهم، والمتصدقات، وكذا المتطوعين بالنفل بعد الفرض، والمتطوعات فهم يفعلون ذلك أجمع يعطون الزكاة الواجبة ويتبعونها بالنفل المستحب والتطوع المستحب، وكذا في الصيام.

فقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ أي: الذين صاموا الفريضة، وهي رمضان، وأتبعوا ذلك بصيام النفل بصفة عامة كصوم الاثنين والخميس والست من شوال، وثلاثة أيام من كل شهر، وعرفة وعاشوراء، وإن استطاعوا

صاموا يومًا وأفطروا يومًا.

وعصمهم الله ﷻ بصيامهم هذا فحفظوا فروجهم فقوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ المعنى هم الذين اتقوا ما حرَّم الله عليهم من الزنا وفعل قوم لوط وغير ذلك، مما حرمه الله عليهم، وكذا اللواتي حفظن فروجهن.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ الذين ذكروا الله بتلاوة كتابه، وكذا بتسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره وعموم صور الذكر الواردة في الكتاب العزيز والسنة المباركة وأكثروا في حديثهم مع الناس بالتذكير بالله، وجرى ذكر الله على ألسنتهم كثيرًا فهؤلاء الذين ذُكرت أوصافهم (إسلام وإيمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وحفظ فرج وكثرة ذكر) ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ على حسناتهم وصالح أعمالهم، وهذا الأجر العظيم هو الجنة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن المتذللين لله بالطاعة والمتذللات، والمصدقين والمصدقات رسول الله ﷺ فيما أتاهم به من عند الله، والقانتين والقانتات لله، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم، والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه، والصابرين لله في البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات، والخاشعة قلوبهم لله وجلًا منه ومن عقابه والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك، والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم

(١٥٦) أحمر
أسود

والحافظات ذلك إلا على أزواجهن إن كن حرائر أو من ملكهن إن كن إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات، كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم، وأجرًا عظيمًا: يعني ثوابًا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيمًا، وذلك الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو أخص منه، لقوله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾[الحجرات:١٤]. وفي الصحيحين: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)]. فيسلبه الإيمان، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين، فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ القنوت: هو الطاعة في سكون، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [الزمر:٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم:٢٦]، ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران:٤٣]، ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨]. فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها، ثم القنوت ناشئ عنهما.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾: هذا في الأقوال، فإن الصدق خصلة محمودة؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تُجَرّب عليه كِذْبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، ومَنْ صدق نجا، «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. وإياكم والكذب؛**

(١) البخاري (٢٧٨٢).

فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ولا يزال الرجل يكذب ويتَحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[(١)]. والأحاديث فيه كثيرة جدًّا.

﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾: هذه سَجِيّة الأثبات، وهي الصبر على المصائب، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة، وَتَلَقّي ذلك بالصبر والثبات، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى، أي: أصعبه في أول وهلة، ثم ما بعده أسهل منه، وهو صدق السجية وثباتها.

﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ الخشوع: السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع. والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾: الصدقة: هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء، الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال طاعة لله، وإحسانًا إلى خلقه، وقد ثبت في الصحيحين: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» فذكر منهم: «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[(٢)].

وأورد رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الأحاديث في فضل الصدقة والصيام والذكر.

ثم قال: وقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة.

---

(١) البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)

(٢) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).



س: هل من رابط بين هذه الأوصاف وبعضها؟

ج: نعم يبدو هذا الترابط جليًّا، فالقوم أعلنوا عن إسلامهم وأقروا بأركانه وعملوا بها (فهم المسلمون والمسلمات) وصدقت بذلك قلوبهم، وكذا أقرت بعموم ما أمروا بالإقرار به (فهم المؤمنون والمؤمنات) وأتبعوا ذلك بالسمع والطاعة عمومًا (فهم القانتون والقانتات) وصدقوا فيما أعلنوا من سمع وطاعة وصدقوا فأوفوا بما أعلنوه وعاهدوا عليه (فهم الصادقون والصادقات) واستمروا صابرين على الطاعات والأقدار، مجتنبين للمناهي (فهم الصابرون والصابرات).

وخشعوا لله في ذلك كله وتذللوا له بالطاعات فليست طاعات مجردة، بل مصحوبة بالتذلل لخالقهم لنيل مرضاته (فهم الخاشعون والخاشعات) وتعدت منافعهم فوصلت لعباد الله، وكذا لم يجتزءوا بالفرض بل أتبعوه بالنفل فطاعة بعد طاعة فكذا (المتصدقين والمتصدقات) نفل مع فرضٍ وكذا هذبوا أنفسهم فامتثلوا أولًا ما أمروا به من صوم رمضان ثم أتبعوا ذلك بالنفل، فهم (الصائمين والصائمات) وساعدهم هذا الصوم على حفظ فروجهم فالصيام جنةٌ ووقاء فحفظوا فروجهم عما حرم الله ﷻ عليهم فهم (الحافظون فروجهم والحافظات)، وأكثروا من ذكر الله ﷻ وداوموا على ذلك (فهم الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات)، فهؤلاء بشروا بالمغفرة لذنوبهم فليسوا بمعصومين، فهم ومع ما ذُكر من أوصافهم إن أوقعهم الشيطان في زللٍ بادروا بالتوبة والإنابة والاستغفار فيغفر الله لهم، وقد أعد الله لهؤلاء الأجر العظيم،

وهو جنة الخلد التي أُعدت للمتقين، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بدأ تعالى في هذه الآية بذكر الإسلام الذي يعم الإيمان وعمل الجوارح، ثم ذكر الإيمان تخصيصًا له وتنبيها على أنه عظم الإسلام ودعامته والقانت: العابد المطيع، والصادق: معناه فيما عوهد عليه أن يفي به، والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره والمنشط والخاشع: الخائف لله والمتصدق بالفرض والنفل وقيل: بالفرض خاصة والأول أمدح، والصائم كذلك ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾ أي عما لا يحل من الزنى وغيره وفي قوله: ﴿وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾ حذف يدل عليه المتقدم تقديره: والحافظات فاكتفى بما تقدم، وفي ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أيضًا مثله.



قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا
لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ
أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ
خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن
رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

[الأحزاب: ٣٦-٤٠]

(١٦١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلۡخِيَرَةُ -ضَلَّ-أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ -مُبۡدِيهِ -وَطَرًا -حَرَجٌ -أَدۡعِيَآئِهِمۡ -فَرَضَ-سُنَّةَ ٱللَّهِ -خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ-قَدَرًا مَّقۡدُورًا -حَسِيبًا -وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلۡخِيَرَةُ﴾	الاختيار
﴿ضَلَّ﴾	حاد عن طريق الحق الصواب وانصرف عنه وابتعد
﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾	لا تطلق زوجتك
﴿مُبۡدِيهِ﴾	مُظهره – مُعلنه
﴿وَطَرًا﴾	حاجة
﴿حَرَجٌ﴾	إثمٌ
﴿أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾	الولد الدَّعي هو المنسوب إلى أبٍ ليس بأبيه
﴿فَرَضَ﴾	أحل
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾	فعل الله – أمر الله –قضاء الله
﴿خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ﴾	مضوا فيما سبق
﴿قَدَرًا مَّقۡدُورًا﴾	قضاءً مقضيًّا
﴿حَسِيبًا﴾	حافظًا – ناصرًا – مُحصيًا لأعمالهم
﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	آخر النبيين



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾.

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، والله أعلم.

وقد أورد الطبري عدة طرق، لا يخلو طريق منها من مقال تفيد أن الآية الكريمة نزلت في زينب بنت جحش ﭬ لما خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة فأبت أول الأمر أن تتزوجه ثم تزوجته بعد نزول الآية.

من هذه الطرق ما أورده الطبري بسندٍ ضعيف جدًّا عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾ إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ....﴾ إلى قوله ﴿ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنكحًا؟ قال: «**نعم**» قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي.

وبسندٍ فيه ضعفٌ يسير[(١)] عن مجاهد قوله: ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال: زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله ﷺ.

وبسند حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمة رسول الله ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ فرضيت ورأت أنه يخطبها

(١) ومع ذلك فهو مرسل، وكذا الذي بعده.

على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت.

وبسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة؛ فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ....﴾[1] الآية كلها.



س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ﴾ هل تفيد تحريمًا أو تفيد كراهية أو منعًا أو ماذا؟

ج: أحيانًا تفيد الحظر والمنع، وأحيانًا تفيد استحالة وقوع الشيء كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ [مريم: ٣٥].

وأحيانًا تفيد الكراهية.

وهي في هذا المقام تفيد المنع والحظر، فالمراد أنه لا يجوز ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لفظة «ما كان، وما ينبغي» ونحوهما معناها الحظر والمنع فتجيء لحظر الشيء والحكم بأنه لا يكون كما في هذه الآية وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلا كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ

(١) وهناك إسناد ضعيف جدًّا، أنه نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أورده الطبري.

(١٦٤) أحمر
أسود

وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] وربما كان في المندوبات كما تقول: ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل ونحو هذا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ٣٦﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وما كان جائزًا لمؤمن ولا لمؤمنة أن يكون لهم الاختيار عند مجيء الأمر من الله ورسوله، فإذا جاء من الله أمرٌ أو جاء عنه نهيٌّ، أو جاء من رسول الله أمر أو ورد عنه نهي، فليس لمؤمن ولا لمؤمنة الحق في إبداء الرأي معارضة لأمر الله ﷻ ولأمر رسوله ﷺ ومن يفعل ذلك عصيانًا لأمر الله ورسوله فقد جاء عن طريق الحق والصواب صبورًا مظهرًا لضلاله وانحرافه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ٣٦﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].



س: من هذا الذي أنعم الله عليه، وأنعم عليه رسول الله ﷺ؟ وما صورة هذا الإنعام؟

ج: هذا هو الصحابي الجليل زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِبُّ رسول الله ﷺ.

أما إنعام الله عليه فنعم الله عليه واسعة لا تعدُّ ولا تُحصى، وأعظمها نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ عليه بأن هداه للإسلام والإيمان ومتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما إنعام رسول الله ﷺ عليه، فمنه إحسانه ﷺ عليه ومن صور هذا الإحسان إعتاق النبي ﷺ له وتحريره من الرِّق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ عتابًا من الله له ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالهداية ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، إنه قال لمولاه زيد ابن حارثة وهو الذي ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي: بالإسلام، ومتابعة الرسول، عليه

أفضل الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: بالعتق من الرق، وكان سيدًا كبير الشأن جليل القدر، حبيبًا إلى النبي ﷺ، يقال له: الحِبّ، ويقال لابنه أسامة: الحِبّ ابن الحِبّ. قالت عائشة، ڤ: ما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمَّره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه[١].



شيءٌ من فضائل زيد بن حارثة رضي الله عنه

س: اذكر شيئًا من فضل زيد بن حارثة رضي الله عنه؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرج البخاري[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ عَلَيْهِ وَمَا يَسُرُّنِي -أَوْ قَالَ- مَا يَسُرُّهُمْ أَنهُمْ عِنْدَنَا – وَقَالَ- وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَتَذْرِفَانِ».

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ».

وأخرج أحمد[٤] في سنده من حديث عائشة قالت: مَا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) في هذا الأخير نظر فإن النبي ﷺ قال: «**الأئمة من قريش**».
(٢) البخاري (٣٠٦٣).
(٣) البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).
(٤) أحمد في المسند (٦/ ٢٥٤)، وانظر فضائل الصحابة لأحمد (١٥٢٨)، (١٥٣٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٥).

(١٦٧) أحمر
أسود

زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلَّا أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْ بَقِيَ بَعْدَهُ اسْتَخْلَفَهُ.

وأخرج ابن سعد في الطبقات[1] بسند صحيح من حديث سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ قال: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَمَعَ زَيد بْن حَارِثَة تِسْعَ غَزَوَاتٍ يُؤمّرُه رَسُول الله ﷺ عَلينَا.

وأخرج ابن أبي شيبة[2] في المصنف من حديث البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لزيدٍ: «**أَمَّا أَنْتَ يَا زَيد فَأَخُونَا وَمَوْلَانَا**»، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجوه أُخر بنفس اللفظ.

وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.



(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٣).
(٢) المصنف (١٢٣٥٩).
(٣) البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(١٦٨) أحمر
أسود

ومن مناقب زيد بن حارثة ﵁ أنه
الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في كتاب الله ﷻ

قال القرطبي ﵀:

قال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي ﵁: كان يقال زيد بن محمد حتى نزل: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ فقال: أنا زيد بن حارثة وحرم عليه أن يقول: أنا زيد بن محمد فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص بها أحدًا من أصحاب النبي ﷺ وهي أنه سماه في القرآن فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ يعني من زينب ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنا يتلى في المحاريب نوه به غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ له ألا ترى إلى قول أبي بن كعب حين قال له النبي ﷺ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا**» فبكى وقال: أوذكرت هنالك؟ وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أن الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدًا لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن وأهل الجنة كذلك أبدًا لا يزال على ألسنة المؤمنين كما لم يزل مذكورًا على الخصوص عند رب العالمين؟ إذ القرآن كلام الله القديم[1] وهو باق لا يبيد فاسم زيد هذا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة تذكره في التلاوة السفرة الكرام البررة، وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبي من الأنبياء ولزيد بن حارثة تعويضًا من الله تعالى له مما نزع عنه وزاد في الآية أن قال: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ أي بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة علم ذلك قبل أن يموت وهذه فضيلة أخرى.

---

(١) وقوله: القديم تحتاج في إثباتها لدليل، ولم أقف عليه.

(١٦٩) أحمر
أسود

س: من هي زوجته التي عناها الله بقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؟

ج: هي زينب بنت جحش رضي الله عنها، التي صارت بعدُ زوجةً لرسول الله ﷺ وأمًّا من أمهات المؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وكان رسول الله ﷺ قد زَوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية - وأمها أميمة بنت عبد المطلب -وأصدقها عشرة دنانير، وستين درهما، وخِمارًا، ومِلْحَفة، ودِرْعًا، وخمسين مُدًّا من طعام، وعشرة أمداد من تمر. قاله مقاتل بن حيان[(١)]، فمكثت عنده قريبًا من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾. قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.



شيءٌ من فضل أم المؤمنين زينب بنت جحش ف

س: اذكر شيئًا من الوارد في فضل زينب ف وقصة زواج النبي ﷺ بها.

ج: أما قصة زواج النبي ﷺ بها فقد أخرجها مسلم[(٢)] في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ[(٣)] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «**فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**» قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) وهذا مرسل.

(٢) مسلم (١٤٢٨).

(٣) هي زينب بنت جحش بن رياب براء وتحتانية وآخره موحدة بن يعمر الأسدية، أمها أميمة عمة النبي □.

ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ قَالَ: فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الْحِجَابُ قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ.

وفي رواية لمسلم: ﴿ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ إِلَى قَوْلِهِ: وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

ومن مناقبها ؓ

أن الله ﷻ زوجها من فوق سبع سموات

أخرج البخاري[(١)] من حديث أنس قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**». قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

وَلَقَدْ نَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ فِي زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا ؓ.

أخرج البخاري[(٢)] من حديث أنس بن مالك ؓ يقول: نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْزًا وَلَحْمًا وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ

(١) البخاري (٧٤٢٠).
(٢) البخاري (٧٤٢١).

(١٧١) أحمر
أسود

النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ.

وما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه كما أولم على زينب ڤ

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوْلَمَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَيْهَا أَوْلَمَ بِشَاةٍ.

وكان رسول الله ﷺ يطيل المكث عندها ڤ.

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عَائِشَةَ ڤ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا فَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ قَالَ: «**لَا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**».

ثناء عائشة على زينب رضي الله عنهما

أخرج مسلم[٣] حديث عَائِشَةُ ڤ وفيه: ... «فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ».

---

(١) البخاري (٥١٧١)، ومسلم (١٠٤٩).
(٢) البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤).
(٣) مسلم (٢٤٤٢).

ولقد عصمها الله بالورع
في حديث الإفك فلم تتكلم إلا بخير

أخرج البخاري[(١)] حديث الإفك وفيه قالت عائشة: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فقال: «**يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ فَقَالَتْ**: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ».

ومن فضل زينب ڤ كثرة تصدقها

أخرج مسلم[(٢)] في صحيحه من حديث عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**».

قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا.

قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ[(٣)] لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

---

(١) البخاري (٤٧٥٠).

(٢) مسلم (٢٤٥٢).

(٣) تنبيه: أخرج البخاري (١٤٢٠) من حديث عائشة ﵂، وذلك من طريق مَسْرُوقٍ عَنْها قَالَت: إِنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ: **أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**؟ فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، ودفع هذا الإشكال يتم بما أورده الحافظ في الفتح (٣/ ٢٨٧) حيث قال: قَالَ اِبْن رَشِيد : وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ عَائِشَة لَا تَعْنِي سَوْدَة قَوْلهَا «فَعَلِمْنَا بَعْدُ» إِذْ قَدْ أَخْبَرَتْ عَنْ سَوْدَة بِالطُّولِ الْحَقِيقِيِّ، وَلَمْ تَذْكُرْ سَبَبَ الرُّجُوع عَنْ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ إِلَّا الْمَوْت، فَإِذَا طَلَبَ السَّامِع سَبَبَ الْعُدُولِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْإِضْمَار مَعَ أَنَّهُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّ الْمُخْبَرَ عَنْهَا إِنَّمَا هِيَ الْمَوْصُوفَةُ بِالصَّدَقَةِ لِمَوْتِهَا قَبْلَ الْبَاقِيَاتِ ، فَيَنْظُرُ السَّامِع وَيَبْحَثُ فَلَا يَجِدُ إِلَّا زَيْنَب ، فَيَتَعَيَّنُ الْحَمْلُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ إِضْمَارِ مَا لَا يَصْلُحُ غَيْرُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (**حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**) قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنَيِّر: وَجْهُ الْجَمْع أَنَّ قَوْلَهَا «فَعَلِمْنَا بَعْدُ» يُشْعِرُ إِشْعَارًا قَوِيًّا أَنَّهُنَّ حَمَلْنَ طُولَ الْيَدِ عَلَى = ظَاهِرِهِ، ثُمَّ عَلِمْنَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافَهُ وَأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الصَّدَقَة، وَالَّذِي عَلِمْنَهُ آخِرًا خِلَافَ مَا اِعْتَقَدْنَهُ أَوَّلًا ، وَقَدْ اِنْحَصَرَ الثَّانِي فِي زَيْنَب لِلِاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّهَا أَوَّلُهُنَّ مَوْتًا فَتَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ هِيَ الْمُرَادَة . وَكَذَلِكَ بَقِيَّة الضَّمَائِرِ بَعْدَ قَوْلِهِ «فَكَانَتْ» واسْتَغْنَى عَنْ تَسْمِيَتِهَا لِشُهْرَتِهَا بِذَلِكَ اِنْتَهَى .

إثبات أن زينب أول من لحقت بالنبي ﷺ

أخرج ابن سعد[١] في الطبقات من طريق عبد الرحمن بن أبزى أنه صلى مع عمر على زينب بنت جحش فكانت أول نساء رسول الله ﷺ موتًا بعده فكبر عليها أربعًا ثم أرسل إلى أزواج النبي ﷺ من تأمرنني أن يدخلها قبرها؟ قال: وكان يعجبه أن يكون هو يلي ذلك فأرسلن إليه من كان يراها في حياتها فيدخلها في قبرها فقال عمر بن الخطاب: صدقن..

وأخرج الطبري[٢] بسندٍ ضعيف، ولكن معناه صحيح من طريق الشعبي قال: كانت زينب زوج النبي ﷺ تقول للنبي ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل عليه السلام.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر يا رسول الله قولك لزيد بن حارثة رضي الله عنه الذي أنعم الله عليه بالإسلام والإيمان، وأنعمت عليه بالعتق لما جاءك يشكو زوجته زينب ف، حافظ على زوجتك، وأمسكها ولا تطلقها، واتق الله في نفسك وفي زوجتك بفعل ما أمرك الله به في شأنها.

س: فيمن نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾؟

---

(١) ابن سعد في الطبقات (٨/ ٨٨).

(٢) وهو مرسل ضعيف الإسناد، وكما اشرنا فمعناه صحيح.

أخرج البخاري[١] من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ.

الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه

س: ما الذي أخفاه رسول الله ﷺ وأخبر الله عز وجل أنه مُبديه؟

ج: الظاهر، والله تعالى أعلم، أن الله عز وجل كان قد أخبر نبيه ﷺ - بما أوحى إليه - أن زيدًا سيُطلق زينب ف وأن أمر الاختلاف الذي بينهما سيؤول إلى طلاق فلما جاء زيدٌ إلى النبي ﷺ يشكو زوجته أمره النبي بإمساكها مع تقوى الله، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من كون زيد سيطلق زينب ولم يخبر زيدًا بذلك.

وهذا التأويل هو الذي أرتضيه، وإنني لأتعجب من الطبري عفا الله عنه، مما ذهب إليه من الرأي في هذا الباب، ونقله عن غيره، وأورد جملة من الآثار بذلك؛ لا يثبت منها شيء - فيما علمت - عن صحابي فضلًا عن عدم ثبوته عن رسول الله ﷺ، وحاصل ما أورده أن النبي ﷺ لما جاءه زيدٌ يشكو زوجته تمنى النبي ﷺ من قلبه أن لو طلق زيدٌ زوجته حتى يتزوجها هو، وأخفى هذا التمني في نفسه.

فأقول، وبالله التوفيق: من أين أتى الطبري ومن قالوا بهذا القول، من أين أتوا بهذا القول، مع ما فيه من نسبة شيء قد يُشين إلى رسول الله ﷺ؛ فكان من اللائق به أن يضرب الذكر صفحًا عن مثل هذا لعدم ورود سند ثابت به، ثم كان يلزمه أن ينافح عن رسول الله في هذا المقام، وأن يُحسن الظن

(١) البخاري (٤٧٨٧).

بنبيه الكريم ﷺ في هذا الموطن، عفا الله عن الطبري وعمن قال بقوله، ثم إنني أشكر للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، حسن صنيعه إذ أضرب عن ذكر هذه الروايات التي تحمل ما قد يُشين رسول الله ﷺ مع ضعف أسانيدها وحاشاه رسولنا الكريم من أن يفعل شيئًا يشينه فإنه على خلق عظيم صلوات ربي وسلامه عليه، فعياذًا بالله من الغفلة التي قد توقع الشخص في حرج.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم هاهنا آثارًا عن بعض السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أحببنا أن نضرب عنها صفَحا لعدم صحتها فلا نوردها.

وقد روى الإمام أحمد هاهنا أيضا حديثًا، من رواية حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس فيه غرابة تركنا سياقه أيضا.

قلت (مصطفى): وأشكر للحافظ ابن كثير حسن صنيعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم إن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اختار من الأقوال ما أشرت إليه ونقل عن الأكثرين والحمد لله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروي عن علي بن الحسين[1]: «أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه

---

(١) قلت: وسواء صح القول عن علي بن الحسين، أم لم يثبت السند، فهذا القول هو الذي أرتضيه. والله أعلم.

هذا، وقد أورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول علي بن الحسين عازيًا إياه إلى ابن أبي حاتم فقال:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا ابن عيينة، عن علي بن زيد ابن جُدْعان قال: سألني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾؟ فذكرت له فقال: لا ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك. فقال: قد أخبرتك أني مُزَوّجكها، وتخفي =

أن زيدًا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه أنه يريد طلاقها قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: «**اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك**»، وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له بأن قال : «**أمسك**» مع علمه بأنه يطلق. وأعلمه أن الله أحق بالخشية أي في كل حال قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم، والمراد بقوله تعالى : ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا أو مستخف بحرمته. قال الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» وأسند إلى علي بن الحسين قوله : فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر ودرًّا من الدرر أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وأخذتك خشية

= في نفسك ما الله مبديه.

وأرى هذا الأثر يصح في هذا المقام، وإن كان في سنده علي بن زيد وهو ضعيف، لكنني أراه في هذا الموطن يصح لكونه يحكي شيئًا حدث له مع علي بن الحسين، وانظر الأثر عند الطبري والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٦٦).

الناس أن يقولوا : تزوج امرأة ابنه والله أحق أن تخشاه وقال النحاس : قال بعض العلماء : ليس هذا من النبي ﷺ خطيئة ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار منه، وقد يكون الشيء ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتتن الناس.

ثم عقب القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلام لابن العربي لدفع ما قد يرد من اشتباه أو إشكال فقال:

قال ابن العربي: فإن قيل لأي معنى قال له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقد أخبره الله أنها زوجه قلنا : أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله من رغبته فيها أو رغبته عنها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها فإن قيل : كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم أن الفراق لا بد منه ؟ وهذا تناقض قلنا : بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة ومعرفة العاقبة ألا ترى أن الله تعالى يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلًا وحكمًا وهذا من نفيس العلم فتيقنوه وتقبلوه وقوله : ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي في طلاقها فلا تطلقها وأراد نهي تنزيه لا نهي تحريم لأن الأولى ألا يطلق وقيل : اتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ قيل تعلق قلبه وقيل : مفارقة زيد إياها وقيل : علمه بأن زيدًا سيطلقها لأن الله قد أعلمه بذلك.

أما قول الطبري الذي لا أرتضيه فهو: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله ﷺ فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فأُلقِي في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ زيد، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو ﷺ يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وخف الله في الواجب له

عليك في زوجتك ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبدٍ ما تخفي في نفسك من ذلك ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلًا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها، والله أحق أن تخشاه من الناس.

وكذا لا أرتضي ما نقله بسندٍ حسن عن قتادة إذ قال: وكان يُخفي في نفسه ودَّ أنه طلقها.

وأعرض أيضًا عن سائر ما ذكره الطبري في هذا الصدد والله المستعان.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾؟

ج: ذلك – والله تعالى أعلم – أن رسول الله ﷺ كان يخشى أن يقول الناس إن محمدًا تزوج امرأة ابنه، فقد كان زيدٌ يدعى زيد بن محمدٍ فإذا طلق زيد زينب وتزوجها رسول الله ﷺ سيتكلم الناس في عرضه، فكان عندهم لا يسوغ لرجل أن يتزوج امرأة ولده سواء الذي تبناه، وليس بولده، أو ولده من صلبه.

فكان النبي يخشى ما ذُكر، وهو قول الناس إن محمدًا تزوج زوجة ابنه، فذكَّره الله ﷻ أنه سبحانه أحق بأن يخشى ويُرهب، لا الناس، والله أعلم.



س: ما مدى صحة هذا الأثر عن عائشة، قالت: لو كتم رسول الله ﷺ شيئًا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾؟

ج: ذاك أثر صحيح الإسناد، وروي من عدة وجوه عن عائشة رضي الله عنها[(١)].

(١) أخرج الطبري بعضًا منها

(١٧٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– فلما قضى زيدٌ بن حارثة رضي الله عنه حاجته من زينب بنت جحش رضي الله عنها وطلقها زيدٌ وانقضت عدتها منه زوَّجها الله نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم بوحي كريم، أوحاه الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو جبريل عليه السلام ذلك حتى يرتفع الحرج ويرتفع الإثم ويرتفع الشعور بالخجل عن المؤمنين الذي يريدون أن يتزوجوا امرأة من تبنوه ونسبوه إلى أنفسهم ابنا، وليس بابن على الحقيقة، فهؤلاء الذين تبنوا أطفالًا أو رجالًا وألحقوهم بهم، يحق لهم أن يتزوجوا بأزواج هؤلاء إذا طلقوهن وانقضت عدتهن، فالمحرَّم من النساء ليس امرأة من تبناه الشخص، وإنما امرأة ابنه الذي هو من صلبه ليس الولد الدَّعي الملتقط أو غير المُلتقط قال تعالى في بيان المحرمات من النساء ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] فالابن بالتبني امرأته حلال إذا طلقها وانقضت عدتها أما الابن الذي هو من الصلب، الذي هو ابن على الحقيقة فامرأته حرام.

فقوله تعالى: ﴿أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ هم الأبناء بالتبني، وهم ليسوا بأبناء على الحقيقة، وليس من حق أحدٍ الآن أن يتبنى ولدًا وينسبه لنفسه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ فحاصل معناه أن ما يريده الله لا بد وأن يكون، وأنا ما يقضيه الله لا بد وأن يتحقق، وقد يكون هذا الختام عائدًا على بعض ما في القصة المذكورة من ناحية زيدٍ وزينب رضي الله عنهما

(١٨٠) أحمر
أسود

فيكون المعنى، وإن حاولت يا رسول الله أن تصلح بين زيدٍ وزينب فلن يتم الصلح بينهما ويعيشا كزوجين؛ لأن الله ﷻ أراد لك أن تتزوجها لبيان حكم عظيم لهذه الأمة وهو رفع الحرج عن هذه الأمة، إذا أراد أحدهم أن يتزوج امرأة من تبناه إذا طُلِّقت وانقضت عدتها. والله أعلم.

وهذه بعض أقوال العلماء في هذا القدر من الآية

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٌ مِّنۡهَا وَطَرًا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته، وهي الوطر، ومنه قول الشاعر:

وَدَّعَنِي قَبْلَ أن أُوَدِّعَهُ ... لمَّا قَضَى مِنْ شَبابِنا وَطَرَا

﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ يقول: زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه؛ ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ يعني: في نكاح نساء من تبنوا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة إذا هم طلقوهن وبِنَّ منهم ﴿إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ يقول: إذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم، وفارقوهن وحللن لغيرهم، ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ يقول: وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أي: كائنا كان لا محالة. وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضيًا مفعولًا كائنًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ يقول: إذا طلقوهن، وكان رسول الله ﷺ تبني زيد ابن حارثة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا ....﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ إذا كان ذلك منه غير نازل لك، فذلك قول الله

(١٨١) أحمر
أسود

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾: الوطر: هو الحاجة والأرب، أي: لما فَرَغ منها، وفارقها، زَوّجناكها، وكان الذي وَلي تزويجها منه هو الله، عَزَّوَجَلَّ، بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ أي: إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال له: «زيد بن محمد»، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، ثم زاد ذلك بيانًا وتأكيدًا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة؛ ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء:٢٣] ليحترز من الابن الدَّعِي؛ فإن ذلك كان كثيرًا فيهم.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ۝٣٧﴾ أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحَتَّمه، وهو كائن لا محالة، كانت زينب في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ما كان على النبي من إثم في فعل ما أحله الله له، ومن ذلك تزوج من أحلَّهن الله له من النساء، ومن ذلك زواجه بامرأة زيد الذي كان قد تبناه من قبل، وهذه طريقة الله ﷻ في الأنبياء الذين سبقوه لم يكن الله ﷻ يؤثمهم إذا فعلوا ما أباحه الله لهم فقد كان لسليمان مائة امرأة، ولغيره كذلك عددٌ من النساء، وكان أمر الله قضاء مقضيًّا وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: من إثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه إياها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾: أي أحل الله له.

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ يقول: لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحل لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له، ونصب قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ على معنى: حقًّا من الله، كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ يقول: وكان أمر الله قضاء مقضيًّا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾ أي: فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دَعِيُّه زيد بن حارثة.

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ أي: هذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم

يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حَرج، وهذا رَدٌّ على مَنْ تَوَهَّم مِن المنافقين نقصًا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودَعيه، الذي كان قد تبناه.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ أي: وكان أمره الذي يقدِّره كائنًا لا محالة، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة. أعلمهم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء أن ينالوا ما أحله لهم أي سن لمحمد ﷺ التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان فكان لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية، وذكر الثعلبي عن مقاتل و ابن الكلبي أن الإشارة إلى داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها و(سُنَّةَ) نصب على المصدر أي سن الله له سنة واسعة و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ هم الأنبياء بدليل وصفهم بعد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾.

ج: هذا وصف للأنبياء والرسل الذين مضوا من قبل، وتقدموا فمن شأنهم أنهم يبلغون ما أمروا بتبليغه إلى الخلق، ويخافون في ذلك ربهم عَزَّ وَجَلَّ إن هم قصروا في البلاغ ويخافون الله عَزَّ وَجَلَّ إن هم عصوا أمره ولا يخافون أحدًا سوى الله عَزَّ وَجَلَّ، وكفى بالله حافظًا لهم وناصرًا ومعينًا، وكفى بالله حافظًا لأعمالهم ومُحصيًا ومحاسبًا عليها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل، الذي يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدًا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه. يقول لنبيه محمد: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن، ولا تخش أحدًا إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه، إن أراد بك سوءًا، والذين من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ خُفض ردًّا على التي في قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾. وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه، ومحاسبا لهم عليها .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يمدح تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾ أي: يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ أي: وكفى بالله ناصرًا ومعينًا. وسيد الناس في هذا المقام -بل وفي كل مقام- محمد رسول الله ﷺ؛ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو، صلوات الله عليه، فإنه بُعث إلى جميع الخلق عَرَبِهم وعجمهم، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى مَنْ قام بها بعده أصحابه، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في

ليله ونهاره، وحَضَره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون. فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.



س: ما وجه قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ وقد ولد لرسول الله ﷺ أبناء؟

ج: في ذلك توجيهان لأهل العلم:

أحدهما: ما كان محمد أبا أحدٍ من قريش ولا غيرها إلا أبناؤه، ما كان أبًا لزيد بن حارثة ولا لغيره من رجالكم.

الثاني: أن يُقال: إن أولاد النبي ﷺ ماتوا صغارًا ولم يعش منهم أحدٌ حتى كان رجلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء.

وأورد بإسناد حسن[(١)] عن قتادة قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال: نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: آخرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ

(١) ومعلوم أن هذا مرسل، فقتادة لم يدرك القصة، ولكن يبدو لي أن هذا تفسير من قتادة.

بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾، نهى أن يقال بعد هذا: «زيد بن محمد» أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه، صلوات الله عليه وسلامه، لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم؛ فإنه ولد له القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة فماتوا صغارا، وولد له إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضا رضيعا، وكان له من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتى أصيبت به، صلوات الله وسلامه عليه، ثم ماتت بعده لستة أشهر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما تزوج زينب قال الناس: تزوج امرأة ابنه فنزلت الآية أي ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلته ولكنه أبو أمته في التبجيل والتعظيم وأن نساءه عليهم حرام فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم وأعلم أن محمدًا لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة ولم يقصد بهذه الآية أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور: إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا وأما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا رجلين معاصرين له.



س: اذكر بعض الأدلة على أنه لا نبي بعد رسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**».

وعند مسلم[٢] من طريق مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ**» وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

وفي رواية عند مسلم: «**وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ**».

قلت: ولكن يبدو - والله أعلم - أن تفسير العاقب من قول الزهري كما بُيِّن في بعض الروايات.

وعند مسلم[٣] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**».

وأخرج الإمام أحمد[٤] بسندٍ حسن من حديث أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**» قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ قَالَ: «**وَلَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «**رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ**».

---

(١) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).
(٢) مسلم (٢٣٥٤)، والبخاري (٣٥٣٢).
(٣) مسلم (٥٢٣).
(٤) أحمد (٣/ ٢٦٧).

(١٨٨) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ كقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤] فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة.

وأورد كمًّا من الأحاديث ثم قال:

والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد، صلوات الله وسلامه عليه، إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل مَنِ ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنَيرجيَّات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله، سبحانه وتعالى، على يد الأسود العَنْسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لب وفهم وحِجى أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله. وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب مَنْ جاء بها. وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ

(١٨٩) أحمر
أسود

أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ الآيـة [الشـعراء:٢٢١، ٢٢٢]. وهـذا بخـلاف حـال الأنبيـاء عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، فـإنهم في غايـة الـبر والصـدق والرشـد والاسـتقامة، فيمـا يقولونـه ويفعلونـه ويأمرون بـه وينهـون عنـه، مـع مـا يؤيـدون بـه مـن الخـوارق للعـادات، والأدلـة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسـلامه علـيهم دائمًـا مسـتمرًّا ما دامت الأرض والسموات.



(١٩٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾
هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ
وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا
كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا
﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٨]

(١٩١) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ وَسَبِّحُوهُ -بُكۡرَةٗ -وَأَصِيلًا -يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ -ٱلظُّلُمَٰتِ -ٱلنُّورِۚ -شَٰهِدٗا -وَمُبَشِّرٗا -وَنَذِيرٗا -وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا -فَضۡلٗا كَبِيرٗا -وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ -وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَسَبِّحُوهُ ﴾	نزِّهوه عن كل ما لا يليق به، بقولكم سبحان الله وبصلاتكم
﴿بُكۡرَةٗ ﴾	صباحًا – وقيل صلاة الصبح
﴿وَأَصِيلًا ﴾	مساءً وقيل صلاة العصر
﴿يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ ﴾	يثني عليكم (عند ملائكته) – يرحمكم
﴿ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾	ظلمات الكفر والجهالة والضلال
﴿ٱلنُّورِۚ ﴾	نور الإسلام والهداية والتوفيق والسداد
﴿شَٰهِدٗا ﴾	شاهدًا على قومك وشاهدًا أيضًا على سائر الأمم، يشهد على أمته أنه قد بلغهم، وهو وأمته يشهدون على سائر الأمم أن أنبياءهم قد بلغوهم
﴿وَمُبَشِّرٗا ﴾	مُخبرًا من أطاع بأن له الجنة
﴿وَنَذِيرٗا ﴾	مُحذرًا من عصى بأن له النار
﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾	ضياء منيرًا مشرقًا موضحًا الحق من الباطل، والهداية من الغواية
﴿فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾	أجرًا مضاعفًا أضعافًا

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾	لا تؤاخذهم، بل أعرض عنهم ولا تعاتبهم، وقد قيل إن الآية منسوخة – والله أعلم
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	فوض أمرك إلى الله ﷻ واعتمد عليه



بعض الوارد
في فضل الذكر وفوائده والحث عليه

س: اذكر بعض الوارد في الحث على ذكر الله ﷻ والإكثار منه وبعض الوارد في فضل ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقوله تعالى لزكريا عليه السلام: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١].

ومن فوائد الذكر:

أن الله ﷻ يذكرنا إذا نحن ذكرناه قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فإن ذكرناه في ملإٍ ذكرنا في ملإٍ خير منهم، وإن ذكرناه في أنفسنا ذكرنا في نفسه: قال تعالى في الحديث القدسي «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قيل في معناها: أن ذكر الله للعبد إذا ذكره في الصلاة أكبر من ذكر العبد له.

ومن الفوائد أن القلوب تطمئن بذكر الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

والألسن ترطب بذكر الله:

فقد سأل رجل رَسُولَ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَام قَدْ كَثُرَتْ عَلَينَا، فَمُرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «**لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ**»[1].

والأبدان تقوى بذكر الله:

ففي الصحيح[2] من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا. وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**».

والشياطين تخنس إذا ذُكر الله:

فمن ثمَّ أطلق على الشيطان الخناس يختفي إذا ذُكر الله.

والملائكة تتنزل بذكر الله، والسكينة والرحمات تغشانا وتحل بنا:

ففي الصحيح[3] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ

---

(١) أحمد (٤/١٩٠)، والترمذي (٢٣٢٩).

(٢) البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) مسلم (٢٦٩٩).

(١٩٤) أحمر
أسود

نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

وعند مسلم[(١)] أيضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟! قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «**آللهِ! مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ**».

وبذكر الله نسبق غيرنا:

قال ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**».

وبذكر الله نحظى بالمغفرة والأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(١) مسلم (٢٧٠١).

(١٩٥) أحمر
أسود

والذاكر في حصن حصين:

أخرج الترمذي وأحمد[1] وغيرهما بسندٍ صحيح من حديث الْحَارِث الْأَشْعَرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ... فذكر الحديث وفيه: وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ».

* ومن مقاصد العبادات إقامة ذكر الله:

* فالصلاة قال الله فيها: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤] قيل: لتذكرني فيها.

* والحج كذلك قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة: ١٨٩].

* والتلبية والإهلال والتكبير في الطواف وسائر أعمال الحج كلها ذكر لله.

* وعقب الصيام ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* والمناسك والذبائح كذلك ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ...﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

* بل ومن مقاصد الجهاد إقامة ذكر الله، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

(١) الترمذي (٢٨٦٣).

(١٩٦) أحمر
أسود

بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ [الحج: ٤٠].

فشرع الجهاد ومن مقاصده حفظ المساجد التي يُذكر فيها اسم الله كثيرًا.

* إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل ربه أن يعينه ويشد أزره بأخيه هارون لإقامة ذكر الله، فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ [طه: ٣٠-٣٥] فلهذا المقصد الحسن أجيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه: ٣٦].

* إن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لما منع الكلام كآيةٍ ودليل على أن زوجته حملت لم يمنع من الذكر، قال تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: ٤١].

ولقد روي(١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٠٣] بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾.



(١) أخرجه الطبري بسندٍ ضعيف عنه، ولكن لمعناه شواهد.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾؟

ج: المعنى، ونزهوه عن كل ما لا يليق به صباحًا ومساءً، وذلك بقولكم: سبحان الله، أو بصلاتكم (الصلاتين اللتين فرضتا أول ما فرضتا، وثبت فضلهما أيضًا بعد ذلك وهما صلاة الصبح وصلاة العصر). والله أعلم.



س: ما المراد بصلاة الله علينا، وما المراد بصلاة الملائكة علينا؟

ج: أما صلاة الله علينا فيذكر العلماء فيها وجهين:

أحدهما: ثناؤه علينا (عند الملائكة).

الثاني: رحمته ﷻ بنا أما صلاة الملائكة علينا فدعاؤهم لنا، والله أعلم.



س: هل هناك وجه ربط بين قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ..﴾ الآية، وبين الآيات التي سبقتها وهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١...﴾.

ج: نعم هناك وجه، حاصله أن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ...﴾ يتضمن حثًّا على الذكر، فإذا كان ربك سبحانه وتعالى يثني عليك يا عبد الله عند ملائكته فاذكره صباحًا ومساءً وصلِّ له كما أمرك والله أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ سلام مِنْ مَنْ؟

ج: سلام من الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وسلام من الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وسلام من الولدان المخلدين، وسلام من بعضهم على بعض. والله أعلم.

س: وضح معنى هذه الآيات إجمالًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ ؟

ج: هذا حثٌّ من الله ﷻ لعباده المؤمنين على أن يكثروا من ذكره تبارك وتعالى وتسبيحه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، وحث على صلاتين – فضلًا عن سائر الصلوات – لهما شأن عظيم وهما صلاة الصبح، وصلاة العصر، وكذا حثٌّ على الأذكار في هذه الأوقات، وذلك كله في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ثم تهييج على ذلك وتحريض عليه بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ فإذا كان سبحانه وتعالى يصلي عليكم وملائكته فلم لا تذكرونه وهو يثني عليكم ويرحمكم وملائكته يدعون لكم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [غافر: ٧-٩].

* ثم إن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ يقتضي أيضًا أن نذكره بكرة وأصيلًا، بل وفي كل وقت وحين.

* أما قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ فحاصل معناه: أنه إخبار من الله ﷻ لأهل الإيمان بالتحية التي سيُحييهم بها يوم لقائه

بهم، وهي تسليمه عليهم وسلام من الملائكة عليهم كذلك.

وكذا فإنهم فيما بينهم يُسلم بعضهم على بعض.

* أما قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ فهو الجنة جنة الخلد التي أعدت للمتقين، والله أعلم، وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرًا كثيرًا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيًّا صلاة العصر. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ يقول: تدعو ملائكة الله لكم؛ فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإسلام.

وأورد بسند حسن عن قتادة قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ صلاة الغداة، وصلاة العصر.

وقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ أي: من الضلالات إلى الهدى.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ قال: من الضلالة إلى الهدى، قال: والضلالة: الظلمات، والنور: الهدى.

وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به

ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا.

وأورد بسند حسن عن قتادة: قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قال: تحية أهل الجنة السلام.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ يقول: وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابًا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا، كريمًا، وذلك هو الجنة.

وأورد بسند حسن عن قتادة قال: هي الجنة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب.

ثم أورد جملة أحاديث في فضل الذكر، وقال:

وقوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أي: عند الصباح والمساء، كقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧، ١٨].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾: هذا تهييج إلى الذكر، أي: إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢]. وقال النبي ﷺ: «يقول الله: مَنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومَنْ ذكرني في مَلأ ذكرته في ملأ خير منهم»(١).

والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري عن أبي العالية. ورواه أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عنه.

وقال غيره: الصلاة من الله: الرحمة. وقد يقال: لا منافاة بين القولين والله أعلم.

وأما الصلاة من الملائكة، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية. [غافر: ٧-٩].

وقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم، ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين. ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا: فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبَصّرهم الطريق الذي ضَلَّ عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام. وأما رحمته بهم في الآخرة: فآمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ الظاهر أن المراد -والله أعلم- ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ أي: من الله تعالى يوم يلقونه ﴿سَلَامٌ﴾ أي: يوم يسلم عليهم كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٨].

وزعم قتادة أن المراد أنهم يتحون بعضهم بعضا بالسلام، يوم يلقون الله في الدار الآخرة. واختاره ابن جرير.

قلت: وقد يستدل بقوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ يعني: الجنة وما فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمناكح والملاذ والمناظر وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أي اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير. قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب.

وقال أيضًا:

وقيل: المراد صلوا لله بكرة وأصيلًا، والصلاة تسمى تسبيحًا، وخص الفجر والمغرب والعشاء بالذكر لأنها أحق بالتحريض عليها؛ لاتصالها بأطراف الليل وقال قتادة و الطبري: الإشارة إلى صلاة الغداة وصلاة العصر والأصيل: العشي وجمعه أصائل. والأصل بمعنى الأصيل وجمعه آصال،

(٢٠٣) أحمر
أسود

قاله المبرد، وقال غيره: أصل جمع أصيل كرغيف ورغف، وقد تقدم.

س: على الداعي إلى الله ﷻ أن يمزج بين التبشير بالجنة وأوصافها والتحذير من النار ولا ينصب كل كلامه على التخويف من النار دلِّل على ذلك؟

ج: نعم عليه ذلك، وذلك لأن الله ﷻ أرسل نبيه محمدًا ﷺ ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ مبشرًا من أطاع بالجنة ومنذرًا من عصى، ومحذرًا من النار.

وقال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

وقد كثرت جدًّا الآيات المبشرة لأهل الإيمان بالجنة، وكذا المخوِّفة من النار، والله أعلم.



س: الداعي إلى الله لن يتمكن من الدعوة إلا بتمكين الله له اذكر ما يدل على ذلك؟

ج: من الدليل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ قيل: بأمره، وقيل: بتقديره.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ هنا معناه: بأمره إياك وتقديره ذلك في وقته وأوانه، فعليه فلن يتمكن شخص من الدعوة إلى الله إلا بتمكين الله له بذلك، فهذا يُلزم الدعاة إلى الله أن يسألوا الله أن يجندهم له، وأن يحفظ عليهم تمكينه لهم من الدعوة إلى الله، والله أعلم.



س: اذكر آية توضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ

(٢٠٤) أحمر
أسود

هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

س: هل هذا القدر من هذه الآية الكريمة: ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ منسوخة؟

ج: ذهب ذلك إلى أن هذه الآية الكريمة منسوخة بآية السيف، وكذا بنحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التحريم: ٩] والله أعلم.



س: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ موصوف في التوراة بنحو ما وصف به في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾ اذكر ما يوضح ذلك؟

ج: أخرج البخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده من طريق عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَسْتَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا[١].



(١) البخاري (٢١٢٥)، والمسند (٢/ ١٧٤).

(٢٠٥) أحمر
أسود

س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾.

ج: حاصل المعنى – والله تعالى أعلم – أن الله تبارك وتعالى يخبر نبيه ﷺ بالذي بعثه به وأرسله به فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، وهذا تلطف في الخطاب وبيانٌ لعظيم منزلة رسول الله ﷺ عند الله ﷻ، فلم يناده باسمه في القرآن أبدًا بل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ونحو ذلك.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على أمتك كما قال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

وكذا شهيدًا هو وأمته على سائر الأمم كما في الصحيح(١) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ».

وكذلك أرسلناك ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ من أطاع بالجنة.

﴿وَنَذِيرٗا﴾ لمن عصى بالنار.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى توحيده ﷻ والسمع والطاعة له سبحانه وتعالى، وداعيًا إلى لا إله إلا الله.

(١) البخاري (٤٤٨٧)، ومسلم (٢٩٦١).

وقوله: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: بأمره، وتقديره ذلك.

﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ أي: وضياءً منيرًا للخلق ليستبصروا به من ظلمات العمى والجهالة والكفر.

وأمره ﷻ أن يبشر أهل الإيمان بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧﴾، أجورًا عظيمة زائدة على أعمالهم التي عملوها ومضاعفة أضعافًا كثيرة.

ثم ينهاه ربه ﷻ عن طاعة الكافرين والمنافقين بقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ أي: أعرض عنهم لا تؤاخذهم ولا تعاتبهم ولا تقابل إساءتهم بإساءة، (وقيل: إن هذا كان أوائل الدعوة ثم نسخ).

ثم أمره الله بتفويض أمره إليه إذ قال: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: واعتمد في شؤونك كلها على الله وفوض أمرك إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ أي: وكفى بالله حافظًا لك، ومدبرًا لأمورك كلها، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة، ومبشرهم بالجنة إن صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك، ﴿وَنَذِيرٗا﴾ من النار أن يدخلوها، فيعذبوا بها إن هم كذبوك، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على أمتك بالبلاغ ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا﴾ بالنار.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وداعيا إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ يقول: بأمره إياك بذلك ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ يقول: وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده ﴿مُّنِيرًا﴾ يقول: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك: أنه يهدي به من اتبعه من أمته. وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وبشر أهل الإيمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلًا كبيرًا: يقول: بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضعيفا كثيرا، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ يقول: ولا تطع لقول كافر ولا منافق؛ فتسمع منه دعاءه إياك إلى التقصير في تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ يقول: وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده، والنفوذ لما كلفك.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: اصبر على أذاهم.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وفوض إلى الله أمورك، وثق به؛ فإنه كافيك جميع من دونه، حتى يأتيك بأمره وقضاؤه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يقول: وحسبك بالله قيما بأمورك، وحافظًا لك وكالئًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿شَٰهِدًا﴾ أي: لله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]،، [كقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]].

وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيرًا للكافرين من وبيل العقاب.

وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: وأمرُك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾، أي: لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: اصفح وتجاوز عنهم، وكِلْ أمرهم إلى الله، فإن فيه كفايةً لهم؛ ولهذا قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إياك فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين وناسخه آية السيف، وفيه معنى ثان: أي أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ولا تشتغل به فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل وهذا تأويل مجاهد والآية منسوخة بآية السيف ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ أمره بالتوكل عليه وآنسه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾ وفي قوة الكلام وعد بنصر. والوكيل: الحافظ القائم على الأمر.



قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن
تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا
جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا
مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ
وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ
أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا
فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ
عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ
وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن
تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي
قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن
تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩-٥٢]

س: وضح معنى ما يلي:
﴿نَكَحْتُمُ - تَمَسُّوهُنَّ - عِدَّةٍ - تَعْتَدُّونَهَا - فَمَتِّعُوهُنَّ - وَسَرِّحُوهُنَّ - ءَاتَيْتَ - أُجُورَهُنَّ - يَسْتَنكِحَهَا - خَالِصَةً لَّكَ - مَا فَرَضْنَا - حَرَجٌ - تُرْجِي - وَتُؤْوِي إِلَيْكَ - ابْتَغَيْتَ - عَزَلْتَ - تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ - حَلِيمًا - تَبَدَّلَ بِهِنَّ - حُسْنُهُنَّ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَكَحْتُمُ﴾	تزوجتم (عقدتم عقد الزواج)
﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾	تجامعوهن
﴿عِدَّةٍ﴾	مدة زمنية تنتظرها المرأة المطلقة (وهي ثلاثة قروء للمدخول بها)
﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾	تنتظرونها وتراجعون فيها أزواجكم
﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾	أعطوهن شيئًا يستمتعن به
﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾	طلقوهن – اتركوهن يتصرفن في أنفسهن كما أمرهن الله
﴿ءَاتَيْتَ﴾	أعطيت
﴿أُجُورَهُنَّ﴾	مهورهن – صداقهن
﴿يَسْتَنكِحَهَا﴾	يتزوجها
﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾	خاصة بكم
﴿مَا فَرَضْنَا﴾	ما أوجبنا عليهم – ما شرعنا لهم
﴿حَرَجٌ﴾	إثم

﴿تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾	تطلق واحدة وتتزوج مكانها أخرى
﴿حُسْنُهُنَّ﴾	جمالهن دعوة واحدة



لا عدة على المطلقة قبل المسيس

س: ما المراد بالنكاح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ...﴾؟

ج: المراد بالنكاح هنا عقد التزويج (بدون بناء بالزوجة).

قال ابن كثير $:

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة. منها: إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وقد اختلفوا في النكاح: هل هو حقيقة في العقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده، إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده؛ لقوله: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾. وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها.



س: هل الكتابية (اليهودية أو النصرانية) إذا عقد عليها المسلم، ولم يبن بها ثم طلقها، تأخذ نفس الحكم من كونها لا تعتد أم أن عدم العدة خاص بالمؤمنات لقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؟

ج: الكتابية تأخذ نفس الحكم، وقد نقل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاتفاق على هذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ خرج مخرج الغالب؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة

(٢١٢) أحمر
أسود

والكتابية في ذلك بالاتفاق.



س: إذا قال رجل لامرأة – ليست بزوجته – أنت طالق، فهل إذا تزوجها تكون طالقًا؟ وإذا قال لها: إن تزوجتك فأنت طالق هل تكون طالقًا إذا تزوجها؟

ج: عند جمهور العلماء لا يعتبر بهذا القول الذي كان منه قبل الزواج إذ لا طلاق إلا بعد نكاح، واستدل بهذه الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ...﴾ على أن لا طلاق قبل الزواج، ففي الحالتين المذكورتين في السؤال لا يقع الطلاق، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل ابن عباس، وسعيد بن المسَيَّب، والحسن البصري، وعلي بن الحسين، زين العابدين، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ﴾، فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله. وهذا مذهب الشافعي، وأحمد بن حنبل، وطائفة كبيرة من السلف والخلف، رحمهم الله تعالى.

وذهب مالك وأبو حنيفة، رحمهما الله، إلى صحة الطلاق قبل النكاح؛ فيما إذا قال: «إن تزوجت فلانة فهي طالق». فعندهما متى تزوجها طلقت منه. واختلفا فيما إذا قال: «كل امرأة أتزوجها فهي طالق». فقال مالك: لا تطلق حتى يعين المرأة. وقال أبو حنيفة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه، فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث النبي ﷺ «**لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك**»[١].

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٣/٤٧٧)، وأبو داود (٢١٩٠)، وغيرهما من حديث عمرو بن

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ليس من حقكم يا معشر من طلقتم النساء قبل الدخول بهن ليس من حقكم إلزامهن بعدة تراجعوهن فيها ولكن بمجرد تطليقكم لهن فقد حللن للزواج برجال آخرين غيركم إن شئن ذلك، ولا ينتظرن ما تنتظره سائر المطلقات المدخول بهن من القروء الثلاث المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾.

ج: المراد- والله تعالى أعلم - فأعطوهن - أي المطلقات قبل المسيس (قبل البناء بهن - ما يتمتعن به من مال أو متاع أو أثاث أو ذهب أو غير ذلك مما يستمتع به، وذلك، والله تعالى أعلم - جبرًا لخواطرهن المكسورة التي كسرت بالطلاق فالمطلقة التي كُسر خاطرها بالطلاق يُجبر خاطرها بالمتاع والله أعلم.

أما قوله: (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ فمؤداه واتركوهن وشأنهن لا تعترضوهن ولا تمنعوهن مما أردن من فعل ما أباحه الله لهن والله أعلم.



شعيب =

= عن أبيه عن جده مرفوعًا، وله شواهد يصح بها.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾.

ج: هذا خطاب لأهل الإيمان وأمرٌ لهم وبيان لحكم من الأحكام المتعلقة بالطلاق، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي عقدتم عقد النكاح ﴿ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: من قبل جماعهن، فالمساس هنا هو الجماع ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ أي: فليس لكم أن تأمروهن أن ينتظرن حتى تنتهي عدتهن وتراجعوهن أثناء ذلك قبل انقضاء العدة، فمتعوهن على قدر استطاعتكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ...﴾ ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ اتركوهن وشأنهن ﴿سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ تسريحًا وفق الكتاب والسنة هذا ومن أهل العلم من قال بأن هذه المتعة خاصة باللواتي عُقد عليهن ولم يُحدد ولم يُسمَّ الصداق أما التي سُمي وحُدِّد صداقها فلا تصف الصداق فقط، وليس لها متعة، وهذا قولٌ قوي؛ لأن الله جعل للمطلقة قبل المسيس نصف الصداق كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ فالمفاد أنه وإن كان للمرأة نصف الصداق؛ لكنها أرشدت للأفضل وهو التجاوز عن هذا النصف فكيف يكون ذلك، ويلزم الزوج بالمتعة، والله أعلم، وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ يعني: من قبل أن تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ

﴿تَعۡتَدُّونَهَا﴾ يعني من إحصاء أقراء، ولا أشهر تحصونها عليهن؛ ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ يقول: أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال. وقوله: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ يقول: وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف، وهو التسريح الجميل.

وأورد بإسناد فيه مقالٌ[1] عن عن ابن عباس قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا﴾ فهذا في الرجل يتزوج المرأة، ثم يطلقها من قبل أن يمسها، فإذا طلقها واحدة بانت منه، ولا عدة عليها تتزوج من شاءت، ثم قرأ: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ يقول: إن كان سمى لها صداقًا، فليس لها إلا النصف، فإن لم يكن سمى لها صداقًا، متعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل.

قال الطبري: وقال بعضهم: المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله: ﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وأورد بإسناد صحيح عن شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب، قال: نسخت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا﴾ قال: نسخت هذه الآية التي في البقرة .

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا﴾: هذا أمر مجمع عليه بين العلماء: أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها مَنْ شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضا.

---

(١) قلت: وإن كان فيه مقال إلا أن معناه صحيح ولذا فقد أوردته، والله أعلم (مصطفى).

وقوله: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى، أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وفي صحيح البخاري، عن سهل بن سعد وأبي أسيد؛ أن رسول الله ﷺ تزوج أميمة بنت شَرَاحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيَّين[(١)].

وقال القرطبي $:

هذه الآية مخصصة لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ولقوله: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤] وقد مضى في البقرة ومضى فيها الكلام في المتعة فأغنى عن الإعادة هنا ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة قاله ابن عباس الثاني: أنه طلاقها طاهرًا من غير جماع قاله قتادة وقيل: فسرحوهن بعد الطلاق إلى أهلهن فلا يجتمع الرجل والمطلقة في موضع واحد.



شيء عن أزواج النبي ﷺ وإمائه

(١) البخاري (٥٢٥٦، ٥٢٥٧).

س: اذكر شيئًا عن أزواج النبي ﷺ وقصص زواجه بهن، وكذا شيئًا عن إمائه.

ج: أقول – وبالله تعالى التوفيق – قد وقعت لي قصص زواج النبي ﷺ بعض نسائه بأسانيد صحيحة أوردها إن شاء الله بعد إيراد ما ذكره القرطبي عن أزواج النبي ﷺ، وإمائه، وذلك عند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾، وإن كان فيما ذكره القرطبي من أحاديث وآثار ما لم أقف له على إسناد، فأورد ما ذكره القرطبي من غير تعقيب ثم أعقب بالذي وقع لي بالأسانيد الصحيحة إن شاء الله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ كان للنبي ﷺ أزواج منهن من دخل بها ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها و منهن من خطبها فلم يتم نكاحه معها.

فأولهن : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت قبله عند أبي هالة واسمه زرارة بن النباش الأسدي وكانت قبله عند عتيق بن عائذ ولدت منه غلامًا اسمه عبد مناف وولدت من أبي هالة هند بن أبي هالة وعاش إلى زمن الطاعون فمات فيه ويقال : إن الذي عاش إلى زمن الطاعون هند بن هند وسمعت نادبته تقول حين مات واهند بن هنداه واربيب رسول الله ولم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة غيرها حتى ماتت وكانت يوم تزوجها رسول الله ﷺ بنت أربعين سنة وتوفيت بعد أن مضى من النبوة سبع سنين وقيل : عشر وكان لها حين توفيت خمس وستون سنة وهي أول امرأة آمنت به وجميع أولاده منها غير إبراهيم قال حكيم بن حزام: توفيت خديجة فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله ﷺ في

حفرتها ولم تكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها.

ومنهن: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية أسلمت قديمًا وبايعت وكانت عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو وأسلم أيضًا وهاجرا جميعًا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل : مات بالحبشة فلما حلت خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها ودخل بها بمكة وهاجر بها إلى المدينة فلما كبرت أراد طلاقها فسألته ألا يفعل وأن يدعها في نسائه، وجعلت ليلتها لعائشة - حسبما هو مذكور في الصحيح - فأمسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين.

ومنهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وكانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : يا رسول الله دعني أسلها من جبير سلًّا رفيقًا فتزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل: بثلاث سنين وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين ومات رسول الله ﷺ وهي بنت ثماني عشرة ولم يتزوج بكرًا غيرها وماتت سنة تسع وخمسين وقيل: ثمان وخمسين.

ومنهن حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية تزوجها رسول الله ﷺ ثم طلقها فأتاه جبريل فقال : «**إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة فراجعها**» قال الواقدي : وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة وقيل : ماتت في خلافة عثمان بالمدينة.

ومنهن : أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية - واسم أبي أمية سهيل - تزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوال سنة أربع زوجها منه ابنها سلمة على الصحيح وكان عمر ابنها صغيرًا وتوفيت في سنة تسع

وخمسين وقيل : سنة ثنتين وستين والأول أصح وصلى عليها سعيد بن زيد وقيل أبو هريرة : وقبرت بالبقع وهي ابنة أربع وثمانين سنة.

ومنهن : أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان بعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطب عليه أم حبيبة فزوجه إياها وذلك سنة سبع من الهجرة وأصدق النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وتوفيت سنة أربع وأربعين وقال الدارقطني : كانت أم حبيبة تحت عبيد الله بن جحش فمات بأرض الحبشة على النصرانية فزوجها النجاشي النبي ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة.

ومنهن : زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ زينب وكان اسم أبيها برة فقالت: يا رسول الله بدل اسم أبي فإن البرة حقيرة فقال لها النبي ﷺ: «**لو كان أبوك مؤمنا كنا سميناه باسم رجل منا أهل البيت ولكني قد سميته جحشا والجحش من البرة**» ذكر هذا الحديث الدارقطني : تزوجها رسول الله ﷺ بالمدينة في سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين .

ومنهن : زينب بنت خذيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصة الهلالية كانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم تزوجها رسول الله ﷺ في رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرا من الهجرة فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في حياته في آخر ربيع الأول على رأس تسعة وثلاثين شهرًا ودفنت بالبقيع.

ومنهن : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية أصابها

في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فقضى رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها وذلك في شعبان سنة ست وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية وتوفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين وقيل : سنة خمسين وهي ابنة خمس وستين.

ومنهن : صفية بنت حيي بن أخطب الهارونية سباها النبي ﷺ يوم خيبر واصطفاها لنفسه وأسلمت وأعتقها وجعل عتقها صداقها وفي الصحيح أنها وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس وماتت في سنة خمسين وقيل : سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع.

ومنهن : ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة من بني النضير سباها رسول الله ﷺ وأعتقها وتزوجها في سنة ست وماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع وقال الواقدي : ماتت سنة ست عشرة وصلى عليها عمر قال أبو الفرج الجوزي : وقد سمعت من يقول : إنه كان يطؤها بملك اليمين ولم يعتقها.

قلت: ولهذا والله أعلم لم يذكرها أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد أزواج النبي ﷺ .

ومنهن : ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها رسول الله ﷺ بسرف على عشرة أميال من مكة وذلك في سنة سبع من الهجرة في عمرة القضية وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ وقدر الله تعالى أنها ماتت في المكان الذي بنى فيه رسول الله ﷺ بها ودفنت هنالك وذلك في سنة إحدى وستين وقيل : ثلاث وستين وقيل : ثمان وستين.

فهؤلاء المشهورات من أزواج النبي ﷺ وهن اللاتي دخل بهن رضي الله عنهن :

(٢٢١) أحمر
أسود

فأما من تزوجهن ولم يدخل بهن فمنهن : الكلابية واختلفوا في اسمها فقيل: فاطمة، وقيل: عمرة، وقيل: العالية قال الزهري : تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية فاستعاذت منه فطلقها، وكانت تقول : أنا الشقية تزوجها في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين.

ومنهن : أسماء بنت النعمان بن الجون بن الحارث الكندية وهي الجونية قال قتادة: لما دخل عليها دعاها فقالت: تعال أنت فطلقها وقال غيره: هي التي استعاذت منه وفي البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد قالا: تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين، وفي لفظ آخر قال أبو أسيد: أتى رسول الله ﷺ بالجونية فلما دخل عليها قال : «**هبي لي نفسك**» فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده ليضعها عليها لتسكن فقالت: أعوذ بالله منك ! فقال : «**قد عذت بمعاذ**» ثم خرج علينا فقال : «**يا أبا أسيد أكسها رزاقيتين وألحقها بأهلها**».

ومنهن : قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس زوجها إياه الأشعث ثم انصرف إلى حضرموت فحملها إليه فبلغه وفاة النبي ﷺ فردها إلى بلادها فارتد وارتدت معه ثم تزوجها عكرمة بن أبي جهل فوجد من ذلك أبو بكر وجدًا شديدًا فقال له عمر : إنها والله ما هي من أزواجه ما خيرها ولا حجبها ولقد برأها الله منه بالارتداد وكان عروة ينكر أن يكون تزوجها.

ومنهن : أم شريك الأزدية واسمها غزية بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند أبي بكر بن أبي سلمى فطلقها النبي ﷺ ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها وقيل : إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم .

ومنهن : خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها رسول الله ﷺ فهلكت قبل أن

تصل إليه.

ومنهن : شراف بنت خليفة أخت دحية تزوجها ولم يدخل بها .

ومنهن : ليلى بنت الخطيم أخت قيس تزوجها وكانت غيورا فاستقالته فأقالها.

ومنهن : عمرة بنت معاوية الكِندية: تزوجها النبيّ ﷺ قال الشعبيّ: تزوَّج امرأة من كِندة فجيء بها بعد ما مات.

ومنهن : ابنة جندب بن ضمرة الجندعية قال بعضهم : تزوجها رسول الله ﷺ وأنكر بعضهم وجود ذلك.

ومنهن : الغفارية : قال بعضهم: تزوج امرأة من غفار فأمرها فنزعت ثيابها فرأى بياضًا فقال: «**الحلقي بأهلك**» ويقال : إنما رأى البياض بالكلابية فهؤلاء اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن ﷺ .

فأما من خطبهن فلم يتم نكاحه معهن ومن وهبت له نفسها.

فمنهن : أم هانئ بنت أبي طالب واسمها فاختة خطبها النبي ﷺ فقالت : إني امرأة مصبية واعتذرت إليه فعذرها.

ومنهن : ضباعة بنت عامر .

ومنهن : صفية بنت بشامة بن نضلة خطبها النبي ﷺ وكان أصابها سباء فخيرها النبي ﷺ فقال : «**إن شئت أنا وإن شئت زوجك؟**» قالت : زوجي: فأرسلها فلعنتها بنو تميم قاله ابن عباس.

ومنهن: أم شريك وقد تقدم ذكرها .

ومنهن : ليلى بنت الخطيم وقد تقدم ذكرها .

ومنهن : خولة بنت حكيم بن أمية وهبت نفسها للنبي ﷺ فأرجأها فتزوجها

عثمان بن مظعون.

ومنهن : جمرة بنت الحارث بن عوف المري خطبها النبي ﷺ فقال أبوها : إن بها سوءا ولم يكن بها فرجع إليها أبوها وقد برصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر .

ومنهن : سودة القرشية خطبها رسول الله ﷺ وكانت مصبية فقالت : أخاف أن يضغو صبيتي عند رأسك فحمدها ودعا لها.

ومنهن : امرأة لم يذكر اسمها قال مجاهد : خطب رسول الله ﷺ امرأة فقالت : استأمر أبي فلقيت أباها فأذن لها فلقيت رسول الله ﷺ فقال : «**قد التحفنا لحافًا غيرك**».

فهؤلاء جميع أزواج النبي ﷺ.

وكان له من السراري سريتان: مارية القبطية وريحانة في قول قتادة وقال غيره: كان له أربع : مارية وريحانة وأخرى جميلة أصابها في السبي وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال عكرمة: وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وكانت تحته ﷺ صفية بنت حُيَيّ النَّضَرِيَّة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن وأرضاهن.



زواج النبي ﷺ ببعض نسائه

زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين خديجة ڤ

أخرج البيهقي[(١)] في السنن الكبرى بسندٍ رجاله ثقات عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – فِيمَا يَحْسَبُ حَمَّادٌ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ بِنْت خُويلِد، وَكَانَ أَبُوهَا يَرْغَبُ عَنْ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا فَدَعَتْ أَبَاهَا وَنَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا حَتَّى ثَمِلُوا فَقَالَتْ خَدِيجَةُ ڤ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَخْطُبُنِي فَزَوِّجْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَخَلَقَتْهُ وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً، وَكَانُوا يصْنعُونَ بِالْآبَاءِ إِذَا زَوَّجُوا بَنَاتَهُمْ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ السُّكْرُ نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنِي؟ قَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: أَنَا أُزَوِّجُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَا لَعَمْرِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحِي تُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانَ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى أَقَرَّ.



(١) السنن الكبرى (١٢٩/٧).

زواج النبي ﷺ بسودة وعائشة ﭫ

أخرج الإمام أحمد(١) من طريق أبي سَلَمَةَ وَيَحْيَى قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: «مَنْ؟» قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: «فَمَنْ **الْبِكْرُ**؟» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ ﷻ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «**وَمَنْ الثَّيِّبُ**؟» قَالَتْ: سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ، قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**» فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ ﷻ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ؟ فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ قَالَ: «**ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي**» فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: انْتَظِرِي، وَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ فَوَاللهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبٍ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ ابْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلَ هَذِهِ تَقُولُ؟ قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ ﷻ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ، فَرَجَعَ فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي

---

(١) أحمد (٦/٢١٠).

رَسُولَ اللهِ ﷺ فَدَعَتْهُ فزَوَّجَها إيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ ستِّ سِنِينَ ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ ﷻ عَلَيْكِ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَدْرَكَهُ السِّنُّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ قَالَ: ادْعُهَا إِلَيَّ فَدَعَيْتُهَا، قَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ ابْنُ زَمْعَةَ مِنْ الْحَجِّ فَجَعَلَ يَحْثِي فِي رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ، أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فِي السُّنْحِ قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ بَيْتَنَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَنِسَاءٌ، فَجَاءَتْنِي أُمِّي وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ بَيْنَ عَذْقَيْنِ تَرْجَحُ بِي فَأَنْزَلَتْنِي مِنْ الْأُرْجُوحَةِ وَلِي جُمَيْمَةٌ فَفَرَقَتْهَا، وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ دَخَلَتْ بِي فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكِ فَبَارَكَ اللهُ لَكِ فِيهِمْ وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ، فَوَثَبَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَخَرَجُوا وَبَنَى بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي

بَيْتِنَا مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ، كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ[1].



زواج النبي ﷺ من عائشة ڤ

أخرج البخاري[2] بسنده إلى عَائِشَةَ ڤ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ.

---

(١) من قوله قالت عائشة إلى آخر الحديث إسناده حسن؛ لأنه حينئذٍ من طريق محمد بن عمرو قال: ثنا أبو سلمة ويحيى (وهو ابن عبد الرحمن بن حاطب كما في سنن البيهقي ١٢٩/٧) قالت عائشة، فهو سند متصل، ومحمد بن عمرو حديثه لا يرتقي إلى الصحة.
أما الجزء الأول من الحديث فظاهره الإرسال؛ لأن كلًّا من أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب تابعي ولم يشهد القصة، وقد ورد الحديث في سنن البيهقي (١٢٩/٧) من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قالت عائشة ... فذكره إلا أنه من طريق أحمد بن عبد الجبار وهو متكلم فيه وقد عزا الحافظ ابن حجر هذا الحديث إلى أحمد والطبراني وحسَّن إسناده (فتح ٢٢٥/٧).

(٢) البخاري (٣٨٩٤).

وبسنده إليها[١] أيضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ».



زواج النبي ﷺ من حفصة ڤ

أخرج البخاري[٢] من طريق سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ڤ يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺوَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبِلْتُهَا.



---

(١) البخاري (٣٨٩٥)، ومسلم (ص ١٨٩٠).
(٢) البخاري (٥١٢٢).

زواج النبي ﷺ من أم سلمة ف

أخرج مسلم[(١)] في صحيحه من حديث أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**» قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا: فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**».

وقد تقدم عن قريب زواج النبي ﷺ بزينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾».



زواج النبي ﷺ بميمونة ف

أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ.

وقد ورد في مسلم[(٣)] من طريق يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَتْنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ.

وهذا معلول بالإرسال، وحديث ابن عباس أصح.

---

(١) مسلم (ص ٦٣١).
(٢) البخاري (٥١/٤)، ومسلم (٥٦٨/٣).
(٣) مسلم (٥٦٩/٣) وقد أعل بالإرسال.

زواج النبي ﷺ من جويرية ڤ

أخرج ابن إسحاق[١] بسنده إلى عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: لَمّا قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ فِي القسْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمّاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمّ لَهُ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلّاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إلّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللّهِ – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم – تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاَللّهِ مَا هِيَ إلَّا أَنْ رَأَيْتها فَكَرِهتها وَقُلْتُ: يَرَى مِنهَا مَا رَأَيْتُ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَي رَسُولِ الله ص قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ سَيّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك، وَقَدْ كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَأَعِنِّي عَلَى كِتَابَتِي فَقَالَ:«**أَو خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟أُؤدِي عَنْك كِتَابَتك وَأَتَزَوّجُك**»؛ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. فَبلَغَ النَّاس أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا، فَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللّهِ ص وَأَرْسَلُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَلَقَدْ أُعْتِقَ الله بِهَا مِائَة أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهَا عَلَى قَوْمِهَا.



(١) نقل الحافظ في الإصابة (٢٥٧/٤) عن ابن إسحاق قوله: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عمه عروة بن الزبير عن خالته عائشة ... فذكره، وسنده حسن.

زواج النبي ﷺ بصفية ؓ

أخرج مسلم[(١)] في صحيحه من حديث أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ أَبِي طَلْحَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَقَدَمِي تَمَسُّ قَدَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَتَيْنَاهُمْ حِينَ بَزَغَتْ الشَّمْسُ وَقَدْ أَخْرَجُوا مَوَاشِيَهُمْ وَخَرَجُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ وَمُرُورِهِمْ فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ! قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**» قَالَ: وَهَزَمَهُمْ اللهُ ﻷ وَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تُصَنِّعُهَا لَهُ وَتُهَيِّئُهَا، -قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ:- وَتَعْتَدُّ فِي بَيْتِهَا، وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ قَالَ: وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلِيمَتَهَا التَّمْرَ وَالْأَقِطَ وَالسَّمْنَ فُحِصَتْ الْأَرْضُ أَفَاحِيصَ[(٢)]، وَجِيءَ بِالْأَنْطَاعِ فَوُضِعَتْ فِيهَا وَجِيءَ بِالْأَقِطِ وَالسَّمْنِ، فَشَبِعَ النَّاسُ قَالَ: وَقَالَ النَّاسُ: لَا نَدْرِي أَتَزَوَّجَهَا أَمْ اتَّخَذَهَا أُمَّ وَلَدٍ؟ قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ امْرَأَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ حَجَبَهَا فَقَعَدَتْ عَلَى عَجُزِ الْبَعِيرِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَفَعْنَا قَالَ: فَعَثَرَتْ النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ وَنَدَرَ[(٣)] رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَدَرَتْ فَقَامَ فَسَتَرَهَا وَقَدْ أَشْرَفَتْ النِّسَاءُ فَقُلْنَ: أَبْعَدَ اللهُ الْيَهُودِيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ أَوَقَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: إِي وَاللهِ لَقَدْ وَقَعَ.

قَالَ أَنَسٌ: وَشَهِدْتُ وَلِيمَةَ زَيْنَبَ فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَكَانَ يَبْعَثُنِي

---

(١) مسلم (٣/٥٩٢).

(٢) قال النووي ؒ: أي كشف التراب من أعلاها وحفرت شيئًا يسيرًا ليجعل الأنطاع في المحفور ويصب فيها السمن فيثبت ولا يخرج من جوانبها وأصل الفحص الكشف، وفحص عن الأمر، وفحص الطائر لبيضه، والأفاحيص جمع أفحوص.

(٣) ندر أي: سقط.

فَأَدْعُو النَّاسَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ وَتَبِعْتُهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ لَمْ يَخْرُجَا، فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ**» فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَيَقُولُ: «**بِخَيْرٍ**» فَلَمَّا فَرَغَ رَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ إِذَا هُوَ بِالرَّجُلَيْنِ قَدْ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ قَدْ رَجَعَ قَامَا فَخَرَجَا فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَمْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ، أَرْخَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾ الْآيَةَ.



س: كيف أحلَّ الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أزواجه، ومعلوم أن زوجة الرجل له حلال؟

ج: لذلك بعض التوجيهات:

أحدها: أن المعنى إنا طيبنا لك أزواجك اللواتي هن معك، وأحللنا لك وطئهن ومعاشرتهن، وإن كنَّ أكثر من أربع نسوة فكل ذلك لك حلال، مادمت قد آتيتهن مهورهن، فإذا كنا قد منعنا غيرك من الجمع بين أكثر من أربع نسوة فقد أبحنا لك أزواجك اللواتي هن معك كلهن، وليس المعنى أنهن كن محرمات عليك فأبحناهن لك، والآية كقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] مع أن الطيبات[1] حلال.

---

(١) وإن كان هناك وجه آخر في قوله ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: التي كانت محرمة على بني إسرائيل.

الثاني: أن الآية مقدمة في السياق مؤخرة في المعنى فقوله تعالى: -وسيأتي- ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ كان بعد أن اختارت نساء رسول الله ﷺ الله ورسوله والدار الآخرة، فأكرمن بأن يقتصر عليهن رسول الله ﷺ زمنًا ثم أبيح له أن يتزوج بعد ذلك بقوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ فكل امرأة آتاها رسول الله ﷺ مهرها وتزوجها فهي حلال له. والله أعلم.

وهذه أقوال بعض أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي $:

وقد اختلف الناس في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ فقيل: المراد بها أن الله تعالى أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها قاله ابن زيد والضحاك فعلى هذا تكون الآية مبيحة جميع النساء حاشا ذوات المحارم. وقيل: المراد أحللنا لك أزواجك، أي: الكائنات عندك لأنهن قد اخترنك على الدنيا والآخرة قاله الجمهور من العلماء. وهو الظاهر لأن قوله: ﴿ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ماض ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال إلا بشروط ويجيء الأمر على هذا التأويل ضيقا على النبي ﷺ، ويؤيد هذا التأويل ما قاله ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتزوج في أيِّ الناس شاء وكان يشق ذلك على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمى، سرَّ نساؤه بذلك.

قلت: والقول الأول أصح لما ذكرناه ويدل أيضا على صحته ما خرجه الترمذي عن عطاء قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله تعالى له النساء قال: هذا حديث حسن صحيح.

وكان قد قال قبل ذلك:

لما خير رسول الله ﷺ نساءه فاخترنه حرم عليه التزوج بغيرهن والاستبدال بهن مكافأة لهن على فعلهن. والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ الآية وهل كان يحل له أن يطلق واحدة منهن بعد ذلك ؟ فقيل : لا يحل له ذلك عزاء لهن على اختيارهن له وقيل : كان يحل له ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فأباح له أن يتزوج بمن شاء عليهن من النساء، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ والإحلال يقتضي تقدم حظر وزوجاته اللاتي في حياته لم يكن محرمات عليه وإنما كان حرم عليه التزويج بالأجنبيات فانصرف الإحلال إليهن ولأنه قال في سياق الآية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ الآية ومعلوم أنه لم يكن تحته أحد من بنات عمه ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته فثبت أنه أحل له التزويج بهذا ابتداء وهذه الآية وإن كانت مقدمة في التلاوة فهي متأخرة النزول على الآية المنسوخة بها، كآيتي الوفاة في البقرة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ قال: كان كل امرأة آتاها مهرًا، فقد أحلها الله له.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن، وهي الأجور ها هنا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأحللنا لك يا رسول الله الإماء اللواتي منَّ الله بهن عليك من الفيء الذي دخل على المسلمين من عددهم من السبايا من النساء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبتهن فملكتهن بالسباء، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾، أي: وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما. وملك ريحانة بنت شمعون النضرية، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكانتا من السراري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أحل الله تعالى السراري لنبيه ﷺ ولأمته مطلقًا، وأحل الأزواج لنبيه عليه الصلاة والسلام مطلقًا، وأحله للخلق بعدد، وقوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: رده عليك من الكفار، والغنيمة قد تسمى فيئًا؛ أي: مما أفاء الله عليك من النساء بالمأخوذ على وجه القهر والغلبة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأحللنا لك يا رسول الله أن تتزوج فضلًا عن نسائك اللواتي هنَّ معك-، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ دون اللاتي لم يهاجرن، فاللواتي لم يهاجرن معك لم نُبحهن لك، وقال بعض العلماء: واللاتي هاجرن أي أسلمن وبنحو ما ذكر قال فريق من أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فأحل الله له ﷺ من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه.

وأورد من طريق السدي، عن أَبي صالح، عن أم هانئ، قالت: خطبني النبي ﷺ فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قالت: فلم أُحل له؛ لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: هذا عدل وَسط بين الإفراط والتفريط؛ فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى، فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة، وتحريم ما فَرّطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا بشع فظيع.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ﴾ أي أحللنا لك ذلك زائدًا من

الأزواج اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك على قول الجمهور لأنه لو أراد أحللنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت أجرها لما قال بعد ذلك : ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ لأن ذلك داخل فيما تقدم.

قلت: وهذا لا يلزم وإنما خص هؤلاء بالذكر تشريفا كما قال تعالى : ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن : ٦٨] والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ فيه قولان:

الأول: لا يحل لك من قرابتك كبنات عمك العباس وغيره من أولاد عبد المطلب وبنات أولاد عبد المطلب وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف بن زهرة إلا من أسلم لقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى تعالى عنه**».

الثاني: لا يحل لك منهن إلا من هاجر إلى المدينة لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ [الأنفال : ٧٢] ومن لم يهاجر لم يكمل ومن لم يكمل لم يصلح للنبي ﷺ الذي كمل وشرف وعظم ﷺ.



س: لماذا أفرد العم والخال وجمعت العمات والخالات في قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ...﴾؟

ج: قيل: إن ذلك لشرف الرجال على النساء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما قال: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ فوحَّد لفظ الذكر لشرفه، وجمع الإناث لنقصهن كقوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل:٤٨]، ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]، وله

نظائر كثيرة.

أما القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

ذكر الله تبارك وتعالى العم فردًا والعمات جمعًا، وكذلك قال: ﴿خَالِكَ﴾ و﴿خَـٰلَـٰتِكَ﴾ والحكمة في ذلك: إن العم والخال في الإطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز، وليس كذلك العمة والخالة، وهذا عرفٌ لغويٌّ فجاء الكلام عليه بغاية البيان لرفع الإشكال وهذا دقيق فتأملوه قاله ابن العربي.



و هب المرأة نفسها لرجل لا يحل إلا للنبي محمد ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأحللنا لك يا رسول الله من وهبت نفسها لك لتتزوجها بدون مهرٍ إن أردت أن تتزوجها فهي حلالٌ لك، وليس لأحدٍ من أصحابك ولا من المسلمين أن يكون له مثل ذلك، فوهب المرأة نفسها لرجل لا يحل، إلا لك يا رسول الله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ يقول: وأحللنا له امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بغير صداق.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ يقول: إن أراد أن ينكحها فحلال له أن ينحكها وإذا وهبت نفسها له بغير مهر ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ يقول: لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له، وإنما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولي ولا مهر، إلا للنبي، كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبي.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ...﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له إلى أن وهب هؤلاء أنفسهن له، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين إلا امرأة لها زوج.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليس ذلك للمؤمنين، وذكر أن لرسول الله ﷺ قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أي النساء شاء، فقصره الله على هؤلاء، فلم يعدهن، وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ من المؤمنات، وهل كانت عند رسول الله ﷺ امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد.

وأما الذين قالوا: قد كان عنده منهن فإن بعضهم قال: كانت ميمونة بنت الحارث. وقال بعضهم: هي أم شريك . وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ أي: ويحل

لك -يأيها النبي -المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك. وهذه الآية توالى فيها شرطان، كقوله تعالى إخبارًا عن نوح، عليه السلام، أنه قال لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وكقول موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]. وقال هاهنا: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾.

وأورد ما أخرجه الإمام أحمد[1] والبخاري رحمهما الله وكذا مسلم رحمه الله من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الساعدي: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ. فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلًا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا إِيَّاهُ؟» فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي هَذَا! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِزَارَكَ جَلَسْتَ لَا إِزَارَ لَكَ فَالْتَمِسْ شَيْئًا» فَقَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ: «الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟» قَالَ: نَعَمْ سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا - لِسُوَرٍ يُسَمِّيهَا- فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ».

وكذا ما أخرجه أحمد والبخاري[2] من طريق ثابت قال: كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ جَالِسًا وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ فَقَالَ أَنَسٌ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَلْ لَكَ فِيَّ حَاجَةٌ؟ فَقَالَتْ ابْنَتُهُ: مَا كَانَ أَقَلَّ حَيَاءَهَا! فَقَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ فَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ.

---

(١) أحمد (٣٣٦/٥)، والبخاري (٢٣١٠)، ومسلم (١٤٢٥).
(٢) البخاري (٥١٢٠)، وأحمد (٢٦٨/٣).

وذكر ابن كثير عدة أسانيد فيها مقال في أسماء اللواتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ ثم قال:

والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن من النبي ﷺ كثير، كما قال البخاري، حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو أسامة قال: هشام بن عروة حدثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن من النبي ﷺ وأقول: أتهب امرأة نفسها؟ فلما أنزل الله: ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ قال عكرمة: أي: لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئا. وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما.

أي: إنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل، فإنه متى دخل بها وجب لها عليه بها مهر مثلها، كما حكم به رسول الله ﷺ في بَرْوَع بنت واشق لما فوضت، فحكم لها رسول الله ﷺ بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها، والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ فأما هو، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها؛ لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا وليٍّ ولا شهود، كما في قصة زينب بنت جحش، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا. ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ ، يقول: ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير وليٍّ ولا مهر إلا للنبي ﷺ.

(١) البخاري (٤٧٨٨).

(٢٤٣) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ أي: إذا وهبت المرأة نفسها وقبلها النبي ﷺ حلت له، وإن لم يقبلها لم يلزم ذلك. كما إذا وهبت لرجل شيئا فلا يجب عليه القبول، بيد أن من مكارم أخلاق نبينا أن يقبل من الواهب هبته. ويرى الأكارم أن ردها هجنة في العادة، ووصمة على الواهب وأذية لقلبه فبين الله ذلك في حق رسوله ﷺ وجعله قرآنا يتلى؛ ليرفع عنه الحرج ويبطل بطل الناس في عادتهم وقولهم.

قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾ أي هبة النساء أنفسهن خالصة ومزية لا تجوز فلا يجوز ان تهب المرأة نفسها لرجل، ووجه الخاصية أنها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك. فأما فيما بيننا فللمفوضة طلب المهر قبل الدخول ومهر المثل بعد الدخول

قوله تعالى: ﴿أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ أي ينكحها يقال: نكح واستنكح، مثل عجب واستعجب، وعجل واستعجل. ويجوز أن يرد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح، أو طلب الوطء و(خَالِصَةٗ) نصب على الحال قاله الزجاج وقيل: حال من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمر تقديره: أحللنا لك أزواجك وأحللنا لك امرأة مؤمنة أحللناها خالصة بلفظ الهبة وبغير صداق وبغير وليٍّ.

قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ فائدته أن الكفار وإن كانوا مخاطبين بفروع الشريعة عندنا فليس لهم في ذلك دخول لأن تصريف الأحكام إنما يكون فيهم على تقدير الإسلام.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾؟

ج: الحاصل – والله تعالى أعلم – أن الله جل ذكره يُذكِّر نبيه ﷺ فيقول: قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم، أي: قد أحللنا لك ما أحللناه مع علمنا بما أوحيناه على عبادنا المؤمنين وشرعناه لهم في أمور النكاح من كونهم لا يزيدوا في الزواج عن الجمع بين أكثر من أربع نسوة، وألا يكون الزواج إلا بوليٍّ وشهود وصداق وكذا علمنا بما أحللناه لهم من ملك اليمين، ومع ذلك مع علمنا بذلك أحللنا لك الجمع بين أكثر من أربع نسوة، وأحللنا لك الواهبات، وذلك حتى لا يكون إثم في تصنع، ولا يكن عليك ضيق في فعل ما أباحه الله لك، وكان الله غفورًا لعباده فيما يصدر منهم إذا هم استغفروه، وكذا يغفر تفضلًا لمن يشاء ولم يصدر منه استغفار، رحيما بعباده المؤمنين.

وبنحو هذا قال عددٌ من العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة إلا بولي عصبة وشهود عدول، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ قال: كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة إلا بولي وصداق عند شاهدي

عدل، ولا يحل لهم من النساء إلا أربع وما ملكت أيمانهم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم، لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع، وما ملكت أيمانهم، فإن جميعهن إذا كن مؤمنات أو كتابيات، لهم حلال بالسباء والتسري وغير ذلك من أسباب الملك.

وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد النبي أن يستنكحها؛ لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التي أبحت لك نكاحهن من المسميات في هذه الآية، وكان الله غفورًا لك ولأهل الإيمان بك، رحيمًا بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ قال أبيٌّ بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة وابن جرير في قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي: من حَصْرِهم في أربع نسوة حرائر وما شاءوا من الإماء، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم، وهم الأمة، وقد رخصنا لك في ذلك، فلم نوجب عليك شيئا منه؛ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي: ما أوجبنا على المؤمنين وهو ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة بمهر وبينة وولي. قال معناه أبي بن

كعب وقتادة وغيرهما

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي ضيق في أمر أنت فيه محتاج إلى السعة أي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ فـ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ أي فلا يضيق قلبك حتى يظهر منك أنك قد أثمت عند ربك في شيء ثم آنس تعالى جميع المؤمنين بغفرانه ورحمته فقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مِنْهُنَّ﴾ أي: من الواهبات اللواتي وهبن أنفسهن لك فتؤخر من تشاء منهن، فلا تقبلها الآن، وتضم إليك من تشاء فتقبل من الواهبات من تشاء.

أخرج البخاري وأحمد ومسلم[1] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ.

ولفظ أحمد:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تُعَيِّرُ النِّسَاءَ اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: أَلَا تَسْتَحِي الْمَرْأَةُ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قَالَتْ:

(١) البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤)، وأحمد (٦/١٥٨).

إِنِّي أَرَى رَبَّكَ ﷻ يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فدل هذا على أن المراد بقوله: ﴿تُرۡجِي﴾ أي: تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ أي: من الواهبات ﴿وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ أي: مَنْ شئت قبلتها، ومَنْ شئت رددتها، ومَنْ رددتها فأنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك، إن شئت عُدْتَ فيها فآويتها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾.

القول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مِنۡهُنَّ﴾ عائدٌ على أزواج النبي ﷺ، والمعنى تؤخر من تشاء من أزواجك فلا تقسم لها يومها وليلتها وتضم إليك من تشاء منهن فتقسم لها وتعطيها يومها وليلتها.

يعني أن الحرج ارتفع عنك في القسمة فإن شاء قسم وإن شاء ترك القسمة، ولكن مع ذلك صلوات ربي وسلامه عليه كان يقسم بين نساءه كما سيأتي إن شاء الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ أي: من أزواجك، لا حرج عليك أن تترك القَسْم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه البخاري[(١)] من طريق معاذة عن عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ فَقُلْتُ لَهَا: مَا كُنْتِ تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ ذَاكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ

---

(١) البخاري (٤٧٨٩).

(٢٤٨) أحمر
أسود

يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ أُوثِرَ عَلَيْكَ أَحَدًا.

فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم، وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات، ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده، أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم. وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قوله: (﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُئْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ قال: فجعله الله في حلٍّ من ذلك أن يدع من يشاء منهن، ويأتي من يشاء منهن بغير قسم، وكان نبي الله يقسم.

القول الثالث: أن المراد بقوله: (﴿مِنْهُنَّ﴾ عائد أيضًا على أزواج النبي ﷺ، ولكن معناه تطلق من تشاء منهن، وتبقي على من تشاء.

وقد ذكر الطبري هذا القول فقال: وقال آخرون: معنى ذلك: تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك، وتمسك من شئت منهن فلا تطلق.

وقال أيضًا:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تترك نكاح من شئت، وتنكح من شئت من نساء أمتك .

قلت (مصطفى) وهذا هو القول الرابع:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو

إرجاؤها منهن.

إذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك؛ فلا تقربها. وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن؛ فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك؛ فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن المعنى: ومن أردت جماعها منسائك فلا إثم عليك، ومن تركت جماعها فلا إثم عليك.

وقال آخرون: ومن أمسكت منهن فلم تطلقها فلا جناح عليك، ومن طلقتها فلا جناح عليك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح، فعزلته عن الجماع، فلا جناح عليك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قال: جميعا هذه في نسائه؛ إن شاء أتى من شاء منهن، ولا جناح عليه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ قال: ومن ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه.

قال الطبري: وقال آخرون: معنى ذلك: ومن استبدلت ممن أرجيت،

فخليت سبيله من نسائك، أو ممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من قال: معنى ذلك: ومن ابتغيت إصابته من نسائك ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ عن ذلك منهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ لدلالة قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ على صحة ذلك، لأنه لا معنى لأن تقر أعينهن إذا هو ﷺ استبدل بالميتة أو المطلقة منهن، إلا أن يعني بذلك: ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن، وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – ذلك الذي أخبرناه بأننا أبحناه لك أقرب وأدعى إلى استقرار أعين أزواجك وقلوب أزواجك فإذا علمن أن الله هو الذي أباح لك ذلك انتفت عنهن الشكوك والظنون والغيرة واطمأنت نفوسهن، فهن مؤمنات راضيات بقضاء الله ﷻ وكلمه، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ﴾ يقول: هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهن، وتؤوي من تشاء منهن، ووضعي عنك الحرج في ابتغائك إصابة من ابتغيت إصابته من نسائك، وعزلك عن ذلك من عزلت منهن، أقرب لنسائك ﴿أَن تَقَرَّ

أَعْيُنُهُنَّ) به ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ من تفضيل من فضلت من قسم، أو نفقة وإيثار من آثرت منهم بذلك على غيره من نسائك، إذا هن علمن أنه من رضاي منك بذلك، وإذني لك به، وإطلاق مني لا من قبلك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة، كان أطيب لأنفسهن، وأقلَّ لحزنهن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحَرَج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – والله يعلم ما في قلوبكم يا أهل الإيمان، ويا رسول الله، يعلم من ميل بعض الرجال إلى بعض النسوة دون بعض، ويعلم ما تطمئن به النفوس المؤمنة وكان الله ﴿عَلِيمًا﴾ بما في النفوس ﴿حَلِيمًا﴾ ذا حلم إذا لم يعجل بالعقوبة بل أنزل ما تطمئن به النفوس وتذهب بسببه الذنوب والآثام.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ يقول: والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة، يقول: فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن، ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ يقول: وكان الله ذا علم بأعمال عباده، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَلِيمًا﴾ يقول: ذا حلم على عباده، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم، وينيب من ذنوبه من أناب منهم.



مباحث في القسمة بين الأزواج

س: اذكر بعض الوارد في قسمة النبي ﷺ بين أزواجه؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري[1] من حديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: أَيْنَ أَنَا غَدًا أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي.

وما أخرجه البخاري ومسلم[2] من طريق أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مِنْ السُّنَّةِ إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْبِكْرَ عَلَى الثَّيِّبِ أَقَامَ عِنْدَهَا سَبْعًا وَقَسَمَ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيِّبَ عَلَى الْبِكْرِ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَسَمَ. صحيح

(١) البخاري (٥٢١٧).
(٢) البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (١٤٦١).

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ[١]: وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ إِنَّ أَنَسًا رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وأخرج مسلم[٢] من حديث أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي**».

وأخرج مسلم[٣] من حديث أَنَسٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَجَاءَتْ زَيْنَبُ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هَذِهِ زَيْنَبُ فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى اسْتَخَبَتَا وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا، فَقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَى الصَّلَاةِ وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: الْآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا وَقَالَ: أَتَصْنَعِينَ هَذَا؟

---

(١) **قال الحافظ في الفتح (٩/٣١٤):** كَأَنَّهُ يُشِير إِلَى أَنَّهُ لَوْ صَرَّحَ بِرَفْعِهِ إِلَى النَّبِيّ ﷺ لَكَانَ صَادِقًا، وَيَكُون رُوِيَ بِالْمَعْنَى وَهُوَ جَائِز عِنْده ، لَكِنَّهُ رَأَى أَنَّ الْمُحَافَظَة عَلَى اللَّفْظ أَوْلَى. وَقَالَ اِبْن دَقِيق الْعِيد: قَوْل أَبِي قِلَابَةَ يَحْتَمِل وَجْهَيْنِ:

أَحَدهمَا: أَنْ يَكُون ظَنَّ أَنَّهُ سَمِعَهُ عَنْ أَنَس مَرْفُوعًا لَفْظًا فَتَحَرَّزَ عَنْهُ تَوَرُّعًا.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُون رَأَى أَنَّ قَوْل أَنَس (مِنْ السُّنَّة) فِي حُكْم الْمَرْفُوع ، فَلَوْ عَبَّرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ مَرْفُوع عَلَى حَسَبِ اِعْتِقَاده لَصَحَّ لِأَنَّهُ فِي حُكْم الْمَرْفُوع ، قَالَ : وَالْأَوَّل أَقْرَب ، لِأَنَّ قَوْله: (مِنْ السُّنَّة) يَقْتَضِي أَنْ يَكُون مَرْفُوعًا بِطَرِيقٍ اِجْتِهَادِيّ مُحْتَمَل ، وَقَوْله (أَنَّهُ رَفَعَهُ) نَصّ فِي رَفْعه وَلَيْسَ لِلرَّاوِي أَنْ يَنْقُل مَا هُوَ ظَاهِر مُحْتَمَل إِلَى مَا هُوَ نَصّ غَيْر مُحْتَمَل اِنْتَهَى ، وَهُوَ بَحْث مُتَّجِه ، وَلَمْ يُصِبْ مَنْ رَدَّهُ بِأَنَّ الْأَكْثَر عَلَى أَنَّ قَوْل الصَّحَابِيّ (مِنْ السُّنَّة كَذَا) فِي حُكْم الْمَرْفُوع لِاتِّجَاهِ الْفَرْق بَيْن مَا هُوَ مَرْفُوع وَمَا هُوَ فِي حُكْم الْمَرْفُوع ، لَكِنْ بَاب الرِّوَايَة بِالْمَعْنَى مُتَّسِع.

(٢) مسلم (١٤٦٠).

(٣) مسلم (١٤٦٢).

وأخرج البخاري[(١)] من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وأخرج مسلم[(٢)] من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً؟**» قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ. قَالَ: «**لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «**فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي**» قُلْتُ: نَعَمْ فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ**» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكِ فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ**

---

(١) البخاري (٢٦٨٨).
(٢) مسلم (ص ٦٦٩).

يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «قُولِي السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ».

وأخرج أبو داود[1] بسندٍ صحيح عن عروة قال: قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ[2] حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا، وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا، قَالَتْ: نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى، وَفِي أَشْبَاهِهَا، أُرَاهُ قَالَ: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾.

وأخرج البخاري[3] من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ.

وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: تِسْعُ نِسْوَةٍ



(١) أبو داود (٢١٣٥).
(٢) أي: من غير جماع.
قال ابن القيم رحمه الله (زاد المعاد ٥/ ١٥٢): وللرجل أن يدخل على نسائه كلهن في يوم إحداهن، ولكن لا يطؤها في غير نوبتها.
وقال النصعاني رحمه الله (سبل السلام ص ١٠٦٨): فيه دليل على أنه يجوز للرجل الدخول على من لم يكن في يومها من نسائه والتأنيس لها واللمس والتقبيل.
(٣) البخاري (٢٦٨).

(٢٥٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾؟

ج: وقع الخلاف في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ وبناء عليه جاء الخلاف في تفسير الآية.

فقال فريق من أهل العلم: -وهذا هو القول الذي أرتضيه، وكذا فهو قول كثير من أهل العلم- إن قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي من بعد اللواتي تقدم ذكرهن أي من بعد نزول الآية ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ (أي اللواتي هن معك وقد تزوجتهن بصداق) وأحللنا لك ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ الإماء اللواتي أفاء الله بهن عليك، وأحللنا لك ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾، وأحللنا لك ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾ تهب نفسها إليك إن كنت تريد أن تتزوجها بطريقة الوهب، وما وراء ذلك لم نُحلَّه لك، فليس لك أن تتزوج غير المذكورات، وليس لك أن تطلق امرأة من نسائك وتتزوج مكانها بأخرى فمعنى الآية إذن لا يحل لك النساء إلا اللاتي أحللناها لك.

القول الثاني: أن قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد النسوة اللواتي اخترن الله ورسوله أي: من بعد التخيير.

القول الثالث: أن قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد ما أحللنا لك الواهبات المؤمنات والأزواج وملك اليمين، وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك.. لم نحل لك اليهوديات ولا النصرانيات.

واختار الطبري رحمه الله تعالى القول الأول (الذي قدمته أولًا) فقال:

وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلكَ: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ

(٢٥٧) أحمر
أسود

أُجُورَهُنَّ ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ عقيب قوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فعل الأخرى منهما. فإذ كان ذلك كذلك ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن لقول من قال: معنى ذلك: لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة، معنى مفهوم، إذ كان قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ إنما معناه: من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله ﷺ ذكر إباحة المسلمات كلهن، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم، صح ما قلنا في ذلك، دون قول من خالف قولنا فيه.

وأورد ابن كثير $ وجهين عن أهل العلم:

أحدهما: أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ، كما تقدم في الآية. فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن قَصَره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ولو

(٢٥٨) أحمر
أسود

أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن. ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوّج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن.

والثاني: معنى الآية: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك.

وجنح إلى قول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحكم عليه بأنه جيد، وذلك لأن اللواتي قال الله فيهن ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ...﴾ إلى آخر الآية يدخل فيهن أزواج النبي ﷺ اللواتي اخترن الله ورسوله.



س: ما مدى صحة الوارد عن عائشة ؓ قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلَّ الله له النساء؟

ج: هذا الخبر رواه البعض من طريق عطاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بسندٍ صحيح عن عطاء[1].

ورواه آخرون بإدخال واسطة بين عطاء وعائشة وهو عبيد بن عمير، وقد تكلم بعض أهل العلم في رواية عطاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا.



(١) أحمد في المسند (٦/٤١) (٢٤٢٤٦) و (٦/١٨٠) (٢٥٥٧٤)، والترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٦/٥٦)، والبيهقي (٧/٥٤) وغيرهم.

(٢٥٩) أحمر
أسود

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – ولا يحل لك أن تطلق امرأة من أزواجك وتتزوج مكانها أُخرى وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى، وابن كثير رحمهما الله وغيرهما وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا أُخر ضعيفة.

منها أن المعنى: لا يحل لك النساء من بعد المسلمات لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من الكوافر.

ومنها: ولا أن تبادل من أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته.

وأورد أثر ابن زيد في هذا فقال:

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ قال: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم؛ يعطي هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته؛ فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل، فأما الحرائر فلا قال: وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية.

قلت (مصطفى): وهذا الذي ذكره ابن زيد لم يكن معروفًا في الجاهلية عند مبعث النبي ﷺ، وقبيل مبعثه، وما أورده ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الصدد وعزاه إلى البزار[1] من طريق إسحاق بن عبد الله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يَسَار عن أبي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: كان البَدلُ في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: بادلني امرأتك وأبادلُك بامرأتي: أي: تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي. فأنزل الله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ قال: فدخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ، وعنده عائشة، فدخل بغير إذن، فقال له رسول

(١) كشف الأستار (٢٢٥١)، وانظر مجمع الزوائد (٩٢/٧).

(٢٦٠) أحمر
أسود

الله ﷺ: «**فأين الاستئذان؟**» فقال يا رسول الله، ما استأذنت على رجل من مُضَر منذ أدركت. ثم قال: من هذه الحُمَيْراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذه عائشة أم المؤمنين**». قال: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ قال: «**يا عيينة إن الله قد حرم ذلك**». فلما أن خرج قالت عائشة: مَنْ هذا؟ قال: «**هذا أحمق مطاع، وإنه على ما ترين لسيد قومه**».

ثم قال البزار: إسحاق بن عبد الله: لين الحديث جدًّا، وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه إلا من هذا الوجه، وبينا العلة فيه.

قلت (مصطفى): والأمر كما ذكر فإسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة متروك، والخبر تالف جدًّا.

لكن اختار ابن جرير ما قدمته أولًا فقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجًا.



س: قد ورد أن النبي ﷺ طلَّق حفصة ثم راجعها فكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه يمكن توجيه ذلك بأن تطليق حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان قبل نزول الآية الكريمة.

وأيضًا يمكن أن يُقال إن النبي ﷺ لم يُنه عن الطلاق، وإنما نهي عن الاستبدال والله أعلم.



س: هل كان لرسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نزول هذه الآية؟

ج: لم يكن له ذلك إلا على قول من قال بالنسخ، واختلف في الناسخ هل هو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ ويكون ذلك من المقدم في السياق المؤخر في المعنى؟ أم أن الناسخ مفهوم مما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ ما مات حتى أحلَّ الله له النساء.

* أم أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ فالله أعلم.

وقد تقدم شيء من ذلك فيما مضى، والله أعلم.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم له سبب نزول صحيح، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - ولا يباح لك من النساء إلا الإماء وكان الله على كل شيء مُراقبًا وحفيظًا لا يعزب عنه علم شيء ولا يخفى عليه شيءٌ.

قال الطبري $:

وإلا في قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ استثناء من النساء. ومعنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فإن لك أن تملك من أى أجناس الناس شئت من الإماء.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ يقول: وكان الله على كل شيء؛ ما أحل لك، وحرم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظًا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يئوده حفظ ذلك كله.

آية الحجاب

قال الله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ
غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا
مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ
لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ
ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ
وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ
فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا
نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ
شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾) [الأحزاب: ٥٣-٥٦]

(٢٦٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:
﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ -إِنَىٰهُ -مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ -مَتَٰعًا -تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا -لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ -مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ -وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ -شَهِيدًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾	غير منتظرين – غير متحينين
﴿إِنَىٰهُ﴾	نضجه واستواءه
﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾	متكلمين مع بعضكم البعض بالأحاديث التي يستأنس بها
﴿مَتَٰعًا﴾	المتاع عموم ما يتمتع به من الآنية والقدور وغير
﴿تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾	تظهروا شيئًا
﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾	لا إثم عليهن
﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾	الإماء اللواتي هن ملك اليمين
﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾	اجعلن بينكن وبين عذاب الله وقاية، خفن الله- اخشين الله
﴿شَهِيدًا﴾	مشاهدًا للأعمال مُطلقًا عليها مراقبًا لعباده شاهدًا عليهم



س: اذكر سبب نزول آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] في صحيحهما من حديث: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ مَقْدَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَخَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرًا حَيَاتَهُ وَكُنْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِشَأْنِ الْحِجَابِ حِينَ أُنْزِلَ، وَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَسْأَلُنِي عَنْهُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ فِي مُبْتَنَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا عَرُوسًا، فَدَعَا الْقَوْمَ فَأَصَابُوا مِنْ الطَّعَامِ ثُمَّ خَرَجُوا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَطَالُوا الْمُكْثَ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ كَيْ يَخْرُجُوا، فَمَشَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى جَاءَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَرَجُوا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ لَمْ يَتَفَرَّقُوا فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَظَنَّ أَنْ قَدْ خَرَجُوا فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُوا فَأُنْزِلَ آيَةُ الْحِجَابِ فَضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سِتْرًا.

وفي رواية[2] أخرى في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أيضًا: لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَخَلَ الْقَوْمُ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ وَقَعَدَ بَقِيةُ القَومِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ الْآيَةَ.

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/٢٢)، ومسلم (٣/٥٩٦).
(٢) البخاري (مع الفتح ١١/٢٢)، ومسلم (٣/٥٩٨).

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة ڤ قَالَتْ: كَانَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «احْجُبْ نِسَاءَكَ» قَالَتْ: فَلَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَخْرُجْنَ لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ- وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً- فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ: عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ - حِرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ الْحِجَابُ- قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ آيَةَ الْحِجَابِ.

قلت: ولا مانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة، انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول».

وأخرج البخاري ومسلم[٢]من حديث عائشة ڤ قَالَتْ: خَرَجَتْ سَوْدَةُ[٣] بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً[٤]، لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ، قَالَتْ: فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ، فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَقَالَ لِي عُمَرُ: كَذَا وَكَذَا قَالَتْ: فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ»[٥].

---

(١) البخاري (٦٢٤٠)، ومسلم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٨/٥٢٨)، ومسلم (٥/١٣).

(٣) هي أم المؤمنين.

(٤) طويلة

(٥) فسر هشام بن عروة الحاجة هنا بأنها البراز (كما في البخاري حديث ١٤٧)، وتعقب في هذا فقال الحافظ ابن حجر (١١/٢٤): وفي وجوب حجب أشخاصهن مطلقًا إلا في حاجة البراز نظر فقد كن يسافرن للحج وغيره، ومن ضرورة ذلك الطواف والسعي وفيه بروز أشخاصهن، بل وفي حالة الركوب والنزول لا بد من ذلك وكذا في خروجهن إلى المسجد النبوي وغيره.
قلت: والأمر كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فقد استأذنت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ أن تزور أبويها – وكان ذلك بعد الحجاب كما في حديث الإفك – فأذن لها رسول الله ﷺ.

وأخرج مسلم في صحيحه[(١)] قال أنس: وَشَهِدْتُ وَلِيمَةَ زَيْنَبَ فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا. وَكَانَ يَبْعَثُنِي فَأَدْعُو النَّاسَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ وَتَبِعْتُهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ. لَمْ يَخْرُجَا. فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ. فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟**» فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَيَقُولُ: «**بِخَيْرٍ**» فَلَمَّا فَرَغَ رَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ إِذَا هُوَ بِالرَّجُلَيْنِ قَدْ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ قَدْ رَجَعَ قَامَا فَخَرَجَا فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَمْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ أَرْخَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الْآيَةَ.

وعنده[(٢)] أيضًا من حديث أنس قال: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «**فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**» قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا. قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي. حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا. فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي. فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ! أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي. فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ، قَالَ: فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي. قَالَ:

---

(١) مسلم (١٤٢٨) ص ٧١٣.
(٢) مسلم (١٤٢٨) ص ٧١٤.

فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحِجَابُ، قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ. زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

وعند مسلم أيضًا[١] من حديث أنس بن مالك قال: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحِجَابِ لَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَسْأَلُنِي عَنْهُ قَالَ أَنَسٌ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَرُوسًا بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَ: وَكَانَ تَزَوَّجَهَا بِالْمَدِينَةِ، فَدَعَا النَّاسَ لِلطَّعَامِ بَعْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسَ مَعَهُ رِجَالٌ بَعْدَ مَا قَامَ الْقَوْمُ، حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَشَى فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ بَابَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ مَكَانَهُمْ، فَرَجَعَ فَرَجَعْتُ الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ حُجْرَةَ عَائِشَةَ، فَرَجَعَ فَرَجَعْتُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ قَامُوا، فَضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِالسِّتْرِ، وَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ.

وفي رواية لمسلم[٢] عن أنس بن مالك قال: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ، قَالَ: فَصَنَعَتْ أُمِّي - أُمُّ سُلَيْمٍ - حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ! اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي، وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ. وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي تُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «**ضَعْهُ**» ثُمَّ قَالَ: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقِيتَ**» وَسَمَّى رِجَالًا. قَالَ: فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ.

---

(١) مسلم نفس المصدر السابق، والبخاري (٥٤٦٦).
(٢) مسلم نفس المصدر السابق، والبخاري (٥١٦٣).

قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: عَدَدَ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءَ ثَلَاثِ مِائَةٍ. وَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَنَسُ هَاتِ التَّوْرَ**» قَالَ: فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتْ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ**» قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا قَالَ: فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ. فَقَالَ لِي: «**يَا أَنَسُ ارْفَعْ**» قَالَ: فَرَفَعْتُ. فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ. قَالَ: وَجَلَسَ طَوَائِفُ مِنْهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَزَوْجَتُهُ مُوَلِّيَةٌ وَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ، فَثَقُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى نِسَائِهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ رَجَعَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقُلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَابْتَدَرُوا الْبَابَ فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَرْخَى السِّتْرَ وَدَخَلَ وَأَنَا جَالِسٌ فِي الْحُجْرَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى خَرَجَ عَلَيَّ وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾.

ج: هذا أدب يجب أن يتحلى به أهل الإيمان مع رسولهم ﷺ إذ كان حيًّا أرشدهم الله ﷻ إليه وأدبهم به فقد كان من أهل الإيمان من يأتي لزيارة رسول

الله ﷺ في بيته، يرجو أن يتناول طعامًا في بيت رسول الله ﷺ فينتظر وقت نضج الطعام واستواءه وتقديم الطعام للأكل فيستأذن على رسول الله ﷺ كي يدخل في وقت الطعام فيؤذن له، فتسامع القوم بذلك وتكاثروا وازدادوا فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فنهى القوم عن هذا الصنيع إلا إذا دُعوا إلى طعامٍ، فإذا دعوا إلى طعام فليدخلوا بلا حرج ولا تطفل، فإذا فرغتم يا أهل الإيمان من الذي دعيتم إليه من الطعام فانصرفوا وارجعوا ولا تجلسوا مع بعضكم البعض في بيت النبي ﷺ تسترسلون في الحديث مستئنسين به فإن ذلكم الاسترسال في الحديث والاستئذان للدخول في وقت تقديم الطعام كان يؤذي رسول الله ويشق عليه، ويستحي أن يراجعكم فيه، وأن يعاتبكم في شأنه، ولكن الله ﷻ لا يستحيي من بيان الحق لكم، وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه ﴿غَيْرَ نَظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يعني: غير منتظرين إدراكه وبلوغه.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ يقول: ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فانتشروا، يعني: فتفرقوا واخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾.

ومعنى قوله: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسًا من بعضكم لبعض به.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ يقول: إن دخولكم بيوت النبي من غير

أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم له كان يؤذي النبي فيستحيي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام، أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن مع كراهيته لذلك منكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أن يتبين لكم، وإن استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم.

وقال ابن كثير $:

﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾: حَظَر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى على هذه الأمة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**».

ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾.

قال مجاهد وقتادة وغيرهما: أي غير متحينين نضجه واستواءه، أي: لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا يكرهه الله ويذمه. وهذا دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي تسميه العرب الضيفن، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين. وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾. وفي صحيح مسلم عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم أخاه فَلْيجب، عُرسًا كان أو غيره**»[١]. وأصله في الصحيحين.

(١) مسلم (١٤٢٩).

(٢٧١) أحمر
أسود

وفي الصحيح أيضا[١]، عن رسول الله ﷺ: «**لو دُعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ كُرَاع لقبلت، فإذا فَرَغتم من الذي دُعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل، وانتشروا في الأرض**»؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ أي: كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث، ونسُوا أنفسهم، حتى شَقّ ذلك على رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ﴾.

وقيل: المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه، عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجرَكم عنه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ عطف على قوله: ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ﴾ و﴿غَيۡرَ﴾ منصوبة على الحال من الكاف والميم في ﴿لَكُمۡ﴾ أي غير ناظرين ولا مستأنسين والمعنى المقصود: لا تمكثوا مستأنسين بالحديث كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ في وليمة زينب ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي لا يمتنع من بيانه وإظهاره ولما كان ذلك يقع من البشر، لعلة الاستحياء نفى عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر وفي الصحيح عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المراة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأت الماء**».



(١)البخاري (٢٥٦٨).

(٢٧٢) أحمر
أسود

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال: وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتهن؟ فأنزل الله آية الحجاب. وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه في الغيرة: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥]، فنزلت كذلك.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول: وإذا سألتم أزواج رسول الله ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعًا ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ يقول: من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم

وعليهن سبيل.

ويقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٥٣٠٩):

المسألة التاسعة : في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة، بدنها وصوتها، كما تقدم فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها.

قلت: (وفيما قاله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ من أن صوت المرأة عورة نظر يُحرر في موضعه – إن شاء الله – في كتابنا الأدب).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا في المسألة الحادية عشرة: قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ٥٠٥):

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.

أما الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ فقد قال كلامًا طيبًا متينًا في («أضواء البيان» (٦/ ٥٨٤):

فأفاد وأجاد رحمه الله رحمة واسعة فليراجع فإنه كلام طويل، ها نحن ننقل بعضه إن شاء الله.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ («أضواء البيان» (٦/ ٥٨٤):

واعلم أنه مع دلالة القرءان على احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب، قد دلّت على ذلك أيضًا أحاديث نبوية، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في «صحيحيهما» وغيرهما من حديث عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبيّ ﷺ قال: «**إيّاكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ﷺ أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**» . أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب «النكاح» ، في باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم الخ. ومسلم في كتاب «السلام»، في باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فهذا الحديث الصحيح صرّح فيه النبيّ ﷺ بالتحذير الشديد من الدخول على النساء، فهو دليل واضح على منع الدخول عليهنّ وسؤالهن متاعًا إلا من وراء حجاب؛ لأن من سألها متاعًا لا من وراء حجاب فقد دخل عليها، والنبيّ ﷺ حذَّره من الدخول عليها، ولما سأله الأنصاري عن الحمو الذي هو قريب الزوج الذي ليس محرمًا لزوجته، كأخيه وابن أخيه وعمّه وابن عمّه ونحو ذلك، قال له ﷺ: «**الحمو الموت**»، فسمّى ﷺ دخول قريب الرجل على امرأته وهو غير محرم لها باسم الموت، ولا شك أن تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير؛ لأن الموت هو أفظع حادث يأتي على الإنسان في الدنيا، كما قال الشاعر:

والموت أعظم حادث ... مما يمرّ على الجبلة

والجبلة: الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٨٤﴾ [الشعراء: ١٨٤]، فتحذيره ﷺ هذا التحذير البالغ من دخول الرجال على النساء، وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت، دليل صحيح نبوي على أن قوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾ عام في جميع النساء، كما ترى.

إذ لو كان حكمه خاصًّا بأزواجه ﷺ لما حذر الرجال هذا التحذير البالغ العامّ من الدخول على النساء، وظاهر الحديث التحذير من الدخول عليهنّ ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدخول عليهن والخلوة بهن كلاهما محرّم تحريمًا شديدًا بانفراده، كما قدّمنا أن مسلمًا رَحِمَهُ اللَّهُ أخرج هذا الحديث في باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فدلّ على أن كليهما حرام.

(قلت: الذي يبدو ويترجح أن التبويب الذي في «صحيح مسلم» إنما هو للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في معناها:

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، وما يصلح ذلك لكم ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ يقول: إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فحرم الله نكاح أزواجه من بعده وجعل لهن حكم الأمهات. وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته ﷺ. قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : وأزواجه ﷺ اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن ومن استحل ذلك كان كافرًا

(٢٧٦) أحمر
أسود

لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ وقد قيل : إنما منع من التزوج بزوجاته لأنهن أزواجه في الجنة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إن تظهروا شيئًا يا أهل الإيمان أو تخفوه فكل ذلك عند الله سواء فإنه يعلم كل شيء الظاهر والباطن والسر والعلن عنده سواء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن تظهروا بألسنتكم شيئًا أيها الناس من مراقبة النساء، أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله ﷺ بقول: لأتزوجن زوجته بعد وفاته، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ يقول: فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء، وهو يجازيكم على جميع ذلك.

وقال ابن كثير $:

وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك، وشدَّد فيه وتوعد عليه بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾، ثم قال: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ أي: مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم، فإن الله يعلمه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

[غافر: ١٩]

وقال القرطبي $:

الباريء سبحانه وتعالى عالم بما بدا وما خفي وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ماض تقضى ولا مستقبل يأتي وهذا على العموم تمدح به وهو أهل المدح والحمد، والمراد به هاهنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به في الآية قبلها ممن أشير إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ ومن أشير إليه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ فقيل لهم في هذه الآية: إن الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيكم عليها فصارت هذه الآية منعطفة على ما قبلها مبينة لها والله أعلم.



بعض من تُبدى لهم الزينة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۗ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: لا إثم على أزواج النبي ﷺ في وضع الحجاب أمام المحارم المذكورين، وكذا لا إثم عليهن إذا أذن لهؤلاء المذكورين في الدخول عليهن (أي: بدون الحجاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ...﴾) أما المذكورون في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ فهؤلاء معروفون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ يعني: النساء المؤمنات، وقيل: جنس النساء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فالمراد به العبيد المملوكين لهن،

وكذا الإماء.

أما قوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ أي: وخفن الله واخشين الله من مخالفة أمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ۝٥٥﴾ أي: مراقبًا لا تخفى عليه خافية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لا حرج على أزواج رسول الله ﷺ في آبائهن ولا إثم.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهن الجناح في هؤلاء؛ فقال بعضهم: وضع عنهن الجناح في وضع جلابيبهن عندهم .

وقال آخرون: وضع عنهن الجناح فيهن في ترك الاحتجاب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ ...﴾ إلى ﴿شَهِيدًا﴾: فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم.

قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسمين أن لا يحتجبن منهم؛ وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب، وبعد قول الله: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾ فلا يكون قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب إذا سألوهن ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدأ عن غير ذلك المعنى.

فتأويل الكلام إذن: لا إثم على نساء النبي ﷺ وأمهات المؤمنين في إذنهن لآبائهن وترك الحجاب منهن، ولا لأبنائهن ولا لإخوانهن ولا لأبناء إخوانهن . وعنى بإخوانهن وأبناء إخوانهن إخوتهن وأبناء إخوتهن. وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى إذا جمع فتيان، فكذلك جمع أخ إذا جمع إخوان. وأما إذا جمع إخوة، فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتية، ولا أبناء

إخوانهن، ولم يذكر في ذلك العم على ما قال الشعبي حذرًا من أن يصفهن لأبنائه.

وقوله: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يقول: ولا جناح عليهن أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين.

وقوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ﴾ من الرجال والنساء، وقال آخرون: من النساء. وقوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ يقول: وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن، فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه، أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه، إلا فيما أباح لكن تركه، والْزمْنَ طاعته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن، وترككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له، وغير ذلك من أموركن، يقول: فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله، وهو شاهد عليكم، بمعصيته، وخلاف أمره ونهيه، فتهلكن، فإنه شاهد على كل شيء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما أمر تعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بيَّن أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور، عند قوله: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ إلى آخرها، [النور: ٣١]، وفيها زيادات على هذه.

وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: يعني بذلك: عَدَم الاحتجاب من النساء المؤمنات.

وقوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ﴾ يعني به: أرقاءَهن من الذكور والإناث.

وقوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ۝٥٥﴾ أي: واخشينه في الخلوة والعلانية، فإنه شهيد على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فراقبن الرقيب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ لما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الأصناف وانجزمت الإباحة عطف بأمرهن بالتقوى عطف جملة وهذا في غاية البلاغة والإيجاز كأنه قال اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدينه إلى غيره وخص النساء بالذكر وعينهن في هذا الأمر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن والله أعلم ثم توعد تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ۝٥٥﴾.



س: لماذا لم يُذكر العم والخال في الآية الكريمة؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن العم والخال لم يُذكرا؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين ويأخذان حكم الوالد.

وثم رأي آخر أورده الطبري وغيره بإسناد صحيح عن داود، عن الشعبي وعكرمة في قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ﴾ قلت: ما شأن العم والخال لم يذكرا؟ قال: لأنهما ينعتانها لأبنائهما، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها.

قال القرطبي $:

ذكر الله تعالى في هذه الآية من يحل للمرأة البروز له ولم يذكر العم

والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد يسمى العم أبا قال الله تعالى: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وإسماعيل كان العم. قال الزجاج العم والخال ربما يصفان المرأة لولديهما فإن المرأة تحل لابن العم وابن الخال فكره لهما الرؤية وقد كره الشعبي وعكرمة أن تضع المرأة خمارها عند عمها أو خالها وقد ذكر في هذه الآية بعض المحارم وذكر الجميع في سورة النور فهذه الآية بعض تلك وقد مضى الكلام هناك مستوفى والحمد لله.

قلت: والرأي الأول أولى، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث عائشة ﭭ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُرَاهُ فُلَانًا**» لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنْ الرَّضَاعَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَانَ فُلَانٌ حَيًّا لِعَمِّهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ دَخَلَ عَلَيَّ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنْ الْوِلَادَةِ**». والله أعلم.

أخرج البخاري(٢) من حديث عَائِشَةَ ﭭ قَالَتْ: «اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْسِ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَقُلْتُ: لَا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ ﷺ فَإِنَّ أَخَاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي عَمُّكِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَقَالَ: «**ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ تَرِبَتْ يَمِينُكِ**» قَالَ عُرْوَةُ: فَلِذَلِكَ كَانَتْ

(١) البخاري (١٣٩/٩)، ومسلم (١٤٤٤).
(٢) البخاري (٤٧٩٦).

عَائِشَةُ تَقُولُ: حَرِّمُوا مِنْ الرَّضَاعَةِ مَا تُحَرِّمُونَ مِنْ النَّسَبِ»[(١)].



س: ما المراد بصلاة الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ؟

ج: قال كثير من أهل العلم إن المراد بذلك ثناؤه ﷻ عليه في الملإ الأعلى.

وقال آخرون: إن المراد رحمته به.

وقال آخرون: إن المعنى أنه يبارك على نبيه ﷺ، ومن صور البركة أن الخير الكثير جُعل في هذا النبي الكريم ﷺ فقد جعله الله مباركًا الخير فيه ثابت ومتنامي، والبركة تحل معه ﷺ.



س: ما المراد بصلاة الملائكة على النبي ﷺ؟

ج: المراد: دعاؤهم له واستغفارهم له وثناؤهم أيضًا عليه.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾؟

ج: هذا إخبارٌ من الله ﷻ لأهل الإيمان بأنه سبحانه وتعالى، يصلي على نبيه ﷺ، وكذا ملائكته يصلون على النبي، فمن ثَمَّ فيا أهل الإيمان صلوا على نبيكم وسلموا عليه تسليمًا.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وَكَأَنَّ الْبُخَارِيّ رَمَزَ بِإِيرَادِ هَذَا الْحَدِيث إِلَى الرَّدّ عَلَى مَنْ كَرِهَ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَضَع خِمَارهَا عِنْدَ عَمّهَا أَوْ خَالهَا، كَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق دَاوُدَ بْن أَبِي هِنْد عَنْ عِكْرِمَة وَالشَّعْبِيّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُمَا: لِمَ لَمْ يَذْكُر الْعَمّ وَالْخَال فِي هَذِهِ الْآيَة؟ فَقَالَا: لِأَنَّهُمَا يَنْعَتَاهَا لِأَبْنَائِهِمَا، وَكَرِهَا لِذَلِكَ أَنْ تَضَع خِمَارهَا عِنْدَ عَمّهَا أَوْ خَالهَا. وَحَدِيث عَائِشَة فِي قِصَّة أَفْلَحَ يَرُدّ عَلَيْهِمَا. وَهَذَا مِنْ دَقَائِق مَا فِي تَرَاجِم الْبُخَارِيّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبرّكون على النبي محمد ﷺ.

وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبي، وتدعو لـه ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء . وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد ﷺ ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ يقول: وحيوه تحية الإسلام .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا.



مباحث في الصلاة على النبي ﷺ

س: اذكر بعض الوارد في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم(١) من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

وأخرج الترمذي(٢) وغيره بسندٍ حسن لشواهده من حديث: أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

(١) مسلم (٤٠٨).

(٢) الترمذي (٢٤٥٧)، وله شاهد عند عبد الرزاق (٣١١٤).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ» قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ...فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ» قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ».

وأخرج النسائي[(١)] بسندٍ حسن من حديث: أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ».

وأخرج أحمد[(٢)] بسندٍ صحيح عن: أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ».

وعند الترمذي[(٣)] بسندٍ حسن لغيره من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

وأخرج ابن حبان[(٤)] وغيره من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ؟ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ آتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ

---

(١) النسائي (٣/٥٠).
(٢) أحمد في المسند (٢/٤٦٣).
(٣) الترمذي (٣٥٤٦).
(٤) ابن حبان (٩٠٤) بسندٍ صحيح لغيره.

رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ آمِينَ.. فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الكِبَرِ فَلَمْ يُبِرَّهُمَا، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، قُلْتُ: آمِينَ».

وأخرج الإمام أحمد[1] بسندٍ حسن: عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ».



بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ

س: اذكر بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

* التشهد الأخير وقبل الدعاء:

فسيأتي حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك... الحديث.

وسيأتي قريبًا إن شاء الله.

الشاهد منه قوله: «قد علمنا كيف نسلم عليك...».

قال البيهقي رحمه الله[2]: قوله في الحديث: «قد علمنا» إشارة إلى السلام على النبي ﷺ في التشهد فقوله: (فكيف نصلي عليك) أيضًا يكون المراد به في القعود للتشهد.

وعند أحمد بسندٍ حسن[3] فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

(١) أحمد (١/٤٤١).
(٢) البيهقي في السنن الكبرى (٢/١٤٧).
(٣) أحمد (٦/١٨).

(٢٨٦) أحمر
أسود

سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يَذْكُرْ اللهَ ﷻ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدْعُ بِمَا شَاءَ».

ومن ذلك بعد سماع المؤذن:

أخرج مسلم[١] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

ومن ذلك عند دخول المسجد:

أخرج الدارمي[٢] بسندٍ حسن من حديث أَبِي حُمَيْدٍ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الجنازة:

أخرج عبد الرزاق[٣] بسندٍ صحيح عن الزهري قال: سمعت أبا أمامة بن سهيل بن حنيف يحدث ابن المسيب قال: السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر ثم يقرأ بأم القرآن، ثم تصلي على النبي ﷺ ثم تخلص الدعاء للميت، ولا يقرأ إلا في التكبيرة الأولى ثم يسلم في نفسه عن يمينه.

(١) مسلم (٤/٨٥).
(٢) الدارمي (١٣٩٤).
(٣) عبد الرزاق (٦٤٢٨) المصنف.

(٢٨٧) أحمر
أسود

وهذا مرسلٌ[(١)]، ولكنه يصح لشواهده، فله شواهد كثيرة.

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس:

لحديث: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ..». وسيأتي.

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره:

لحديث: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

وهل تشرع الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة؟

فأقول، وبالله التوفيق:

قد ورد في ذلك حديث مختلف في صحته أخرجه الإمام أحمد[(٢)] وغيره من طريق حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ -يَعْنِي: وَقَدْ بَلِيتَ- قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ».

وهذا السند صحيح إلا أن هناك اختلاف في تحديد عبد الرحمن بن يزيد هل هو ابن جابر كما هو ظاهر في السند، وهو ثقة، أم أنه عبد الرحمن بن يزيد

---

(١) لكن أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٥٠٠) من طريق شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو أمامة سهل بن حنيف وكان من كبراء الأنصار وعلمائهم وأبناء الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله ﷺ أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ أخبره أن السنة في صلاة الجنازة ... فهو بهذا موصول، فالله أعلم، وعلى كلٍّ فللمعنى شواهد كثيرة.

(٢) أحمد (٤/٨)، وأبو داود (١٥٣١)، والنسائي (٣/٩١)، وابن ماجه (١٦٣٦) وغيرهم.

ابن تميم كما نص على ذلك عدد من أهل العلل، وعليه فهو مجهول، والحديث ضعيف الإسناد!

في ذلك وجهان لأهل العلم، كما أشرت والله أعلم.

هذا، وقد قال الإمام الشافعي في الأم[(١)]: وأحب كثرة الصلاة على النبي ﷺ في كل حال وأنا في يوم الجمعة وليلتها أشد استحبابًا. اهـ.

ومن ذلك عند الهم والحزن، تشرع الصلاة على النبي ﷺ لحديث أُبي بن كعب وسيأتي[(٢)].

ومن ذلك في كل مجلس لحديث: «**مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لا يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**» [(٣)].

وكذا الصلاة عليه في كل مكان:

أخرج أحمد[(٤)] بسندٍ حسن من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**».



---

(١) الأم (٣١٨/١).
(٢) وسيأتي.
(٣) وسيأتي.
(٤) أحمد (٣٦٧/٢).

(٢٨٩) أحمر
أسود

بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ

س: اذكر بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث: أَبُي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

وأخرج البخاري[(٢)] من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ».

وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من طريق: عَبْدُ اللهِ بْنُ عِيسَى سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: بَلَى فَأَهْدِهَا لِي فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

---

(١) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤/١٢٧).
(٢) البخاري (٦٣٥٨).
(٣) البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم مع النووي (٤/١٢٦).

(٢٩٠) أحمر
أسود

وأخرج مسلم[١] من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ....وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**».



س: هل يجوز الاجتزاء بالسلام على النبي دون الصلاة عليه؟

ج: الظاهر أن هذا، وإن كان جائزًا لكن خلاف الأفضل فالأولى أن نُصلي عليه ونسلم.

قال ابن كثير $:

قال النووي: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول: «صلى الله عليه فقط»، ولا « عليه السلام » فقط، وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾، فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليما.



س: هل الأولى أن نقول (ﷺ) أم (ق)؟

ج: الظاهر – والله أعلم – ذكر الآل أولى، وذلك لأن عددًا من الأحاديث وردت بذكر الآل (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ...) والله أعلم.

---

(١) مسلم (مع النووي ٤/١٢٣).

س: اذكر بعض الادلة على جواز الصلاة على النبيين؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ».

أخرجه البخاري[1] من حديث سمرة مرفوعًا.

وما أخرجه مسلم[2] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ».



س: هل تجوز الصلاة على غير النبيين والمرسلين؟

ج: في ذلك بعض الاختلاف، وهذا بيانه باختصار وإيجاز.

القول الأول: أنها تجوز، وقد تقدمة أدلة متعددة في الصلاة على آل النبي محمد ﷺ، وكذا على آل إبراهيم عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»[3].

وقال تعالى: (﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾.

وعند أبي داود وغيره بسندٍ صحيح عَنِ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ

(١) البخاري (٣٣٥٤).
(٢) مسلم (١٥٥).
(٣) البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (٢/٧٥٦).

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ»[(١)]. وهناك أحاديث أخر في هذا الباب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما الصلاة على غير الأنبياء، فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث: «**اللهم، صل على محمد وآله وأزواجه وذريته**»، فهذا جائز بالإجماع، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم:

فقال قائلون: يجوز ذلك، واحتجوا بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾، وبقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وبقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وبحديث عبد الله بن أبي أَوْفَى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «**اللهم صل عليهم**». وأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**». أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

وبحديث جابر: أن امرأته قالت: يا رسول الله، صل عَلَيَّ وعلى زوجي. فقال: «**صلى الله عليكِ وعلى زوجك**».

وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: «قال أبو بكر صلى الله عليه». أو: «قال علي صلى الله عليه». وإن كان المعنى صحيحًا، كما لا يقال: «قال محمد، عَزَّ وَجَلَّ»، وإن كان عزيزًا جليلًا؛ لأن هذا من شعار ذكر الله، عَزَّ وَجَلَّ. وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته. وهذا مسلك حسن.

(١) أبو داود (٦٦٤) بسندٍ صحيح.
(٢) البخاري (٦٣٥٩)، ومسلم (١٠٨٧).

وقال آخرون: لا يجوز ذلك؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذلك، والله أعلم.

ثم اختلف المانعون من ذلك: هل هو من باب التحريم، أو الكراهة التنزيهية، أو خلاف الأولى؟ على ثلاثة أقوال، حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الأذكار. ثم قال: والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود. قال أصحابنا: والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في اللسان بالأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، كما أن قولنا: «ﻋﺰّ وجلّ»، مخصوص بالله سبحانه وتعالى، فكما لا يقال: «محمد ﻋﺰّ وجلّ»، وإن كان عزيزا جليلا لا يقال: «أبو بكر -أو: علي -صلى الله عليه». هذا لفظه بحروفه. قال: وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجُوَيني من أصحابنا: هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: «علي عليه السلام»، وسواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال: سلام عليكم، أو سلام عليك، أو السلام عليك أو عليكم. وهذا مجمع عليه. انتهى ما ذكره.

قلت: وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يفرد عَلِيٌّ، رضي الله عنه، بأن يقال: «عليه السلام»، من دون سائر الصحابة، أو: «كرم الله وجهه» وهذا وإن كان معناه صحيحا، لكن ينبغي أن يُسَاوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في (جلاء الأفهام):

قال القاضي أبو الحسين بن الفراء في رؤوس مسائله: وبذلك[١] قال الحسن البصري، وخصيف، ومجاهد، ومقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان، وكثير من أهل التفسير، قال: وهو قول الإمام أحمد. اهـ.

قلت (مصطفى): القول الثاني: المنع من ذلك، وقد وجهوا الأدلة السابقة بما حاصله أن الله عَزَّوَجَلَّ يصلي على المؤمنين، وكذا ملائكته يصلون على المؤمنين ولا يقاس على ذلك أن يصلي المؤمنون بعضهم على بعض، وكذا لا يقاس على صلاة رسول الله ﷺ على بعض المؤمنين، وإنما هي خصوصية، ودللَّوا على قولهم بأن الصحابة لم يرد عنهم أنهم كانوا يصلون على بعضهم البعض، فلم يُصل أحد على أبي بكر ولا على عمر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في جلاء الأفهام:

وأما صلاة النبي ﷺ على من صلى عليه فتلك مسألة أخرى، فأين هذه من صلاتنا عليه التي أمرنا بها قضاء لحقه، هل يجوز أن يشرك معه غيره أم لا؟

يؤكده الوجه الثاني: أن الصلاة عليه حق له ﷺ، يتعين على الأمة أداؤه والقيام به، وأما هو ﷺ فيخص من أراد ببعض ذلك الحق، وهذا كما تقول في شاتمه ومؤذيه: «إن قتله حق لرسول الله ﷺ يجب على الأمة القيام به واستيفاؤه»، وإن كان ﷺ يعفو عنه حتى كان يبلغه ويقول: «**رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[٢].

وبهذا حصل الجواب أيضًا عن قوله:

«**اللهم صل على آل أبي أوفي**»، وعن الدليل الثالث أيضا، وهو صلاته على

---

(١) أي: بالجواز.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

تلك المرأة وزوجها.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب على الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾:

ليس بمتناول لمحل النزاع، فإن النزاع إنما هو هل يسوغ لأحدنا أن يصلي على غير الرسول وآله ﷺ، وأما الملائكة فليسوا بداخلين تحت أحكام تكاليف البشر حتى يصح قياسهم عليه فيما يقولونه أو يفعلونه، فأين أحكام الملك من أحكام البشر: فالملائكة رسل الله في خلقه وأمره، يتصرفون بأمره لا بأمر البشر.

وبهذا خرج الجواب عن كل دليل فيه صلاة الملائكة. اهـ.

وأما صلاة الله سبحانه وتعالى على غير الأنبياء الواردة في هذه الأدلة أجاب عنها ابن القيم فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ هذا في غير محل النزاع، وكيف يصح قياس فعل العبد على فعل الرب سبحانه وتعالى؟ وصلاة العبد دعاء وطلب، وصلاة الله على عبده ليست دعاء، وإنما هي إكرام وتعظيم ومحبة وثناء، وأين هذا من صلاة العبد).اهـ.

هذا، وقد ورد عن ابن عباس بسندٍ صحيح قال: لا تنبغي الصلاة على أحد إلا على النبيين، قال سفيان: يكره أن يصلى إلا على نبي[(١)].

وعند ابن أبي شيبة في المصنف بسندٍ صحيح عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه كتب:

أما بعد، فإن أناسًا من الناس التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن أناسًا من القصاص قد أحدثوا من الصلاة على خلفائهم وأموالهم عدل صلاتهم على

(١) عبد الرزاق في المصنف (٣١١٩).

النبي ﷺ فإذا أتاك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعون ما سوى ذلك(١).

قال القاضي عياض في فضل الصلاة على النبي ﷺ:

والذى ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله، وروى عن ابن عباس، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرًا وتعزيزًا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي ﷺ وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله به بقوله: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأيضًا فهو أمر لم يكن معروفًا في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثه الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي ﷺ.

وأيضًا التشبه بأهل البدع منهيٌّ عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك.

ونقل النووي عن الجمهور كراهة الصلاة على غير الأنبياء، واختار أن الكراهة على التنزيه، وذلك في كتاب الأذكار.

---

(١) المصنف (٨/٢٤١).

وقال ابن عبد البر في الاستذكار[(١)]:

قال أبو عمر: والذي أختاره في هذا الباب أن يقال: اللهم ارحم فلانًا واغفر له ورحم الله فلانا وغفر له ورضي عنه ونحو هذا من الدعاء له والترحم عليه ولا يقال إذا ذكر النبي ﷺ إلا صلى الله عليه إلا أنه جائز أن يدخل معه في ذلك آله على ما جاء في الأحاديث عنه ﷺ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واللهم صل على محمد وأزواجه وذريته[(٢)] ولا يصلى على غيره بلفظ الصلاة امتثالا لعموم قول الله ﷻ ! ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾! [النور ٦٣] في حياته وموته ﷺ.

قلت (مصطفى): والصلاة على آل البيت في صلاتنا، وكذا في صيغ صلاتنا على رسولنا محمد ﷺ قد تقدمت بأسانيد في غاية من الصحة فالقول باستحباب الصلاة على آل البيت قولٌ صحيحٌ بلا شك.

ولكن لم أقف على دليل من استعمالات الصحابة أنهم كانوا يقولون عن علي ﷺ أو عن الحسن ﷺ، إنما ورد عن بعضهم عن عليٍّ عليه السلام، وعن فاطمة عليها السلام. هذا، وينبغي أيضًا أن يوجَّه ما ورد عن رسول الله ﷺ من الحديث «**خيار ائمتكم الذين تصلون عليهم ويصلون عليكم...**».



س: هل وردت عن رسول الله ﷺ صيغة فيها الجمع بين الصلاة عليه والصلاة على أصحابه، كقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

ج: أما ذكر الصحب فلم أقف عليها على النحو المذكور في أي حديث عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.

(١) الاستذكار (٦/٢٦٤).
(٢) البخاري (٣٣٦٩).

(٢٩٨) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا
مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ
فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا
قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ
ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ ﴾

[الأحزاب: ٥٧-٦٢]

(٢٩٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ - مُّهِينًا -ٱحْتَمَلُوا۟ - بُهْتَـٰنًا - وَإِثْمًا مُّبِينًا - يُدْنِينَ - جَلَـٰبِيبِهِنَّ - فَلَا يُؤْذَيْنَ - فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ - وَٱلْمُرْجِفُونَ - لَنُغْرِيَنَّكَ - مَّلْعُونِينَ - ثُقِفُوٓا۟ - أُخِذُوا۟ - سُنَّةَ ٱللَّهِ - خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ - تَبْدِيلًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾	طردهم الله من رحمته وأبعدهم عنها
﴿مُّهِينًا﴾	مُذلًّا مُخزيًا
﴿ٱحْتَمَلُوا۟﴾	تحملوا – ارتكبوا
﴿بُهْتَـٰنًا﴾	إثم الافتراء على الناس
﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	ذنبًا واضحًا مُظهرًا أنه مذنبون وأثمة وظلمة
﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾(١)	يُقربن الجلباب فيغطين به الجسم كله والوجه
﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾	لا يؤذيهن منافق ولا غيره (إذا علم أنهن حرائر)
﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	في قلوبهم شك وضعف إيمان وحب للزنا والفواحش
﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾	الذين ينشرون الشائعات لإضعاف المؤمنين
﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾	لنسلطنك عليهم
﴿مَّلْعُونِينَ﴾	مطرودين من رحمة الله – مُبعدين عنها

(١) وسيأتي تفسيرها.

﴿ثُقِفُوٓاْ﴾	وجدوا
﴿أُخِذُواْ﴾	أُسروا – قُدِّموا للقتل
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾	طريقة الله، وعادة الله
﴿خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾	مضوا من قبل (الأمم المتقدمة)
﴿تَبۡدِيلٗا﴾	تحويلًا



س: كيف كانوا يؤذون الله ورسوله؟

ج: أما أذيتهم لله ﷻ فلها صور منها: سبُّهم للدهر، ففي الصحيحين[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

ومنها: نسبتهم الولد إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨
لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا
٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

* ومنها: دعواهم أن الملائكة بنات الله.
* ومنها: اتخاذهم شريكًا مع الله.
* ومنها: قول اليهود يد الله مغلولة.
* ومنها: قولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء.
* ومنها: قولهم: إن الله ﷻ لن يعيدهم، ولن يبعثهم.
* ومنها: انتهاكهم للمحرمات التي حرمها عليهم.

(١) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

* ومنها: أذيتهم لرسله وعداؤهم لرسله.

* ومنها: تكذيبهم بالكتب المنزلة من عند الله.

* ومنها: مضاهاتهم بخلق الله كأصحاب التصاوير الذين يضاهئون بخلق الله.

أما أذيتهم لرسول الله ﷺ فلها صور أيضًا:

* منها: تكذيبهم له.

* ومنها: وصفهم له بسيئ الألفاظ، كقولهم: ساحر كذاب، وشاعر، ومجنون، وغير ذلك.

* ومنها: طعنهم في بعثته.

* ومنها: طعنهم في أعماله التي يعملها، وفي فعله ما أحل الله له.

* ومنها: حربهم له وعداوتهم له.

* ومنها: سبُّهم له وشتمهم له.

* ومنها: سعيهم لقتله، والطعن في عرضه، وفي عرض أهل بيته، والطعن في أصحابه.



س: اذكر بعض صور أذية المؤمنين؟

ج: لذلك صور، منها:

* طعنهم في المؤمنين لإيمانهم ولاستقامتهم.

* ومنها: سخريتهم بصلاتهم وصيامهم وعبادتهم.

* ومنها: عيبهم بسبب ضعف حسبهم، وقلة مالهم، ودمامة صورهم، ودنو صنعتهم.

* ومنها: اغتيابهم ولمزهم وهمزهم.

(٣٠٢) أحمر
أسود

* ومنها: أكل أموالهم وسفك دماءهم والاستخفاف بهم.

* ومنها: الاعتداء على أعراضهم وأولادهم.

* ومنها: رميهم بالفواحش وهم منها براء.



س: اذكر إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- إن الذين يؤذون الله ﷻ بشركهم به ونسبتهم الولد إليه، وسائر صنوف الأذى، وكذا يؤذون رسوله ﷺ بتكذيبهم له، وطعنهم في نبوته، وصنوف الأذى المكفرة (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) طردهم الله ﷻ من رحمته، وأبعدهم عنها في الدنيا والآخرة، فما عليهم في الدنيا إلا اللعنات، وفي الآخرة اللعنات وصور العذاب الأليم المهين المذل المخزي.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات لإيمانهم بالله ورسوله، وكذا يؤذونهم بغير سببٍ يستدعي الأذى فقد حَمَّلُوا أنفسهم أوزارًا عظيمة بسبب كذبهم على أهل الإيمان وافترائهم عليهم وإلحاق الأذى بهم، وكذا احتملوا آثامًا بسبب أذيتهم لهم بأية صورة من صور الأذى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨] يقول: فقد احتملوا

زورا وكذبًا وفرية شنيعة، وبهتان: أفحش الكذب، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ يقول: وإثما يبين لسامعه أنه إثم وزور.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ فإياكم وأذى المؤمن، فإن الله يحوطه، ويغضب له.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أذية المؤمنين والمؤمنات هي أيضًا بالأفعال والأقوال القبيحة كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق وهذه الآية نظير الآية التي في النساء: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء : ١١٢] كما قال هنا وقد قيل : إن من الأذية تعييره بحسبٍ مذموم أو حرفة مذمومة أو شيء يثقل عليه إذا سمعه لأن أذاه في الجملة حرام وقد ميز الله تعالى بين أذاه وأذى الرسول وأذى المؤمنين فجعل الأول كفرًا والثاني كبيرة فقال في أذى المؤمنين: ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ وقد بيناه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومِنْ أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم

ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين.



مزيدٌ من أدلة الحجاب

س: اذكر بعض الآثار وبعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه الطبري بسند صحيح عن عبيدة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ فلبسها عندنا ابن عون قال: ولبسها عندنا محمد قال محمد: ولبسها عندي عبيدة قال ابن عون بردائه فتقنع به، فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب[1].

(١) وله إسناد آخر عن عبيدة أيضًا عند ابن جرير فقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني يعقوب قال: ثنا هشيم قال: أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة عن قوله: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾. قال: فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه.
قلت: وهذا أيضًا إسناد صحيح.
وقد ورد في هذا أيضًا أثر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾. أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة.
لكن في إسناد هذا كلام إذ أن الراوي عن ابن عباس هو علي بن أبي طلحة، وهو لم يسمع منه، وقد قيل: إن بينهما مجاهدًا لكننا الآن على ضعف رواية علي عن ابن عباس.
ورد أثر آخر بسند حسن عن قتادة عند الطبري أيضًا فقال الطبري: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا =

ومنها: ما أخرجه أبو داود[١] في كتاب (المسائل) إذ قال: حدثنا أحمد يعني ابن محمد بن حنبل قال: حدثنا يحيى وروح عن ابن جريج، قال آخر: ما قال لي عطاء، وقال: أخبرني أبو الشعثاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تدني الجلباب إلى وجهها ولا تضرب به، قال روح في حديثه: قلت: وما لا تضرب به؟ فأشار لي كما تجلبب المرأة، ثم أشار لي ما على خدها من الجلباب، قال: تقطعه وتضرب به على وجهها كما هو مسدول على وجهها. قلت: وسنده صحيح.

وهو عند الشافعي[٢] في المسند من طريق سعيد بن سالم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: تدلى عليها من جلابيبها ولا تضرب به فقال عطاء: وقلت: وما لا تضرب به؟ قال: فأشار لي كما تجلبب المرأة ثم أشار إلى ما على خدها من الجلباب، فقال: لا تغطيه فتضرب به على وجهها فذلك الذي لا يبقى عليها ولكن تسدله على وجهها كما هو مسدولاً ولا تقلبه ولا تضرب به ولا تعطفه.

وهذه بعض أقوال العلماء:

قال ابن جرير الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن. ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهنّ؛

= سعيد عن قتادة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيذاء فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء، وهذا سند حسن فبشر: هو ابن معاذ، ويزيد: هو ابن زريع. وثمة آثار أخرى.

(١) رقم ٤٢ ص ٦٠.

(٢) مسند الشافعي ص ١٨ رقم ٥٤٤.

لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهن حرائر، بأذى من قول.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المسألة الثانية : لما كانت عادة العربيات التبذُّل وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن وتشعب الفكرة فيهن أمر الله رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن وكن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف فيقع الفرق بينهن وبين الإماء فتعرف الحرائر بسترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزبًا أو شابًّا. انتهى محل الغرض منه.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ («فتح القدير» ٤/ ٣٠٤):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ...﴾ من للتبعيض والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار قال الجوهرى: الجلباب الملحفة وقيل: القناع وقيل: هو ثوب يستر جميع بدن المرأة كما ثبت فى «الصحيح» من حديث أم عطية أنها قالت: يا رسول الله إحدانا لايكون لها جلباب فقال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**» قال الواحدى: قال المفسرون: يغطين وجوههن ورؤوسهن إلا عينا واحدة فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى، وقال الحسن: تغطى نصف وجهها، وقال قتادة: تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى إدناء الجلابيب وهو مبتدأ وخبره ﴿أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ أى: أقرب أن يعرفن فيتميزن عن الإماء ويظهر للناس أنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن مراقبة لهن ولأهلهن وليس المراد بقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ أن تعرف الواحدة منهن من هى بل المراد أن يعرفن

أنهن حرائر لا إماء لأنهن قد لبسن لبسة تختص بالحرائر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك إدناء الجلابيب ﴿رَّحِيمًا﴾ بهن أو غفورًا لذنوب المذنبين رحيمًا بهن فيدخلن فى ذلك دخولًا أوليًّا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

ومن الأدلّة القرآنيّة على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾، فقد قال غير واحد من أهل العلم: إن معنى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾: أنهن يسترن بها جميع وجوههن، ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها، وممن قال به: ابن مسعود، وابن عباس، وعبيدة السلماني وغيرهم.

ثم بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناقشته للمخالفين.

قلت: وقد بينا ما في أثر ابن عباس قريبًا.

هذا، وقد قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا مشابهة لما تقدم.

ثالثًا: وجه الاستدلال بالآية الكريمة:

الأولى: علة الاشتراك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

الثانية: قول أكثر أهل التفسير في الآية.

أما بالنسبة للناحية الأولى: فقد اشترك نساء المؤمنين في الأمر الموجه لأزواج النبي ﷺ وبناته بإدناء الجلابيب عليهن، ولا يختلف اثنان من أهل العلم أن نساء النبي ﷺ أُمِرن بستر وجوههن – على الأقل – فيتبعهن في ذلك نساء المؤمنين.

أما بالنسبة للناحية الثانية: وهي تفسير أهل العلم للإدناء من الجلابيب

فالمراد – وإن كان ورد فيها بعض الخلاف – على قول أكثر أهل العلم تغطية الوجه.

قلت (مصطفى):

تنبيه هام: ليس المراد من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾. أن تعرف الواحدة من النساء من هي كما يذكره بعض من يلبسون الحق بالباطل، وإنما المراد أن يعرفن أنهن حرائر لا إماء، وذلك لأنهن لبسن لبسة تختص بالحرائر.

تنبيه ثان: ورد في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ قدم المدينة على غير منزل فكان نساء النبي ﷺ وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾.

وسبب النزول هذا لا يصح فقد أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله (٢٢/ ٣٤) وفي إسناده ضعف شديد ففيه ابن حميد وهو محمد بن حميد شيخ ابن جرير وهو ضعيف، وفيه راو لم يسم وفيه أنواع أخرى من الضعف.

وليس معنى كون سبب النزول لا يصح أن تفسير العلماء للآية خطأ.

تنبيه ثالث: سبق أن بينا في تفسير الآية أن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يتميزن في زيهن عن زي الإماء وذلك بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، فإذا فعلن ذلك ورآهن الفساق علموا أنهن حرائر فكفوا عنهن.

وليس المراد من ذلك أن تعرض الفساق للإماء جائز بل هو حرام، لا شك في ذلك، والمتعرض لهن من الذين في قلوبهم مرض، بل كل ما في الأمر

أن الحرائر يحترزن أكثر من الإماء، وقد قال الصحابة - رضوان الله عليهم - لما بنى النبي ﷺ بصفية بنت حيي كما سيأتي في أبواب مناقشة المخالفين -: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه فدل ذلك على التفريق.

ونحن إنما ذكرنا هذا التنبيه لأن أبا محمد بن حزم رحمه الله قال في («المحلى» ٣/ ٢١٨): وقد ذهب بعض من وهل في قول الله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ﴾ إلى أنه إنما أمر الله تعالى بذلك؛ لأن الفساق كانوا يتعرضون للنساء للفسق فأمر الحرائر بأن يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق أنهن حرائر فلا يعترضوهن.

قال: ونحن نبرأ إلى الله من هذا التفسير الفاسد الذي هو إما زلة عالم ووهلة فاضل عاقل، أو افتراء كاذب فاسق؛ لأن فيه أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين وهذه مصيبة الأبد ... إلى آخر ما قال رحمه الله وعفا عنه.

قلت: أولًا: إن هذا القول الذي نقده ابن حزم رحمه الله هو قول جمهور المفسرين من التابعين فمن بعدهم.

ثانيًا: إن قول جمهور المفسرين الذي انتقده ابن حزم ليس فيه أبدًا ما ادعاه ابن حزم من أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين، وتوضيحًا لذلك نقول: إذا أمر الله ﷻ نساء النبي ﷺ بأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ فهل في هذا إباحة للذي في قلبه مرض أن يطمع في نساء المؤمنين وإمائهم، كلا وحاشا فهو زيادة أمر لاحتراز نساء النبي ﷺ من الذين في قلوبهم مرض.

قال الشنقيطي في («أضواء البيان» ٦/ ٥٨٨):

وفي الجملة: فلا إشكال في أمر الحرائر بمخالفة زي الإماء ليهابهن الفساق، ودفع ضرر الفساق عن الإماء لازم، وله أسباب أخر ليس منها إدناء الجلابيب.

تنبيه رابع: فسر أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ - رغم مخالفته لنا في مسألة الوجه- الجلباب بقوله: والجلباب في لغة العرب التي خاطبنا بها رسول الله ﷺ هو ما غطى جميع الجسم لا بعضه. («المحلى» ٣/ ٢١٧).



أبناء رسول الله ﷺ

س: اذكر بعض أسماء أبناء رسول الله ﷺ وبناته؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]:

فالذكور من أولاده : القاسم أمه خديجة وبه كان يكنى ﷺ وهو أول من مات من أولاده وعاش سنتين وقال عروة : ولدت خديجة للنبي ﷺ القاسم والطاهر وعبدالله والطيب وقال أبو بكر البرقي: ويقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبدالله وإبراهيم أمه مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفي ابن ستة عشر شهرًا وقيل: ثمانية عشر، ذكره الدارقطني. ودفن بالبقيع. وقال ﷺ: «إن له مرضعا تتم رضاعه في الجنة» وجميع أولاد النبي ﷺ من خديجة سوى إبراهيم وكل أولاده ماتوا في حياته غير فاطمة.

وأما الإناث من أولاده فمنهن: فاطمة الزهراء بنت خديجة، ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي أصغر بناته وتزوجها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في

(١) قلت: وتحرير ذلك بالأسانيد أمرٌ شاقٌّ عليَّ.

السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة وقيل: تزوجها في رجب وتوفيت بعد رسول الله ﷺ بيسير وهي أول من لحقه من أهل بيته ڤ.

ومنهن: زينب أمها خديجة تزوجها ابن خالتها أبو العاصي بن الربيع وكانت أم العاصي هالة بنت خويلد أخت خديجة، واسم أبي العاصي لقيط وقيل: هاشم، وقيل: هشيم، وقيل: مقسم، وكانت أكبر بنات رسول الله ﷺ وتوفيت سنة ثمان من الهجرة ونزل رسول الله ﷺ في قبرها.

ومنهن: رقية أمها خديجة تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة فلما بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] قال أبو لهب لابنه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن بنى بها وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة وبايعت رسول الله ﷺ هي وأخواتها حين بايعه النساء وتزوجها عثمان بن عفان وكانت نساء قريش يقلن حين تزوجها عثمان:

أحسن شخصين رأى إنسان   رقية وبعلها عثمان

وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين، وكانت قد أسقطت من عثمان سقطًا ثم ولدت بعد ذلك عبد الله، وكان عثمان يكنى به في الإسلام وبلغ ست سنين فنقره ديك في وجهه فمات، ولم تلد له شيئًا بعد ذلك وهاجرت إلى المدينة ومرضت ورسول الله ﷺ يتجهز إلى بدر فخلف عثمان عليها فتوفيت ورسول الله ﷺ ببدر على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة بشيرا من بدر فدخل المدينة حين سوى التراب على رقية ولم يشهد دفنها رسول الله ﷺ.

ومنهن: أم كلثوم أمها خديجة تزوجها عتيبة بن أبي لهب أخو عتبة قبل

النبوة وأمره أبوه أن يفارقها للسبب المذكور في أمر رقية ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع رسول الله ﷺ وأسلمت حين أسلمت أمها وبايعت رسول الله ﷺ مع أخواتها حين بايعه النساء وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله ﷺ فلما توفيت رقية تزوجها عثمان وبذلك سمي ذا النورين وتوفيت في حياة النبي ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة وجلس رسول الله ﷺ على قبرها ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة وذكر الزبير بن بكار أن أكبر ولد النبي ﷺ: القاسم ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر وولد بعد النبوة ومات صغيرًا ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم بمكة ثم مات عبد الله.



س: هل المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة شيء واحد، أو أنهم ثلاثة أصناف؟

ج: قال عدد من العلماء: إنهم صنف واحدٌ وكلهم أهل نفاق.

وقال آخرون: كلهم أهل نفاق لكن منهم الذي في قلبه شك وارتياب في الإيمان، ومنهم الذي يزني ويتتبع الزنا، ومنهم الذي يُرجف في المدينة بالأكاذيب والأباطيل.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: (﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ الآية أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبي رزين قال: (ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ قال: هم شيء واحد يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء والواو مقحمة كما قال:

إلـى الملـك القـرم وابـن الهمـام وليـث الكتيبـة في المـزدحم

أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة وقد مضى في البقرة وقيل : كان منهم قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة وقوم يشككون المسلمين.



س: قوله تعالى: (﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾ ينتهون عن ماذا؟

ج: ينتهون عن تشكيك المسلمين في دينهم، وعن تشكيكهم في نصرة الله لنبيهم وعن كل ما يقتضيه النفاق.



س: ما المرض الذي في قلوب القوم المذكورين؟

ج: قال كثير من أهل العلم، إنه حبهم للزنا وقضاء الشهوات المحرمة وممارستهم الزنا، وقيل: ضعف في الإيمان.



س: ماذا يصنع هؤلاء المرجفون في المدينة؟

ج: ينشرون الشائعات الكاذبة والأباطيل وما يخوِّفون به أهل الإسلام، فيقولون: جاء العدو وسيتأصلكم ... ونحو ذلك من الأراجيف.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والإرجاف : إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به وقيل : تحريك القلوب يقال : رجفت الأرض أي تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان : الاضطراب الشديد والرجاف : البحر سمي به لاضطرابه قال الشاعر :

المطعمـون اللحـم كـل عشـية حتـى تغيـب الشـمس في الرجـاف

والإرجاف: واحد أراجيف الأخبار وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه

قال الشاعر :

فإنـــا وإن عيرتمونـــا بقتلـــه وأرجــف بالإســلام بــاغ وحاسـد

وقال آخر :

أبـالأراجيف يـا ابـن اللـؤم توعـدني وفي الأراجيـف خلـت اللـؤم والخـور

فالإرجاف حرام لأن فيه إذاية فدلت الآية على تحريم الإيذاء بالإرجاف.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾؟

أجاب القرطبي على ذلك بقوله:

ج: المعنى – والله أعلم – لنسلطنك عليهم لتستأصلنهم بالقتل.



س: لا يتسلط قوم على قوم إلا بإذن الله، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

١ – قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾.

٢ – قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

٣ – قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح: ٢٤].

٤ – قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].



(٣١٥) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم وتشكيكهم لأهل الإيمان وتشكيكهم في الدين، وفي نصرة الله لنبيه ﷺ وكذا لئن لم ينته أهل الإرجاف الذين ينشرون الشائعات الكاذبة في المدينة للتفتيت في عضد المسلمين ولإضعاف شوكتهم، وكذلك لئن لم ينته هؤلاء الذين يمارسون الفواحش والزنا ويحبون ذلك، ويتتبعون ذلك لنسلطنك عليهم يا رسول الله فتقتلهم قتلًا وتأسرهم أسرًا ثم لا يجاورونك في المدينة إلا زمنًا قليلًا ويخرجون منها، وقيل: ثم لا يجاورونك فيها إلا وهم قليلو العدد مستضعفون، ثم إنهم مطردون من رحمة الله مبعدون عنها.

أما قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ فمعناه: في أي مكان كان إذا أظهروا النفاق والإرجاف والفواحش أخذوا حينئذٍ وقتلوا تقتيلًا وتلك هي سنة الله، والعادة في الأمم المتقدمة المنافق فيها، والمرجف، والزناة، والمفسدون في الأرض فيؤخذون ويقتلون تقتيلًا، فهي سنة لا تتبدل، وطريقة لا تتغير.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون الكفر ويظهرون الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: شهوة الزنا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...﴾ الآية، قال: هؤلاء صنف من المنافقين ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أصحاب الزنا، قال: أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا. وقرأ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ قال: والمنافقون أصناف عشرة في براءة، قال: فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء.

وقوله: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يقول: وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل.

وكان إرجافهم فيما ذكر كالذي:

حدثني بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة[1] قوله: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ...﴾ الآية، الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية قوله: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...﴾الآية، فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هم أهل النفاق أيضًا الذين يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين.

وقوله: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ يقول: لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بالمدينة.

---

(١) وإسناده حسن.

قال الطبري:

وقولــه: ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾ يقــول تعــالى ذكــره: مطرودين منفيين ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ يقول: حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ ﴾ على كل حال ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾ إذا هم أظهروا النفاق. ونصب قوله: ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ ﴾ على الشتم، وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين، فيكون قوله: ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ ﴾ مردودًا على القليل؛ فيكون معناه: ثم لا يجاورونك فيها إلا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ ﴾ هؤلاء المنافقون الذين في مدينة رسول الله ﷺ معه من ضرباء هؤلاء المنافقين، إذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلًا ويلعنهم لعنًا كثيرًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ ... ﴾ الآية، يقول: هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرًا، فأيقن أنه غير مغير في هؤلاء المنافقين سنته.

(٣١٨) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ﴾ حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين، ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ أي: وجدوا، ﴿أُخِذُوا۟﴾ لذلتهم وقلتهم، ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾.

ثم قال: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: هذه سنته في المنافقين إذا تمرَّدُوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: وسنة الله في ذلك لا تُبدَّل ولا تغير.



(٣١٩) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا (٦٤) خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا (٦٥) يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ
أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ (٦٦) وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا
ٱلسَّبِيلَا۠ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا (٦٨)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ
ٱللَّهِ وَجِيهٗا (٦٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ
لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا
(٧١) إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا
وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا (٧٣)﴾ [الأحزاب: ٦٣-٧٣]

(٣٢٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿ٱلسَّاعَةِ -لَعَنَ -سَعِيرًا -وَلِيًّا -نَصِيرًا -سَادَتَنَا -وَكُبَرَآءَنَا -فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلسَّاعَةِ﴾	يوم القيامة
﴿لَعَنَ﴾	طرد وأبعد (من رحمته)
﴿سَعِيرًا﴾	نارًا مستعرةً
﴿وَلِيًّا﴾	شخصًا يتولاهم
﴿نَصِيرًا﴾	شخصًا ينصرهم
﴿سَادَتَنَا﴾	رؤساءنا في الضلال
﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾	علية القوم ووجهاؤهم
﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾	فصرفونا عن طريق الحق والصواب



س: اذكر بعض الأدلة على اقتراب قيام الساعة؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقوله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»[١].

(١) البخاري (٦٥٠٤، ٦٥٠٥)، ومسلم (٢٩٥١).

(٣٢١) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الأدلة على أن قيام الساعة لا يعلم موعده إلا الله؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾ [النازعات: ٤٢-٤٤].

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

[الأعراف: ١٨٧]

وقوله ﷺ لما سأله جبريل عنها: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ**»[1].

وثمَّ أدلة كثيرة في هذا الصدد. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: يسألك الناس يا رسول الله عن وقت قيام الساعة، عن يوم القيامة، يوم الجزاء والحساب، فقل لهؤلاء السائلين إن العلم بوقت قيامها عند الله، وما يُعلمك يا رسول الله، وما يعلمك أيها السائل لعل وقت قيام الساعة يكون قريبًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ متى هي قائمة؟ قل

(١) مسلم (حديث ٨).

لهم: إنما علم الساعة ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ لا يعلم وقت قيامها غيره ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبًا. قد قرب وقت قيامها، ودنا حين مجيئها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ هؤلاء المؤذون لرسول الله ﷺ لما توعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة استبعادًا وتكذيبًا موهمين أنها لا تكون ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي أجبهم عن سؤالهم وقل علمها عند الله وليس في إخفاء الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله جل وعز ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي ما يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ أي في زمان قريب وقال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار إلى السبابة والوسطى خرجه أهل الصحيح وقيل: أي ليست الساعة تكون قريبًا فحذف هاء التأنيث ذهابًا بالساعة إلى اليوم كقوله: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦] ولم يقل قريبة ذهابًا بالرحمة إلى العفو إذ ليس تأنيثها أصليًّا وقد مضى هذا مستوفى وقيل: إنما أخفى وقت الساعة ليكون العبد مستعدًّا لها في كل وقت.



س: من السائلون عن الساعة؟

ج: عموم الناس سألوا عن الساعة، فالمؤمنون سألوا عنها للاستعداد لها.

والكفار سألوا عنها استبعادًا واستنكارًا لوقوعها.

وجبريل سأل عنها لتعليم الناس أن أمرها موكول إلى الله. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن الله أبعد الكافرين عن رحمته وطردهم وأعدَّ لهم في الآخرة نارًا تتقد وتستعر، دائمو المكث فيها لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها، ولا يجدون وليًّا يتولاهم ولا نصيرًا ينصرهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ يقول: وأعد لهم في الآخرة نارًا تتقد وتتسعر ليصليهموها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ يقول: ماكثين في السعير أبدًا إلى غير نهاية ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يتولاهم، فيستنقذهم من السعير التي أصلاهموها الله ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم، فينجيهم من عقاب الله إياهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أبعدهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: في الدار الآخرة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: ماكثين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها، ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي طردهم وأبعدهم واللعن: الطرد والإبعاد عن الرحمة وقد مضى في البقرة بيانه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ فأنث السعير لأنها بمعنى النار ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم– مرتبطٌ بما قبله فالمعنى، ولا يجدون وليًّا يتولاهم ولا نصيرًا ينصرهم يوم يكونون في النار، ووجوههم تتقلب فيها حالًا بعد حالٍ، وهم يقولون: يا ليتنا أطعنا الله، وأطعنا الرسول.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لا يجد هؤلاء الكافرون وليًّا ولا نصيرًا في يوم تقلب وجوههم في النار حالًا بعد حال ﴿يَقُولُونَ﴾ وتلك حالهم في النار ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ﴾ في الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه، فكنا مع أهل الجنة في الجنة، يا لها حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، يقولون وهم كذلك، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول، كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢]، وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله، وأطاعوا الرسول في الدنيا.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم-: أن أهل الكفر يقولون وهم في النار: يا ربنا إنا في الدنيا أطعنا سادتنا وهم كبراؤنا في الشرك، وكبراؤنا في المراكز والمناصب والوجاهات فصرفونا عن طريق الحق وأبعدونا عن الصواب، فيا ربنا، ولكونهم أضلونا وصرفونا فضاعف يا ربنا عليهم العذاب، عذابًا لكفرهم، وعذابًا لإغوائهم لنا، واطردهم يا ربنا عن رحمتك طردًا بعيدًا بعيدًا. واخزهم يا ربنا خزيًا كبيرًا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ يقول: فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يقول: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ يقول: واخزهم خزيًا كبيرًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾. وقال طاوس: سادتنا: يعني الأشراف، وكبراءنا: يعني العلماء. رواه ابن أبي حاتم.

أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: بكفرهم وإغوائهم إيانا، ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾. قرأ بعض القراء بالباء الموحدة. وقرأ آخرون بالثاء المثلثة، وهما قريبا

المعنى، كما في حديث عبد الله بن عمرو: أن أبا بكر قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «**قل: اللهم، إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**». أخرجاه في الصحيحين(١)، يُروى «كبيرًا» و«كثيرًا»، وكلاهما بمعنى صحيح.

وقال القرطبي $:

«إنا أطعنا ساداتنا» بكسر التاء، جمع سادة. وكان في هذا زجر عن التقليد. والسادة جمع السيد، وهو فعلة مثل كتبة وفجرة. وساداتنا جمع الجمع والسادة والكبراء بمعنى. وقال قتادة: هم المطعمون في غزوة بدر، والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة، أي: أطعناهم في معصيتك وما دعونا إليه ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾ أي عن السبيل وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب والإضلال لا يتعدى إلى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله: ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الفرقان: ٢٩].



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.



(١) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

س: ما الأذى الذي آذى به القوم موسى عليه السلام ومن هم الذين آذوا موسى عليه السلام؟

ج: لا شك أن موسى عليه السلام أوذي من قومٍ كثيرين فآذاه فرعون وقومه أشد الأذى واتهموه بجملة من الاتهامات، وهذا مبسوط في كتاب الله عز وجل.

وكذا آذاه قومه من بني إسرائيل ولكن أكثر المفسرين على أن الذين عناهم الله بقوله: ﴿لَاتَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل، وتعددت الأقوال في ذلك، ومن هذه الأقوال أنهم عابوه بشيءٍ زعموا أنه في جسمه، فقالوا: إنه (آدر) أي: عظيم الخصية، وذلك لكونه كان حييًّا لا يغتسل عريانًا معهم، فبرأه الله مما قالوا، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ومن ذلك أيضًا أنهم اتهموه بأنه قتل أخاه هارون عليه السلام فبرأه الله مما قالوا، إلى غير ذلك من صور الأذى الذي لحق بموسى عليه السلام، ومن ثَمَّ فإن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يتصبر بذكر موسى عليه السلام وما حلَّ به ففي الصحيح[1] من حَدِيثِ عَبْدَ اللهِ رضي الله عنه (وهو ابن مسعود) قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: **«يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»**.

أما عن الوارد في الأذى الذي لحق بموسى عليه السلام فمنه كما أشرت قريبًا ما أورده البخاري في صحيحه[2] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ**

(١) البخاري (٣٤٠٥).
(٢) البخاري (٣٤٠٤).

(٣٢٨) أحمر
أسود

مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ ﷻ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ۝٦٩﴾.

وأخرج البخاري[2] أيضًا من طريق عَوْف عَنْ الْحَسَنِ وَمُحَمَّدٍ وَخِلَاسٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ۝٦٩﴾.

قلت (مصطفى): والذي يبدو لي ويظهر -والله تعالى أعلم- أن قوله وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ...﴾ ليس من قول النبي ﷺ إنما هو من قول أبي هريرة، وكأن أبا هريرة ﷺ ربط بين الآية والحديث ففسر الآية بالحديث وكذا روي عن غيره من الصحابة نحوه على ما في بعض أسانيد هامة فقال، وكذا الروايات التي أوردها الحافظ ابن كثير ﷺ كقوله ... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ...﴾، قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا**...»، هذه

---

(١) على ما يبدو لي أن هذا من قول أبي هريرة ﷺ.
(٢) البخاري (٤٧٩٩).

الرواية مردها على الأخرى التي مفادها أن أبا هريرة هو الذي ربط بين الآية والحديث والله أعلم.

ولذا فإن الطبري رحمه الله تعالى بعد أورد طرقًا لحديث أبي هريرة ﵁ قال: وقال آخرون بل كان أذاهم إياه ادعاءهم عليه قتل هارون أخيه، وأورد ذلك من طريق عباد[1] قال: ثنا سفيان بن حبيب[2] عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب ﵁ في قول الله: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ ...﴾ الآية، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حبًّا لنا منك وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم؛ فجعله الله أصم أبكم.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص. وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا.

قلت (مصطفى): فلو كان مقطوعًا عند الطبري ﵀ أن رسول الله ﷺ فسَّر الآية بالذي رواه عنه أبو هريرة ﵁ لجزم به الطبري ولجعله قولًا واحدًا مجزومًا به، وإن ألحق به غيره.

---

(١) هو عباد بن العوام، كما أوضحته رواية ابن أبي حاتم التي ذكرها ابن كثير في تفسيره.

(٢) يبدو أن هنا تصحيف ففي رواية ابن أبي حاتم، سفيان بن حسين.

ولكن لما قال الطبري: ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا... والله أعلم.



س: ما صورة الوجاهة التي قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾؟

ج: من هذه الوجاهة التي لموسى عليه السلام عند الله أنه عز وجل اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه، ومنها: أن الله عز وجل يقبل شفاعته ودعاءه، ومنها: أن الله عز وجل شقَّ البحر له أمام قومه فرأوا كرامات عظيمة بأعينهم حدثت لنبي الله موسى عليه السلام.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ٦٩﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: يا أهل الإيمان بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما آذت بنو إسرائيل موسى عليه السلام، ولكن وقَّروه وعظِّموه، فإن الله عز وجل برأ موسى عليه السلام مما آذوه به، وكانت لموسى عليه السلام وجاهة عند الله عز وجل فمثله لا ينبغي أن يؤذى فكذا نبيكم صلى الله عليه وسلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذبًا وباطلًا ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ يقول:

وكان موسى عند الله مشفعًا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي: له وجاهة وجاه عند ربه ﷻ.

قال الحسن البصري: كان مستجابَ الدعوة عند الله. وقال غيره من السلف: لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه. ولكن منع الرؤية لما يشاء الله ﷻ.

وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة: أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤاله، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣].



س: ما المراد بالقول السديد في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾؟

ج: قيل: المراد بالقول السديد: قول لا إله إلا الله.

* **وقيل:** المراد بالقول السديد: القول الحق الصواب.

* **وقيل:** عموم ما يُراد به وجه الله من الأقوال.

* **وقيل:** هو الإصلاح بين المتشاجرين.

والحاصل أن القول السديد هو ما يراد به وجه الله من الأقوال، وهذا يعمُّ الخيرات كلها.



س: هل هناك من كان يؤذي رسول الله حتى قيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾؟

ج: نعم كان هناك أهل نفاق يؤذون رسول الله ﷺ، ويلمزونه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].

(٣٣٢) أحمر
أسود

وكذا قد أوذي رسول الله ﷺ في حادث الإفك.

وأوذي رسول الله ﷺ لما تزوج بزينب بنت جحش.

وأوذي رسول الله بصور شتى من أهل الكفر والنفاق.



س: هل يجب على خطيب الجمعة أن يذكر هذه الآية الكريمة في خطبة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ...﴾؟

ج: لا يجب ذلك إذ لم يرد أمرٌ بذلك.



س: ما الرابط بين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾، وقوله: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؟

ج: وجه الربط بين ذلك أن القول السديد سببٌ في صلاح الأعمال.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم وعد جل وعز بأنه يجازي على القول السداد بإصلاح الأعمال وغفران الذنوب وحسبك بذلك درجة ورفعة منزلة ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي فيما أمر به ونهى عنه ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: يا أيها الذين آمنوا اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، واحذروا غضب الله وعقابه، وأن ينزل بكم بأسه فقولوا قولًا حقًّا وصوابًا دائمًا وأبدًا، وقولوا في رسول الله، وفي أهل الإيمان ما هم له أهل

من الحق والصدق، وكل ما يقربكم من الله فإن هذا القول الحق الصواب الذي يبتغى به وجه الله سبب عظيمٌ من أسباب التوفيق وإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب؟ أما القول الأعوج غير المستقيم فإنه سببٌ عظيم من أسباب فساد العمل، وسبب من أسباب ارتكاب الذنوب والآثام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اتقوا الله أن تعصوه، فتستحقوا بذلك عقوبته.

وقوله: ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ يقول: قولوا في رسول الله والمؤمنين قولًا قاصدًا غير جائر، حقًّا غير باطل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ أي: عدلًا قال قتادة: يعني به في منطقه وفي عمله كله، والسديد الصدق.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال، فيصلح أعمالكم ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ يقول: ويعف لكم عن ذنوبكم، فلا يعاقبكم عليها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيعمل بما أمره به وينتهي عما نهاه ويقل السديد ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ يقول فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة مَنْ كأنه يراه، وأن يقولوا ﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ أي: مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك، أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال

الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية. وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها.

ثم قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾: وذلك أنه يجار من النار، ويصير إلى النعيم المقيم.



س: ما المراد بالأمانة وعرضها على السموات والأرض والجبال؟

ج: المراد – والله أعلم – الفرائض والأوامر والنواهي، والسمع والطاعة في ذلك.

والمعنى: أن الله ﷻ عرض على السموات والأرض والجبال أن يكلفهن، يأمرهن بما يشاء وينهاهن عما يشاء، على أن يثيبهن إذا أطعن، ويُعذبهن إذا عصين، أي: أنه ﷻ يفرض عليهن فرائض إن قمن بها يثبن وإن لم يقمن بها يُعذبن فاخترت السموات والأرض والجبال ألا تكلف خشية أن تعذب.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمانة بعض ما ذُكر، فقالوا:

منها كون المرأة مؤتمنة على فرجها، فقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن مسروق عن أبي بن كعب قال: من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها.

وقال بعض العلماء: إن الأمانة المراد بها الأمانات التي يحفظها الناس بعضهم لبعض.

وقال آخرون: إنها ائتمان آدم عليه السلام ابنه قابيل على أهله وإخوته فخان وقتل أخاه.

وقال آخرون: الأمانة الغسل من الجنابة إلى آخر تلك الأقوال.

والصواب، والله أعلم أن المعنى الأول الذي قدمناه، وهو أن الأمانة هي

عموم التكاليف والسمع والطاعة، والقيامة بالتكاليف، والله أعلم.

قال القرطبي $:

قال العلماء: معلوم أن الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة على القول الأخير وهذا العرض عرض تخيير لا إلزام والعرض على الإنسان إلزام وقال القفال وغيره : العرض في هذه الآية ضرب مثل أي أن السموات والأرض على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي أن التكليف أمر حقه أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال وقد كلفه الإنسان وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر : ٢١] ثم قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر : ٢١].



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ بالذي فيه الحظ له.

وأورد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد.

وبإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ قال: عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ قال: إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين، ويجعل لهن ثوابًا وعقابًا، ويستأمنهن على الدين، فقلن: لا نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثوابًا ولا عقابًا.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ يعني به: الدين والفرائض والحدود ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ قيل له: أتحملها؟ قال: نعم، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم، قال الله: إنه كان ظلومًا جهولًا عن حقها.

وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس.

قال الطبري $:

وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه.

ثم قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا.

(٣٣٧) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

قال غير واحد: إن الأمانة هي الفرائض.

وقال آخرون: هي الطاعة.

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق: قال أبي بن كعب: من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها.

وقال قتادة: الأمانة: الدين والفرائض والحدود.

وقال بعضهم: الغسل من الجنابة.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم قال: الأمانة ثلاثة: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة.

وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عُوقِبَ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا مَنْ وفق اللهُ، وبالله المستعان.



س: وضح المراد بقوله تعالى في شأن الإنسان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الإنسان لما قبل تحمل الأمانة، وأنه يعاقب إذا خان، ويثاب إذا أداها وقام بها كان ظلومًا لنفسه جهولًا بربه، وجهولًا بحقيقة أمره، وجهولًا بما تؤول إليه الأمور.

أورد الطبري بإسنادٍ عن قتادة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: ظلومًا لها يعني: للأمانة جهولًا عن حقها.

وأورد بإسناد حسن عن السدي قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يعني: قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله.

قال القرطبي $:

قال الحسن: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ المراد الكافر والمنافق ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ بربه، فيكون على هذا الجواب مجازًا مثل: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وفيه جواب آخر على أن يكون حقيقة أنه عرض على السموات والأرض والجبال الأمانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب أي أظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها وأشفقت وقالت: لا أبتغي ثوابًا ولا عقابًا وكل يقول: هذا أمر لا نطيقه ونحن لك سامعون ومطيعون فيما أمرن به وسخرن له قاله الحسن وغيره.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ حمّل الإنسان الأمانة لما أعلن الإنسان عن قبوله لحملها فظهر بذلك خائن الأمانة من مشرك ومنافق، فالمشرك جحد كل ما افترضه الله عليه، ورفضه، ولم يُقرّ حتى بالشهادة لله بالوحدانية، وأما المنافق فأظهر ما لا يبطنه ونطق موافقة باللسان وخالف قلبه ما يقول بلسانه، فمن ثم أحل الله بهؤلاء وأولئك العذاب، أما أهل الإيمان فقد رُدُّوا إلى الإيمان ومن ثم إلى طاعة الله ورحمة الله فقبل الله رجوعهم وتفضل عليهم برحمته لهم وكان الله ولا يزال غفورًا للمستغفرين.

غفورًا لأهل الإيمان والتوحيد، رحيم بهم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها

الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستسرون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان ﴿وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ يرجع بهم إلى طاعته وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدوها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها ﴿رَّحِيمَۢا﴾ أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ هذان اللذان خاناها ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ هذان اللذان أدَّياها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمَۢا﴾.

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ أي: إنما حمل ابن آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله، ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله، ﷻ، ومخالفة رسله، ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ أي: وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمَۢا﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ﴾ اللام في ليعذب متعلقة بـ حمل أي حملها ليعذب العاصي ويثيب المطيع فهي لام التعليل لأن العذاب نتيجة حمل الأمانة وقيل بـ(عَرَضۡنَا) أي عرضنا الأمانة على الجميع ثم قلدناها الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله وإيمان المؤمن ليثيبه الله.

(٥٠٥) أحمر
أسود

تفسير سورة سبأ

قال الله تعالى:

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا
ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ
مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ
ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾) [سبأ: ١-٦].

(٥٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿يَلِجُ - يَعْرُجُ - لَا يَعْزُبُ - مِثْقَالُ - سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا - مُعَٰجِزِينَ - رِّجْزٍ - أَلِيمٌ - صِرَٰطِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(يَلِجُ)	يدخل ويغيب
(يَعْرُجُ)	يصعد
(لَا يَعْزُبُ)	لا يغيب
(مِثْقَالُ)	وزن
(سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا)	اجتهدوا لإبطال حججنا وآياتنا
(مُعَٰجِزِينَ)	مُغالبين - يظنون أنهم يعجزوننا ولا نستطيع الإتيان بهم
(رِّجْزٍ)	الرجز - أسوأ العذاب - العذاب السيئ
(أَلِيمٌ)	مؤلم موجع
(صِرَٰطِ)	طريق



س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾)؟

ج: المعنى - والله أعلم - الحمد الكامل لله ﷻ، فله الحمد كله وله الشكر كله إذ له ما في السموات وما في الأرض لا شريك له في ملكه ولا منازع

له في أمره، فله الحمد على ذلك فلا ننزل حاجاتنا إلا به ﷻ ولا يكشف الكروب إلا هو ولا يأتي بالخير إلا هو سبحانه وتعالى، وكذا، وكما أن له الحمد الكامل في الدنيا، فله الحمد أيضًا في الآخرة كما يقول أهل الإيمان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، وكما يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ...﴾ [فاطر: ٣٤].

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصًا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ حكيم في أمره، خبيرٌ بخلقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة: أن له الحمدَ المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في

جميع ذلك، كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه، كما قال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الليل: ١٣].

ثم قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾، فهو المعبود أبدًا، المحمود على طول المدى. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره، ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ قيل: هو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر ٧٤] وقيل: هو قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠] فهو المحمود في الآخرة كما أنه المحمود في الدنيا وهو المالك للآخرة كما أنه المالك للأولى ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ بأمر خلقه.



س: اذكر بعض ما يستوجب الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

ج: هو نفسه سبحانه وتعالى محمود على كل حال، وكل النعم التي نحن فيها إنما هي من الله ﷻ.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

وكما قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨].

ومن نعمه علينا إنزاله القرآن على نبينا محمد ﷺ وهدايتنا للإسلام.

(٥٠٩) أحمر
أسود

ومما يستوجب الحمد كونه مالك أمر السموات والأرض فهي ملك له فلا نلتجئ لغيره ولا نرجو سواه فهو المعطي الوهاب فلا تتشعب بنا السبل، ولا تتفرق بنا الطرق، فكل ما نريده نسأله ربنا سبحانه.

وكذا فهو المحمود في الآخرة، فالأمر هناك أمره، والملك ملكه، ولا منازع ينازع، ولا شريك يعارض، وهو الرحمن الرحيم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ يعلم كل شيء، ومن علمه أنه يعلم ما يدخل في الأرض ويغيب فيها من بذور وأموات وغير ذلك، وكذا يعلم ما يخرج منها من نبات وكنوز وبراكين ودواب وغير ذلك، وكذا يعلم ما ينزل من السماء من قطرٍ (غيث)، ومن ملك ومن أمرٍ ومن نهي، وغير ذلك.

وأيضًا يعلم ما يعرج في السماء وما يصعد فيها من عمل ومن قول وأرواحٍ وغير ذلك.

وهو الرحيم بعباده الغفور لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء. من قولهم: ولجت في كذا: إذا دخلت فيه، كما قال الشاعر:

رأيت القوافي يتلجن موالجا ... تضايق عنها أن تولجها الإبر

(٥١٠) أحمر
أسود

يعني بقوله: «يتلجن موالجا»: يدخلن مداخل ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يقول: وما يخرج من الأرض ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يعني: وما يصعد في السماء، وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن، وهو الرحيم الغفور، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مالك عن الزهري: خبير بخلقه، حكيم بأمره؛ ولهذا قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك: عدده وكيفيته وصفاته، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من قطر ورزق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الأعمال الصالحة وغير ذلك، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ أي: الرحيم بعباده فلا يعاجل عُصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ما يدخل فيها من قطر وغيره كما قال: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ من الكنوز والدفائن والأموات وماهي له كفات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والمقادير والبركات وقرأ علي بن أبي طالب «**وما ننزل**» بالنون والتشديد ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمال العباد قاله الحسن وغيره ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢﴾.



س: أمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يُقسم بربِّه على أن الساعة ستأتي، وذلك في

ثلاث مواطن من الكتاب العزيز. بيِّنها.

ج: أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير إذ قال:

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لَمَّا أنكره مَنْ أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يونس:٥٣]، والثانية هذه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾، والثالثة في التغابن: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن:٧]، فقوله: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الكفر قالوا منكرين البعث، ومكذبين رسول الله ﷺ قالوا: لا تأتينا الساعة، أي ليس هناك بعث، ولا ثواب ولا عقاب، فأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يُقسم لهم بربِّه على وقوعها، إذ الله قال: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾، وأما عن موعد وقوعها فلا يعلمه إلا هو، فهو سبحانه لا يغيب عنه ولا يخفى وزن ذرةٍ من أي شيء كان في السموات أو في الأرض، ولا أصغر من وزن الذرة ولا أكبر والله محيط به علمًا، ثم هو مثبت

في كتاب موضح مظهر للأشياء لا يعلمه إلا هو.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذيبًا لخبرك، قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسمًا به لتأتينكم الساعة، ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه، وتمجيدها فقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾.

ويعني جل ثناؤه بقوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾ لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له.

وقوله: ﴿مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ يعني: زنة ذرة في السماوات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره: لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، أين كان في السماوات ولا في الأرض ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ﴿وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ منه ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ يقول: هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال مجاهد وقتادة: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾ لا يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥﴾.

ج: الآيتان - والله تعالى أعلم - مرتبطتان في معنيهما بالآية التي تقدمتهما فالمعنى أن الساعة ستأتي، ليجزي الله ﷻ المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته، فالذين صدقوا المرسلين، وآمنوا بما أنزل الله على رسله وأتبعوا ذلك وصاحبوه بصالح الأعمال لهم مغفرةٌ لذنوبهم ورزق كريم جزاء صالح أعمالهم، وهذا الرزق الكريم هو الجنة.

وأما الذين اجتهدوا للصد عن سبيل الله ولإبطال الآيات والحجج يظنون أنهم سيفوتوننا ويهربون منا ونعجز عنهم فأولئك لهم عذاب شديد مؤلم موجع من أسوأ العذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب المبين كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ﴿وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ يقول: وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ في الجنة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب ليجزي المؤمنين ما وصف

وليجزي الذين سعوا في آياتنا معاجزين، يقول: وكي يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاونين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ﴾ يقول: هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم، ويعني بالأليم: الموجع.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: لا يعجزون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾ قال: الرجز: سوء العذاب، الأليم: الموجع.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ قال: جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها، قال: وهم المشركون، وقرأ ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: ٢٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾ أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [ص:٢٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي في إبطال أدلتنا والتكذيب بآياتنا

(مُعَٰجِزِينَ) مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا وأن الله لا يقدر على بعثهم في الآخرة وظنوا أنا نهملهم فهؤلاء (لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾).



س: قوله تعالى: (وَيَرَى) ما معناها؟

ج: الظاهر أن معناها هنا: ويعلم، ويوقن.



س: من الذين أوتوا العلم الذين عناهم الله بقوله: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ...)؟

ج: لأهل العلم أقوال هاهنا:

أحدهما: أنهم أهل الكتاب الذين آمنوا وأسلموا كعبد الله بن سلام وغيره.

الثاني: أنهم أصحاب رسول الله □.

الثالث: أنهم عموم من آتاهم الله علمًا بكتابه وبسنة رسوله □.



س: وضح وجه الواو في قوله: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ...).

ج: في ذلك وجوه للعلماء:

أحدها: أن قوله: (وَيَرَى) معطوف على (لِيَجۡزِيَ) فالمعنى - والله أعلم - قل: بلى وربي لتأتينكم الساعة ليجزي الذي آمنوا وعملوا الصالحات

بالقسط.

... وليعلم الذين أوتوا العلم أن القرآن حقٌّ بما فيه من وعد ووعيد وثواب وعقاب..

الثاني: أنها للمقابلة، والمعنى، وكما أن أهل الكفر ينكرون البعث ويقولون لا تأتينا الساعة، ففي مقابلهم أهل العلم يعلمون أن الساعة حق.

وستقوم الساعة حتى يتأكد لهم ما أُخبروا به.

الثالث: أن الذين أوتوا العلم في الدنيا يعلمون - وقبل مجيء الساعة - أن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، فهذا ثناءٌ عليهم.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم، وليرى الذين أوتوا العلم، فيرى في موضع نصب عطفًا به على قوله: يجزي في قوله: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان، فقال تعالى ذكره: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق.

وقيل: عنى بالذين أوتوا العلم: أصحاب رسول الله ﷺ.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ قال: أصحاب محمد.

وقوله: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ يقول: ويرشد من اتبعه وعمل

بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه، فأياديه عندهم ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولــه: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾. هـذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذٍ عين اليقين، ويقولون يومئذٍ أيضًا: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ويقال أيضًا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس:٥٢]، ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم:٥٦]، ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾. العزيز هو: المنيع الجناب، الذي لا يُغالب ولا يُمَانع، بل قد قهر كل شيء، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه، وقدره، وهو المحمود في ذلك كله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر الذين سعوا في إبطال النبوة بين أن الذين أوتو العلم يرون القرآن حق قال مقاتل: الذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب وقال ابن عباس: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل جميع المسلمين وهو أصح لعمومه والرؤية بمعنى العلم وهو في موضع نصب عطفًا على ليجزي أي ليجزي وليرى قاله الزجاج والفراء وفيه نظر؛ لأن قوله: ﴿ لِّيَجْزِىَ ﴾ متعلق بقوله: لتأتينكم الساعة ولا يقال: لتأتينكم الساعة ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق فإنهم يرون

(٥١٨) أحمر
أسود

القرآن حقًّا وإن لم تأتيهم الساعة والصحيح أنه رفع على الاستئناف ذكره القشيري.

قلت: وإذا كان ليجزي متعلقًا بمعنى أثبت ذلك في كتاب مبين فيحسن عطف ويرى عليه أي وأثبت أيضًا ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق ويجوز أن يكون مستأنفًا.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٦﴾ أي يهدي القرآن إلى طريق الإسلام الذي هو دين الله ودل بقوله: ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ على أنه لا يغالب وبقوله: ﴿ٱلۡحَمِيدِ ۝٦﴾ على أنه لايليق به صفة العجز.



(٥١٩) أحمر
أسود

سبأ

قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي
خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩ ﴾ [سبأ: ٧-٩].

(٥٢٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿نَدُلُّكُمْ - مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ - خَلْقٍ جَدِيدٍ - جِنَّةٌ - كِسَفًا - مُنِيبٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(نَدُلُّكُمْ)	نُخبركم
(مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)	مُتم وتفرقت أجسادكم بعد مصيركم ترابًا
(خَلْقٍ جَدِيدٍ)	أحياء بعد الموت
(جِنَّةٌ)	جنون
(كِسَفًا)	قطعًا من السماء
(مُنِيبٍ)	رجّاع - تواب



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

ج: حاصل القول في الآيات الكريمة، أن أهل الكفر قال بعضهم لبعض على سبيل السخرية والاستهزاء برسول الله ﷺ، واستبعاد وقوع يوم القيامة قالوا لبعضهم: هل ندلكم على رجلٍ غريب القول والشأن يخبركم أنكم إذا متم وصرتم ترابًا وتفرقت أجسادكم في كل مكان أنكم ستبعثون خلقًا جديدًا؟ أهذا شخص متقولٌ على الله أم أنه مجنون؟! فلا يخلو شأنه من أمرين إما أن يكون كذابًا على الله أو أنه مجنون.

فـدافع الله ﷻ عـن نبيـه ﷺ بقولـه: (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨)، أي أن هذا الرسول الكريم ليس بكذاب على الله، وليس بمجنون بل أهل الكفر متمادون في كفرهم وتكذيبهم وسيؤول ذلك بهم إلى العذاب، فضلًا عما هم فيه من البعد الواضح عن الحق، والانحراف عنه.

وبنحو ذلك قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد ﷺ متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض: (هَلۡ نَدُلُّكُمۡ) أيها الناس (عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) يقـول: يخـبركم أنكـم بعـد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتًا، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقًا جديدًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ) قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس (يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ) إذا أكلتكم الأرض وصرتم رفاتًا وعظامًا وقطعتكم السباع والطير (إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) ستحيون وتبعثون.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ...) إلى (خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) قال: يقول: (إِذَا مُزِّقۡتُمۡ) وإذا بليتم وكنتم عظامًا وترابًا ورفاتًا، ذلك (كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) قال: (ينبئكم إنكم) فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها ولكن ابتدأ بها ابتداء، لأن النبأ خبر وقول، فالكسر في إن لمعنى الحكاية في قوله: (يُنَبِّئُكُمۡ) دون لفظه، كأنه قيل: يقول لكم: (إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧).

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد

الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله ﷺ في وعده إياهم ذلك: أفترى هذا الذي يعدنا أنَّا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذبًا؛ فتخلق عليه بذلك باطلًا من القول وتخرص عليه قول الزور ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ يقول: أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قالوا تكذيبًا ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ وإما أن يكون مجنونًا ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ...﴾ الآية.

قال الطبري:

وقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد ﷺ وظنوا به من أنه افترى على الله كذبًا، أو أن به جنة، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق: ﴿إِنَّكُمۡ﴾ أي: بعد هذا الحال ﴿لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧﴾ أي: تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك، وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لُبّس عليه كما يُلَبَّس على المعتوه والمجنون؛ ولهذا قالوا: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ

(٥٢٣) أحمر
أسود

جِنَّةُۢ)؟ قال الله تعالى رادًّا عليهم: (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾) أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء، (فِي ٱلۡعَذَابِ) أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله، (وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾) من الحق في الدنيا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لما دخل ألف الاستفهام استغنيت عن ألف الوصل فحذفتها وكان فتح ألف الاستفهام فرقًا بينها وبين ألف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [مريم: ٧٨] مستوفي ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ هذا مردود على ما تقدم من قول المشركين، والمعنى: قال المشركون أفترى على الله كذبًا؟ والافتراء الاختراق أم به جنة؟ أي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم رد عليهم فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ أي: ليس الأمر كما قالوا بل هو أصدق الصادقين ومن ينكر البعث فهو غدا في العذاب واليوم في الضلال عن الصوب إذا صاروا إلى تعجيز الإله ونسبة الافتراء إلى من أيده الله بالمعجزات.



س: يدافع الله ﷻ عن أنبيائه وأوليائه. اذكر بعض الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى ردًّا على أهل الشرك إذ وصفوا رسول الله ﷺ بالافتراء أو الجنون (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾).

وقوله تعالى: (وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾) [القلم: ١-٢].

وقوله تعالى: (فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾...) [الطور: ٢٩].

إلى غير ذلك، وقد قدمنا سائر الأدلة في مواطنها بحمد الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أفلم يرَ هؤلاء المكذبون لرسلنا، المنكرون للبعث والحساب، أفلم يروا أنهم حيث كانوا، وحيث ذهبوا ففوقهم سمائي وتحتهم أرضي، وأنا عليهم قادر، إن شئت أسقطت عليهم قطعًا من السماء من فوق رؤوسهم تدمرهم، وإن شئت خسفت بهم الأرض، إن في ذلك لعبرة ودلالة لكل عبد رجَّاع إلى الله ﷻ.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد ﷺ: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم؛ فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرًا أن نأمر الأرض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليه قطعا، فإنا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم ﴾ قال:

ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسفنا بمن كان قبلهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قطعًا من السماء.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية: يقول: لدلالة لكل عبد منيب: يقول لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة، ورجع إلى معرفة توحيده والإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والإذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ والمنيب: المقبل التائب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال منبهًا لهم على قدرته في خلق السموات والأرض، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مظلة مُظلَّلة عليهم، والأرض تحتهم، كما قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾ [الذاريات:٤٧، ٤٨].

قال عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ قال: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو من بين يديك أو من خلفك، رأيت السماء والأرض.

وقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا.

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ قال مَعْمَر، عن قتادة: ﴿مُّنِيبٍ﴾: تائب.

وقال سفيان عن قتادة: المنيب: المقبل إلى الله ﷻ.

أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فَطِن لبيب رَجَّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن مَنْ قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١]، وقال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر: ٥٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أعلم الله تعالى أن الذين قدر على خلق السموات والأرض وما فيهن قادر على البعث وعلى تعجيل العقوبة لهم فاستدل بقدرته عليهم وأن السموات والأرض ملكه وأنهما محيطتان بهم من كل جانب فكيف يأمنون الخسف والكسف كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة.

وقرأ حمزة و الكسائي: (**إن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط**) بالياء في الثلاث أي إن يشاء الله أمر الأرض فتنخسف بهم أو السماء فتسقط عليهم كسفًا الباقون بالنون على التعظيم وقرأ السلمي و حفص (**كسفا**) بفتح السين، الباقون بالإسكان وقد تقدم بيانه في سبحان وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي في هذا الذي ذكرناه من قدرتنا لآية أي دلالة ظاهرة (لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩) أي: تائب رجاع إلى الله بقلبه وخَصَّ المنيب بالذكر؛ لأنه المنتفع بالفكرة في حُجج الله

وآياته.



(٥٢٨) أحمر
أسود

ذكر نبي الله داود وسليمان ث

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ
١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ١١ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ
ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ
مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ
كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ
١٣ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ
مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ
ٱلۡمُهِينِ ١٤ ﴾

[سبأ: ١٠-١٤]

(٥٢٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
(فَضۡلٗاۖ - أَوِّبِي - وَأَلَنَّا - سَٰبِغَٰتٖ - وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ - غُدُوُّهَا شَهۡرٞ - وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ - وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ - يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا - مَّحَٰرِيبَ - وَتَمَٰثِيلَ - وَجِفَانٖ - كَٱلۡجَوَابِ - وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ - ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ - مِنسَأَتَهُۥۖ - خَرَّ - تَبَيَّنَتِ - ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَضۡلٗاۖ)	شيئًا زائدًا عن الناس - زيادة
(أَوِّبِي)	سبِّحي معه - رجِّعي معه التسبيح
(وَأَلَنَّا)	جعلنا لينًا في يده
(سَٰبِغَٰتٖ)	دروع سابغة تغطي الجسم كله
(وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ)	اجعل الثقب على قدر المسمار وقد قال البعض: إن السرد هو المسمار نفسه وقال آخرون: إن السرد هو الحلق نفسها
(غُدُوُّهَا شَهۡرٞ)	ما تسيره (مسيرتها في الصباح - في الغداة) يعادل مسيرة الراكب لمدة شهر
(وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ)	ومسيرتها في الرواح (عند الرجوع مساء) تعدل مسيرة شهر للراكب
(وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ)	جعلناها سائلة، عين القطر هي عين النحاس، والمراد: جعلنا له النحاس مذابًا، أي: أذبناه له.
(يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا)	يحيد عن الأمر - لا يمتثل الأمر

(مَّحَٰرِيبَ)	الأبنية الجميلة الحسنة البهيجة، والمحراب أفضل شيء في المجالس - وقيل: القصور والمساجد
(وَتَمَٰثِيلَ)	ما يصور على صورة حيوان أو غيره
(وَجِفَانٖ)	جمع جفنة، وهي التي يُوضع فيها الطعام
(كَٱلۡجَوَابِ)	الجواب جمع جابية، وهي الحوض الذي يُجب إليه الماء
(وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ)	جمع قدر، والراسيات الثوابت التي لا تتحرك من عِظمها وضخامتها
(ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ)	قدموا شكرًا لله يا آل داود
(مِنسَأَتَهُۥۖ)	عصاه
(خَرَّ)	سقط (ميتًا)
(تَبَيَّنَتِ)	ظهر لها - اكتشفت
(ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ)	المُذل المخزي المُرهق



س: ما هذا الفضل الذي آتاه الله نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟

ج: لأهل العلم في تعيينه عدة أقوال، وكلها صحيحة، وكلها فضل، لخصها القرطبي بقوله:

(۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ) بَيَّنَ لمنكري نبوة محمد ﷺ أن إرسال الرسل

ليس أمرًا بدعًا بل أرسلنا الرسل وأيدناهم بالمعجزات وأحللنا بمن خالفهم العقاب (ءَاتَيْنَا) أعطينا (فَضْلًاۖ) أي أمرًا فضّلناه به على غيره واختلف في هذا الفضل على تسعة أقوال:

الأول: النبوة. **الثاني**: الزبور.

الثالث: العلم قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ) [النمل: ١٥].

الرابع: القوة قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ﴾ [ص: ١٧].

الخامس: تسخير الجبال والناس قال الله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾.

السادس: التوبة قال الله تعالى: (فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ) [ص: ٢٦].

السابع: الحكم بالعدل، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] الآية.

الثامنة: إلانة الحديد قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾ [سبأ: ١٠].

التاسع: حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن الصوت هبة من الله تعالى وتفضل منه وهو المراد بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١] على ما يأتي إن شاء الله تعالى وقال □ لأبي موسى: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**». قال العلماء: المزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سُمِّيت آلة الزمر مزمارًا.



س: كثيرًا ما يتبع إصلاح أمر الدنيا بالحث على إصلاح أمر الآخرة. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ).

نعقِّب أعمال الدنيا بأعمال الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي: يا من تريدون الحج، ولا تنسوا أمرًا آخر، وهو زاد الآخرة، وهو زاد التقوى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكما قال تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ) [الأعراف: ٢٦]، ثم قال: (وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ)، إلى غير ذلك من النصوص.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد مننا على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعطيناه ما لم نعطه غيره من معاصريه، فلقد تفضلنا عليه بأمور كثيرة زائدة على الناس، ومنها: الصوت الحسن وتسخير الجبال، الجبال تُسبح معه إذا سبح، فكان ذا صوت حسن جدًّا عليه صلاة الله وسلامه كما قال النبي ﷺ لأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود».

وأمرنا الجبال أن تسبح معه في مشهدٍ مهيبٍ ومنظرٍ عجيبٍ ومَسْمع لم يُسمع من قبل، وكذا الطير سخرناها أيضًا تسبح معه وتؤوب معه وترجع كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩﴾ [ص: ١٨-١٩]، وكذلك فقد امتننا عليه بأن جعلنا الحديد سهلاً ليّنًا في يديه يتصرف فيه كيف يشاء ويصنع به ما يريد من غير حاجة إلى طَرْقٍ ولا إلى

نار، ولا إلى غير ذلك، وأوحينا إليه وعلمناه أن يعمل الدروع السوابغ التي تقي سهام الأعداء وتُحفظ من ضرباتهم ونِبالهم وسيوفهم، كالقمصان الواقية التي يلبسها الملوك والرؤساء، ولكن الدروع التي كان يصنعها داود كانت سابغة تغطي الجسم كله، وقد قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨١] أي: لتمنعكم من عدوِّكم الذي يرميكم بسهامه ويضربكم بسيوفه وأوحينا إليه أن ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾، وقد قيل: إن السرد هو المسمار، وقيل: إنه الحلقة التي يدخل فيها المسمار، وعلى كُلٍّ فالمعنى: اجعل الثقب على قدر المسمار فلا توسع الحلقة (الثقب) فلا يُجدي المسمار معه بشيء، وكذا لا تُضيق الثقب عن المسمار فتنكسر الحلقة عند إدخال المسمار فيها، بل اضبط القُطر (قطر الحلقة وقُطر المسمار)، وهذا من أصول الصناعات.

ثم أرشده الله ﷻ إلى العمل الصالح مع هذا العمل الدنيوي، وإلا فليس للعمل الدنيوي نفع بدون عمل صالح، فقد قال تعالى عن أقوام: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧].

فقال تعالى: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾ أي: لعملكم مراقب ومطلع وشاهد، لا يخفى عليَّ من عملكم شيء، وسأجازيكم عليه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أعطينا داود منَّا فضلًا وقلنا للجبال: (أوبي معه): سبحي معه إذا سبح. والتأويب عند العرب: الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله، ومنه قول الشاعر:

يومـان يـوم مقامـات وأنديـة ويـوم سـير إلـى الأعـداء تأويـب

أي رجـوع وقـد كـان بعضـهم يقـرؤه (أُوبـي معـه) مـن آب يئـوب، بمعنـى تصرفي معه، وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة.

وأورد عدة آثار في تفسير (أَوِّبِي) أي: سبِّحي.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ) قال: سبِّحي معه.

وقال الطبري أيضًا:

وقوله: (وَٱلطَّيۡرَۖ) وفي نصب الطير وجهان: أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نُوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع بما لا يحسن إعادة رافعه عليه فيكون كالمصدر عن جهته، والآخر: فعل ضمير متروك استغني بدلالة الكلام عليه، فيكون معنى الكلام: فقلنا: يا جبال أوبي معه وسخرنا له الطير. وإن رفع ردًّا على ما في قوله: سبحي من ذكر الجبال كان جائزًا، وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال، وإن لم يحسن نداؤها بالذي نوديت به الجبال، فيكون ذلك كما قال الشاعر:

ألا يـا عمـرو والضحـاك سـيرا فقـد جاوزتمـا خمـر الطريـق

وقوله: (وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝١٠) ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد.

وأورد عن قتادة بسندٍ حسن قال: (وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝١٠) سخر الله له الحديد بغير نار.

قال الطبري:

وقوله: (أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ) يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات: وهي التوامُّ

الكوامل من الدروع.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ دروع وكان أول من صنعها داود، وإنما كان قبل ذلك صفائح.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: السابغات: دروع الحديد.

وأورد الطبري قولين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ حاصلهما: أن السرد هو مسمار حلق الدرع، أي: المسامير التي في الحلق، والآخر السرد هو الحلق بعينها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ اختلف أهل التأويل في السرد؛ فقال بعضهم: السرد هو مسمار حلق الدرع.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: كان يجعلها بغير نار، ولا يقرعها بحديد، ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحلق. وقال آخرون: هو الحلق بعينها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: السرد حلقه، أي: قدر تلك الحلق، قال: وقال الشاعر:

أجاد المسدي سردها وأذالها

قال: يقول: وسعها أجاد حلقها.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعني بقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار، وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة.

وقوله: ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾ يقول جل ثناؤه: إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر، لا يخفى علي منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود - صلوات الله وسلامه عليه- مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصُّمُّ الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال: «**لقد أوتي هذا مِزْمَارًا من مزامير آل داود**».

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنج ولا بَرْبَط ولا وَتَر أحسن من صوت أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومعنى قوله: ﴿أَوِّبِي﴾ أي: سبحي. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد.

والصواب أن المعنى في قوله تعالى: ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي: رَجّعي معه مُسَبّحة معه، كما تقدم، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾: قال الحسن البصري، وقتادة، والأعمش وغيرهم: كان لا يحتاج أن يُدخلَه نارًا ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط؛ ولهذا قال: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ وهي: الدروع. قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح.

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾: هذا إرشاد من الله لنبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تعليمه صنعة

(٥٣٧) أحمر
أسود

الدروع.

قال مجاهد في قوله: ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾: لا تُدِقّ المسمار فَيقلَق في الحلقة، ولا تُغَلّظه فيفصمها، واجعله بقدر.

وقوله: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ أي: في الذي أعطاكم الله من النعم، ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ أي: مراقب لكم، بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى علي من ذلك شيء.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم إذا يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن خير ما أكل المرء من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**» وقد مضى هذا في الأنبياء مجودًا والحمد لله.



بعض نعم الله ﷻ على سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وسخرنا لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الريح تحمله إلى حيث يشاء وإلى حيث يريد.

سخرناها له تقطع في ذهابها صباحًا (أي: في الغدوة صباحًا) ما يقطعه الراكب في شهر، وتقطع في رواحها (رجوعها أثناء الرواح) ما يقطعه الراكب في شهرٍ وأسلنا له عين النحاس، أي جعلنا النحاس يسيل بلا نارٍ، ولا صهرٍ، فكما أن الله ألان الحديد لداود، فقد جعل النحاس سائلاً لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكذا سخرنا له جنًّا يعملون أمامه، سخَّرت له بتسخيرنا لهم، ومن يميل منهم عن الأمر - أمر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إذ إنه مُلِّك عليهم بتمليك الله له نذقه من عذاب النار المستعرة، وقيل: إن هذا العذاب في الآخرة، وعليه الأكثرون، وقيل: إنه في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ) فقرأته عامة قراء الأمصار (وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ) بنصب الريح، بمعنى: ولقد آتينا داود منا فضلًا وسخرنا لسليمان الريح. وقرأ ذلك عاصم: **(ولسليمان الريح)** رفعًا بحرف الصفة إذ لم يظهر الناصب.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: (غُدُوُّهَا شَهۡرٌ) يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٌ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٌ) قال: تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم.

وقوله: (وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ) يقول: وأذبنا له عين النحاس، وأجريناها له.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ عين النحاس كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال: الصفر سال كما يسيل الماء، يعمل به كما كان يعمل العجين في اللبن.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي لنهيه؛ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه، يقول: بأمر الله بذلك، وتسخيره إياه له ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ يقول: ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر.

قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغدّى بها، ويذهب رائحا من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي: بقدره، وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك. ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: ومَنْ يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ وهو الحريق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ

وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾).

ج: المعنى – والله أعلم – أن الله ﷻ سخَّر الشياطين لسليمان عليه السلام تعمل له ما يريده من محاريب وهي الأبنية الحسنة الفاخرة، وهي أشرف شيء في المجلس وأفضله ومقدمته.

وقيل إن المراد به القصور والمساجد، وقيل: المساكن العظيمة الفخمة، وكذا يصنعون له التماثيل، وهي جمع تمثال، وهو ما كان على صورة الحيوان أو غيره، وكان هذا جائزًا في زمن سليمان عليه السلام وعيسى عليه السلام ونسخ ذلك في شريعتنا، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تدع صورة إلا طمستها**»، وكذا يعملون له الجفان، وهي جمع جفنة، وهي التي يوضع فيها الطعام، ولكنها كانت عظيمة جدًّا فقد كانت الجفنة كالجابية، والجابية هي الحوض الذي يجبى إليه الماء، وهي المكان المنخفض المتسع الذي يتجمع فيه الماء.

وكذا يعملون له القدور الهائلة ـ قدور الطبخ ـ العظيمة التي لا تنقل من أماكنها.

ثم يوجه إليه الأمر بعمل الصالحات، فيقول تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾)، قلَّ من العباد من يقدم شكرًا لله ﷻ.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره: يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى، ومنه قول عدي بن زيد:

كدمي العاج في المحاريب أو كالـ بيض في الروض زهره مستنير

وقوله: (وَتَمَٰثِيلَ) يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج.

قوله: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ يقول: وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب، وهي جمع جابية والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

تروح على نادي المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

وكما قال الآخر:

فصبحت جابية صهارجا كأنها جلد السماء خارجا

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ قال: كالحياض.

وقوله: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ يقول: وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن، ولا تحول لعظمهن.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ قال: عظام ثابتات الأرض لا يزلن عن أمكنتهن.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ قال: مثال الجبال من عظمها، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم، لا تحرك ولا تنقل، كما قال للجبال: راسيات.

وقوله: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصَّكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه، وترك ذكر: «وقلنا لهم» اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه، وأخرج قوله: ﴿شُكْرًا﴾ مصدرًا من قوله: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ لأن معنى قوله: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ اشكروا ربكم بطاعتكم إياه، وأن العمل بالذي رضي الله، لله شكر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ قال:

أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم، وعلمكم منطق الطير، اشكروا له يا آل داود قال: الحمد طرف من الشكر.

وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝١٣﴾ يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدي والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ جمع تمثال وهو كل ما صور على مثل صورة من الحيوان أو غير حيوان وقيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

حكى مكي في الهداية له: أن فرقة تجوز التصوير وتحتج بهذه الآية، قال ابن عطية: وذلك خطأ وما أحفظ عن أحد من أئمة العلم من يجوزه.

قلت: ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله. قال النحاس: قال قوم عمل الصور جائز لهذه الآية ولما أخبر الله ﷻ عن المسيح وقال قوم: قد صح النهي عن النبي ﷺ عنها والتوعد لمن عملهما أو اتخذها فنسخ الله ﷻ بهذه ما كان مباحًا قبله وكانت الحكمة في ذلك لأنه بعث عَلَيْهِ السَّلَامُ والصور تعبد فكان الأصلح إزالتها.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

التمثال على قسمين: حيوان وموات والموات على قسمين: جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه لعموم قوله: وتماثيل وفي الإسرائيليات: أن التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان فإن قيل: لا عموم لقوله: ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ فإنه إثبات في نكرة والإثبات في النكرة لا عموم له إنما

(٥٤٣) أحمر
أسود

العموم في النفي في النكرة. قلنا: كذلك هو بيد أنه قد اقترن بهذا الإثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله: ما يشاء فاقتران المشيئة به يقتضي العموم له فإن قيل: كيف استجاز الصور المنهي عنها ؟ قلنا كان ذلك جائزا في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بيَّنا والله أعلم.

وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور؛ إذ ذاك محرمًا.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

مقتضى الأحاديث يدل على أن الصور ممنوعة ثم جاء: «**إلا ما كان رقما في ثوب**» فخُصَّ من جملة الصور ثم ثبتت الكراهية فيه بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لعائشة في الثوب: «**أخريه عني فإني كلما رأيته ذكرت الدنيا**» ثم بهتكه الثوب المصور على عائشة منع منه، ثم بقطعها له وسادتين تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها فإن جواز ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز لقولها في النمرقة المصورة: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فمنع منه وتوَّعد عليه وتبين بحديث الصلاة إلى الصور أن ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه فهكذا استقر الأمر فيه والله أعلم، قاله ابن العربي.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

روى مسلم عن عائشة قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال رسول الله □: «**حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا**»[1] قالت: وكانت لنا قطيفة كنا نقول عَلَمُها حرير فكنا نلبسها وعنها قالت: دخل عليَّ رسول الله □ وأنا مستترة بقرام فيه صورة فتلون وجهه، ثم

(١) مسلم (٢١٠٧).

تناول الستر فهتكه، ثم قال: «**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله** ﷻ»[(١)] وعنها: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدوة إلى سهوة فكان النبي □ يصلي إليه فقال: «**أخريه عني**» قالت: فأخرته فجعلته وسادتين قال بعض العلماء: ويمكن أن يكون تهتيكه عليه السلام الثوب وأمره بتأخيره ورعًا؛ لأن محل النبوة والرسالة الكمال فتأمله.

وقال رحمه الله:

قال المزني عن الشافعي: إن دعي رجل إلى عرس فرأى صورة ذات روح أو صورًا ذات أرواح لم يدخل إن كانت منصوبة وإن كانت توطأ فلا بأس وإن كانت صورة الشجر ولم يختلفوا أن التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عندهم ما كان خرطا أو نقشا في البناء واستثنى بعضهم ما كان رقمًا في ثوب لحدثث سهل بن حنيف.

قلت: لعن رسول الله المصورين ولم يستثن وقوله: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم**» ولم يستثن وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله □: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ومن لسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين**»[(٢)] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، وفي البخاري و مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله □: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون**»[(٣)] يدل على المنع من

(١) مسلم (٢١٠٧).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١٧/ ٤٥١) وغيرهما، وانظر علل الدارقطني (١٠/ ١٤٧، رقم ١٩٣٧).
(٣) البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

تصوير شيء أي شيء كان وقد قال جلَّ وعزَّ: (مَّاكَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ) [النمل: ٦٠] على ما تقدم بيانه فاعلمه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد استثنى من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صلى الله عليه و سلم تزوجها وهي بنت سبع سنين وزُفَّتْ إليه وهي بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وعنها أيضًا قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي. خرَّجهما مسلم. قال العلماء: وذلك للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن ثم إنه لا بقاء لذلك وكذلك مايصنع من الحلاوة أومن العجين لا بقاء له فرخَّص في ذلك والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الشكر:

وفي صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله تعالى عنها– أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه فقالت له عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» انفرد بإخراجه مسلم[١] فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان فالشكر بالأفعال عمل الأركان والشكر بالأقوال عمل اللسان والله أعلم.

س: هل أدى آل داود الشكر كما أُمِرُوا؟

---

(١) مسلم (٢٨١٩)، والبخاري (٤٨٣٧)، وله طرق أُخرى عن رسول الله ﷺ عند البخاري (١١٣٠) من حديث المغيرة أيضًا، وَوَهِمَ القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ إذ قال: انفرد بإخراجه مسلم.

ج: في الصحيحين عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «إن أحبَّ الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يَفر إذا لاقى»[1].

فهذا دليل على كونهم أَدُّوا شكر النعمة كما أُمِرُوا، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فلما حكمنا على سليمان بالموت وحان أجله فمات، أو فلما قدَّرنا عليه الموت فمات، مات عليه السلام ولم تعلم الجن بموته إلا لما سقط على الأرض ميتًا، فقد مات وبَقِيَ زمنًا متكئًا على عصاه، ودابة الأرض التي هي الأرضة (وهي دودة تأكل الخشب) استمرت تأكل عصاه حتى أوهنتها فسقط عليه السلام فحينئذ ظهر للجن أنهم لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون، أو كان يوهمهم كبراؤهم، ويوهمون هم الناس. فلو كانوا يعلمون الغيب ما استمرُّوا مسخرين مُذللين في العمل الشاق المرهق، والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ يقول: لم يدل الجن على موت سليمان ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكِئًا عليها فأكلتها، فذلك قول الله ﷻ ﴿تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ يقول ﷻ: فلما خر سليمان ساقِطًا بانكسار منسأته تبينت الجن ﴿أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ الذي يدعون علمه ﴿مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾ المذل حولًا كاملًا بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حيٌّ.

وأورد الطبري حديثا عن رسول الله ﷺ في ذلك، ويبدو أن الحديث في ثبوته نظر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة قال ثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فتقول كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فإن كانت تغرس غرست، وإن كان لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي؛ حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولًا ميتًا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقط، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين**». قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء.

هذا، وقد علق الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الخبر بقوله، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر، فذكره، وقال بعد ذكره:

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث إبراهيم بن طَهْمان، به. وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفًا، وعطاء بن أبي مسلم[1] الخراساني له غرابات، وفي بعض حديثه نكارة.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، قال: كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾) ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولا.

قلت (مصطفى): وأرى هذا الأثر من أوفق الآثار التي سيقت في تفسير الآية لتمشيه مع سياقها، والله أعلم.

وأورد الطبري أثرًا بسندٍ صحيح عن ابن زيد، وأراه مأخوذًا من الإسرائيليات كذلك فيه قال ابن زيد، في قوله: (مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ) قال: قال سليمان لملك الموت: يا ملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني، قال: فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير، ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت، قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي، قال: فبعث الله دابة الأرض، قال: دابة تأكل العيدان يقال

(١) كذا قال، والصواب عطاء بن السائب، فليس لابن أبي مسلم ذِكر في هذا السند.

(٥٤٩) أحمر
أسود

لها القادح، فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا، ضعفت وثقل عليها فخر ميتًا، قال: فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا، قال: فذلك قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ قال: والمنسأة: العصا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى كيفية موت سليمان، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكيف عَمَّى الله موته على الجانّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه -وهي مِنْسَأته-كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد -مدة طويلة نحوا من سنة، فلما أكلتها دابةُ الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة-تبينت الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك.



قال الله تعالى:

﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ
رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ
سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ
قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ وَجَعَلۡنَا
بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ
فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ
شَكُورٖ ١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ
مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ [سبأ: ١٥-٢١]

(٥٥١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
(لِسَبَإٍ -ءَايَةٌ -سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ -خَمۡطٖ -وَأَثۡلٖ -قُرٗى ظَٰهِرَةٗ -بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا -فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ -وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ -لَأٓيَٰتٖ -صَبَّارٖ -شَكُورٖ -صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ -سُلۡطَٰنٍ -حَفِيظٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(لِسَبَإٍ)	قيل اسم لرجلٍ – قبيلة – بلدة – بلاد
(ءَايَةٌ)	دليل على قدرتنا وفضلنا
(سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ)	سيل الإفساد والدمار – سيل الماء الغزير – سيل الوادي – سيل الشديد – سيل الجرذان (الفئران)
(خَمۡطٖ)	الأراك الذي يؤخذ منه السواك – وقيل المراد ثمرة شجرة الأراك
(وَأَثۡلٖ)	شجر يقال له الطرفاء (طرفاء الغابات)
(قُرٗى ظَٰهِرَةٗ)	قرى واضحة معروفة لدى الناس، متواصلة، بادية على الطريق
(وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ)	جعلنا المسافات بين القرى على القدر الذي يحتاجه المسافر
(بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا)	اجعل هنالك مسافات بين الاستراحات التي نزل فيها أثناء سفرنا
(فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ)	جعلناهم على ألسنة الناس، يسبهم الناس، ويتندرون بذكرهم

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾	شتتناهم وفرقناهم في كل مكان
﴿لَأَيَٰتٍ﴾	لعبرة ودلالة
﴿صَبَّارٍ﴾	صبار على الطاعات، وصبار عن المعاصي
﴿شَكُورٍ﴾	شكور على النعم
﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾	حقَّق فيهم
﴿سُلْطَٰنٍ﴾	حُجة - تسلط (بضرب أو بحجة)
﴿حَفِيظٌ﴾	عالم بكل شيء ويحفظه على العبد ويسجله عليه



بعض الوارد في سبأ

س: اذكر بعض الأخبار الواردة في سبأ مبيِّنًا مدى صحتها.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه الطبري في تفسيره إذ قال حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي حيان الكلبي[1] عن يحيى بن هانيء عن عروة المرادي عن رجل منهم يقال له: فروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما كان؟ رجلًا كان أو امرأة، أو جبلا أو دواب؟ فقال: «**لا كان رجلًا من العرب وله عشرة أولاد؛ فتيمن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والأزد والأشعريون ومذحج وأنمار الذين منها خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا؛ فعاملة وجذام ولخم وغسان**».

(١) تصويبه أبو خباب الكلبي.
وهو يحيى بن أبي حية، وهو ضعيف.
والخبر أيضًا عند الطبراني في الكبير (٨٣٤) من طريق أبي جناب.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثني الحسن بن الحكم قال ثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي قال: قال رجل يا رسول الله: أخبرني عن سبأ ما هو؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من الولد؛ فتيامن ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار، فقال رجل: ما أنمار؟ قال: «**الذين منهم خثعم وبجيلة**»[(١)].

حدثنا أبو كريب ثنا العنقزي قال أخبرني أسباط بن نصر عن يحيى بن هانىء المرادي عن أبيه أو عن عمه(أسباط شك) قال: قدم فروة بن مسيك على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أجبلًا كان أو أرضًا؟ فقال: لم يكن جبلاً ولا أرضًا ولكنه كان رجلا من العرب ولد عشرة قبائل ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: «وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم»[(٢)].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد الله بن هُبَيرة، عن عبد الرحمن بن وَعلة؛ قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال: «**بل هو رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير، وأما الشامية فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان**»[(٣)].

---

(١) وسنده أيضًا ضعيف، وأخرجه أبو داود (٣٩٩٠)، والترمذي (٣٢٢٢)، وغيرهما وفي سنده أبو سبرة النخعي، قال ابن معين: لا أعرفه، والحسن بن الحكم يخطئ كثيرًا.

(٢) وفيه ضعف أيضًا.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٩٨)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٢٨)، والحاكم (٣٥٨٥) وغيرهم، وفي سنده ضعف واختلاف.

قال ابن كثير بعد أن أورده: رواوه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به. وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه. وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب «القصد والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم»، من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه. وقد روي نحوه من وجه آخر.

وقال ابن كثير رحمه الله:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثني ابن لهيعة، عن توبة بن نَمر، عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال: كنا عند عبيدةبن عبد الرحمن بأفريقية فقال يومًا: ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها. فقال علي بن رباح: كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مُسَيك الغُطَيفي قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية، وإني أخشى أن يرتدّوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: «**ما أمرت فيهم بشيء بعد**». فأنزلت هذه الآية: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ الآيات، فقال له رجل: يا رسول الله، ما سبأ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله: أن رسول الله ﷺ سُئل عن سبأ: ما هو؟ أبلد، أم رجل، أم امرأة؟ قال: «**بل رجل، وَلَد له عَشَرَة فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة، أما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير غير ما حلها. وأما الشام: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة**».

فيه غرابة من حيث ذكر [نزول] الآية بالمدينة، والسورة مكية كلها، والله أعلم.

وللحديث طرق أُخر لا تخلو من ضعف أو جهالة أو مقال.

أخرجها الحاكم والطبراني في الكبير والبخاري في التاريخ الكبير[(١)] وابن أبي خيثمة في التاريخ وغيرهم.

وهل يُحسَّن القدر المشترك بين تلك الروايات أم أنها تبقى كلها في حيز الضعف؟ في ذلك وجهان للعلماء والله أعلم.

وقد جنح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تقوية هذه الأخبار وتحسينها.



س: من سبأ؟

ج: في الأخبار السابقة عن رسول الله ﷺ أن سبأ رجلٌ.

ومن أهل العلم، الذين جنحوا إلى تضعيف الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد.

من قال أيضًا إن سبأ رجل، وهو اسم أبي اليمن، ومنهم من قال إنها قبيلة.

ومنهم من قال إنها بلاد، وفي الآية الكريمة ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال علماء النسب، منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له: الرائش؛ لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسمي الرائش، والعرب تسمي المال:

---

(١) الحاكم (١٣٥٨٦)، والطبراني (٨٣٥)، و(٨٣٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥٦٨)، وابن أبي خيثمة في التاريخ (٥٣١٦).

ريشا ورياشا. وذكروا أنه بشَّر برسول الله ﷺ في زمانه المتقدم، وقال في ذلك شعرًا:

سَيَمْلِكُ بَعْدَنَا مُلْكًا عَظيمًا نَبيّ لا يُرَخِّصُ في الحَرَام
وَيَملك بَعْدَه منْهُم مُلُوك يدينون العبادَ بغَير ذام
ويَملك بَعدهم منا مُلُوك يَصير المُلك فينَا باقْتسَام
وَيَمْلك بَعْد قَحْطَان نَبي تَقي خَبْتَة خير الأنام
وسُمي أحْمَدًا يَا لَيْتَ أني أُعَمَّرُ بَعْد مَبْعَثه بعام
فأعضُده وأَحْبوه بنَصْري بكُل مُدَجّج وبكُل رام
متى يَظْهَرْ فَكُونُوا نَاصريه وَمَنْ يَلْقَاهُ يُبْلغه سَلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب «الإكليل».



قصة قوم سبأ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لقد كان لقبيلة سبأ ولذرية سبأ (على رأي من قال إنه رجل) في بلادهم التي يسكنونها آية، علامة على فضل الله وقدرته وإنعامه وإحسانه، آية يستدرك بها على وحدانيته وعلى رزقه لمن تفكر وتأمل واعتبر، هذه الآية تتمثل في جنتين، بستانين عن يمين الداخل وشماله فيهما من كل الثمرات بلا جهد ولا تعب ولا مشقة كلوا يا آل سبأ من رزق الله الذي رزقكم إياه وقدموا شكرًا لله على نعمه وإحسانه، فبلدتكم بلدةٌ طيبة وربكم

غفور لذنوبكم. وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بينة، وحجة واضحة على أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها.

وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن.

وذكر الطبري بعض الأحاديث التي قدمتها وقال، وأما قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ﴾ فإنه يعني بستانين كانا بين جبلين عن يمين من آتاهما وشماله، **وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد** في قوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٖۖ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ قال: ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط، ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج، وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده، قال: والسد يسقيها.

ورفعت الجنتان في قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖ﴾ ترجمة عن الآية، لأن معنى الكلام: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي جنتان عن أيمانهم وشمائلهم.

وقوله: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ﴾ الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ﴾ على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك، وإلى هذا منتهى الخبر، ثم ابتدأ الخبر عن البلدة فقيل: هذه بلدة طيبة أي ليست بسبخة، ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت كما وصفها به ابن زيد من أنه لم يكن فيها شيء مؤذٍ؛ الهمج والدبيب والهوام ﴿وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾

﴿١٥﴾ يقول: ورب غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

كانت سبأ ملوكَ اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس -صاحبة سليمان- منهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم. وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مَذرَ، كما يأتي تفصيله وبيانه قريبًا إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليوحدوه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ﴾، ثم فسرها بقوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ﴾ أي: من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك، ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ أي: غفور لكم إن استمررتم على التوحيد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ءَايَةٞۖ﴾ اسم كان أي علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقا خلقهم وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم أمر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم وقيل: أي قالت الرسل لهم قد أباح الله تعالى لكم ذلك أي أباح لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي من ثمار الجنتين ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ يعني على ما رزقكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ هذا كلام مستأنف أي هذه بلدة طيبة أي كثيرة الثمار وقيل: غير سبخة وقيل: طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها قال مجاهد: هي صنعاء ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ ١٥﴾ أي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل: إنما ذكر المغفرة مشيرًا إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في أول البقرة وقيل: إنما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الأنبياء إلى أن استداموا الإصرار فاستؤصلوا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ١٧ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن قوم سبأ لما أعرضوا عن الإيمان والتوحيد وشكر النعم، تبدلت نعم الله عليهم إلى نقم، فقد أُرسل عليهم السيل الشديد المفسد المدمر، فدَّمر جنتيهم وأبادهما وأفناهما ونبتت مكانها جنتان منهما ما يؤكل، جنتان بستانان فيهما الخمط، وعود الأراك والأثل وهو طرفاء الغابة،

وكل ذلك لا يكاد ينتفع به، أما الذي ينتفع به – وهو السدر – فهو قليل، ذلك العقاب الذي عاقبناهم به إنما هو بسبب جحدهم وكفرهم، فلا نعاقب أهل الصلاح على صلاحهم وإنما نعاقب أهل الشرك والفساد والعصيان والكفر على ما يصدر منهم من كفران وجحود ونكران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها.

(فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ) يقول تعالى ذكره: فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول.

والعرم: المسناة التي تحبس الماء، واحدها عرمة، وإياه عنى الأعشى بقوله:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ... ومأرب عفى عليه العرم
رجام بنته لهم حمير ... إذا جاء ماؤهم لم يرم

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس.

وأورد الطبري بعض الآثار بذلك. ليست بالمرفوعة إلى رسول الله □.

ثم قال: وقيل إن العرم اسم وادٍ كان لهؤلاء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ) ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليه مسايل من أودية شتى، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه، ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئًا.

وقال آخرون: العرم صفة للمسناة التي كانت لهم وليس باسم لها.

وقوله: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك هو الخمط.

وأورد عدة آثار مفادها أن الخمط هو الأراك .

أورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ قال: أذهب تلك القرى والجنتين، وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خمط، قال: فالخمط: الأراك، قال: جعل مكان العنب أراكًا، والفاكهة أثلًا وشيئًا من سدر قليل.

قال الطبري:

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار بتنوين ﴿أُكُلٍ﴾ غير أبي عمرو، فإنه يضيفها إلى الخمط بمعنى ذواتي ثمر خمط. وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخمط وينونون الأكل، فإنهم جعلوا الخمط هو الأكل، فردوه عليه في إعرابه. وبضم الألف والكاف من الأكل قرأت قراء الأمصار، غير نافع، فإنه كان يخفف منها.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ بضم الألف والكاف لإجماع الحجة من القراء عليه، وبتنوين أكل لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الأمصار، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط، وذلك في إضافته وترك إضافته، نظير قول العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم، فتضيف أحيانا الأعناب إلى الكرم لأنها منه، وتنون أحيانا، ثم تترجم بالكرم عنها، إذ كانت الأعناب ثمر الكرم.

وأما الأثل: فإنه يقال له: الطرفاء، وقيل: شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم

منها، وقيل: إنها السمر.

وقوله: ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦﴾ يقول: ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل.

وكان قتادة يقول في ذلك: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦﴾ قال: بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخربت جناتهم، جزاء منا على كفرهم بنا، وتكذيبهم رسلنا، و﴿ذَٰلِكَ﴾ من قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه، ومعنى الكلام: جزيناهم ذلك بما كفروا.

وقوله: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾ اختلفت القراء في قراءته؛ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة **(وهل يجازى)** بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله **(إلا الكفور)** رفعًا. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾ بالنون وبكسر الزاي ﴿إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾ بالنصب.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، ومعنى الكلام: كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل يجازى إلا الكفور لنعمة الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦﴾: لما كان أجودَ هذه الأشجار المبدل بها هو السّدْر قال: ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦﴾، فهذا الذي صار أمر تَيْنك الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية،

تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسّدْر ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل.

وقال القرطبي:

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وقرأ أبو عمرو أكل خمط بغير تنوين مضافا قال أهل التفسير والخليل: الخمط الأراك الجوهري: الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل وقال أبو عبيدة: هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة الزجاج: كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله المبرد: الخمط كل ما تغير إلى ما لا يشتهى واللبن خمط إذا خفض والأولى عنده في القراءة ذواتي أكل خمط بالتنوين على أنه نعت لـ أكل أو بدل منه لأن الأكل هو الخمط بعينه عنده فأما الإضافة فباب جوازها أن يكون تقديرها ذواتي أكل حموضة أو أكل مرارة...

إلى آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



س: كيف كان هذا الدمار والخراب الذي أصاب سبأ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال لا أعلم قولاً منها استند على دليل صريح، والحاصل أن السيل أُرسل عليهم فدمَّر مزارعهم وحدائقهم وبيوتهم على ما أفادته الآية الكريمة إجمالاً، وإن كان بعض أهل العلم قد ذكروا أقوالاً في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم.

فقال بعضهم: كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السد عمل فيه، ثم فاض الماء على جناتهم؛ فغرقها وخرب أرضهم وديارهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد، فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم، وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: بعث الله عليه جرذا وسلطه على الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها، فأخرب في أفواه تلك الحجارة وكل شيء منها من رصاص وغيره، حتى تركها حجارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس، واقتلع تلك الجنتين، فذهب بهما، وقرأ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال: ذهب بتلك القرى والجنتين.

وقال آخرون: كانت صفة ذلك أن الماء الذي كانوا يعمرون به جناتهم سال إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، فبذلك خربت جناتهم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم، أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾).

ج: أقول - وبالله التوفيق - والعلم عند الله ﷻ:

أولاً: الذي أختاره في معنى ﴿نُجَٰزِيٓ﴾ هو نعاقب.

ثانيًا: ليُعلم أن ما يصيب الناس من البلايا.

والمصائب وتحوُّل النعم عنهم، يكون في الغالب لأحد أمرين:

أولهما: أن تكون تلك المصائب والبلايا وتحول النعم سببها معاصي ارتكبوها، وجرائم اقترفوها فجاءت تلك المصائب عقوبات من الله على ما اقترفوه وما اكتسبوه، وعقوبات على عدم شكر النعم.

ثانيهما: أن تكون تلك الابتلاءات لرفعة الدرجات، إذا هم صبروا عليها كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

* فعلى هذا قد تكون البلية واحدة، ولكنها انتقامًا من شخصٍ، وإكرامًا لشخص آخر فقد يهدم بيتٌ على من فيه، ولكن أحد الذين تهدَّم عليهم البيت نالوا الفضل الوارد في الحديث «**صاحب الهدم شهيد**».

والآخرون خرَّ عليهم السقف من فوقهم عقابًا على جرائمهم وانتقامًا منهم كما قال تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ [النحل: ٢٦].

وبعد هذا التقرير أقول مستعينًا بالله ﷻ إن قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ لا إشكال على معناه بحالٍ من الأحوال، فحاصل معناه وهل نعاقب إلا الكفور؟ سواء قلنا إنه كفور النعم أو الكفور بالله، كل ذلك لا إشكال فيه.

فالآية الكريمة وردت عقب ذِكر سبأ وما كانوا فيه من النعيم، وما قابلوا به تلك النعم، ألا وهو الأعراض، وسواء قلنا الإعراض عن الإيمان أو الإعراض عن شكر النعم فكل ذلك يجلب العقاب.

فالمعنى، وهل نعاقب إلا من جحد نعمنا عليه وأنكرها ولم يقدم لها شكرًا بل قابلها بالطغيان والنكران.

وأيضًا: وهل نعاقب إلا من كفر بنا وعصى أمرنا وجحد قدرتنا ووحدانيتنا.

وهذا صحيح قطعًا، وإلا فالمطيع لا يعاقب أبدًا على طاعته لله، والشاكر لا يعاقب أبدًا لكونه شكر الله، والموحد لا يعاقب أبدًا على توحيده لله.

إنما يعاقب العاصي لعصيانه والجاحد لجحده، والمشرك لشركه.

أما ما قد يُتوهم من أن مسلمًا غنيًّا قد أصبح فقيرًا أو أن مسلمًا صحيحًا قد ابتلى فمرض مرضًا شديدًا أو غير ذلك، فهذا كله ـ كما أسلفتُ ـ إنما يكون لرفعة الدرجات وعلو المقامات، والله أعلم.

وبهذا الذي ذكرته، والتوفيق من الله وبالله، فيدفع الإشكال الذي أورده بعض أهل العلم حول قوله تعالى: (وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ۝١٧)، وأجابوا بأجوبة لا تكاد تستقيم أو لا تكاد تفهم حيث قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مسألة: في هذه الآية سؤال ليس في هذه السورة أشد منه وهو أن يقال: لم خص الله تعالى المجازاة بالكفور ولم يذكر أصحاب المعاصي ؟ فتكلم العلماء في هذا فقال قوم: ليس يجازى بهذا الجزاء الذي هو الاصطلام والإهلاك إلا من كفر وقال مجاهد: يجازي بمعنى يعاقب وذلك أن المؤمن

يكفر الله تعالى عنه سيئاته والكافر يجازى بكل سوء عمله فالمؤمن يجزى ولا يجازى لأنه يثاب وقال طاوس: هو المناقشة في الحساب وأما المؤمن فلا يناقش الحساب وقال قطرب خلاف هذا فجعلها في أهل المعاصي غير الكفار وقال: المعنى على من كفر بالنعم وعمل بالكبائر النحاس: وأولى ما قيل في هذه الآية وأجل ما روي فيها: أن الحسن قال مثلا بمثل وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حوسب هلك**» فقلت: يا نبي الله فأين قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨] قال: «**إنما ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك**» وهذا إسناد صحيح وشرحه: أن الكافر يكافأ على أعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ويبين هذا قوله تعالى في الأول: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ [سبأ: ١٧]، وفي الثاني: وهل يجازى إلا الكفور ومعنى يجازى: يكافأ بكل عمل عمله ومعنى جزيناهم وفيناهم فهذا حقيقة اللغة وإن كان جازى يقع بمعنى جزى مجازًا.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

فإن قال قائل: أوما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة، فيخص أهل الكفر بالجزاء؟ فيقال: وهل يجازى إلا الكفور؟ قيل: إن المجازاة في هذا الموضع المكافأة، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف، ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه، والمكافأة لأهل الكبائر والكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل، فلذلك قال جلَّ ثناؤه في هذا الموضع ﴿**وهل يجازى إلا الكفور**﴾؟ كأنه قال جل ثناؤه: لا يجازى: لا يكافأ على عمله

(٥٦٨) أحمر
أسود

إلا الكفور، إذا كانت المكافأة مثل المكافأ عليه، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئا، ولا يمحص شيء منها في الدنيا.

وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفت.



س: ما هذه القرى التي بارك الله فيها؟

ج: لأهل العلم فيها قولان: أحدهما بيت المقدس، والآخر: الشام عمومًا.

ولقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

والله تعالى أعلم.



س: ما وجه البركة في هذه القرى التي قال تعالى: ﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾؟

ج: قيل بكثرة الثمار والأشجار والمياه، وقيل بكثرة عدد أهلها وصلاحهم، والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أن المسافات بين تلك القرى وبعضها قدرها الله ﷻ، فكلما شعر المسافر بتعب وإرهاق وجد منزلاً ومأوى، أي أن المسافات بين تلك القرى ليست بالطويلة، بل هي المسافات التي يطمئن معها المسافر ولا يخاف من قطع طريق أو قلة زاد أو غير ذلك مما يخشاه المسافرون.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن الله ﷻ أمتن على هذه القبيلة وهؤلاء القوم - قوم سبأ - بمننٍ أُخر غير طيب العيش في بلادهم وسعة الأرزاق فيها وحسن ثمارها وبهجة أشجارها ونباتاتها، ففضلًا عن ذلك إذا أرادوا سفرًا لعبادة أو لتجارة إلى بلاد الشام وبيت المقدس التي كانت محلاً لذلك، فإن الله ﷻ يسر عليهم سُبُل السفر فهنالك منازل للاستراحة والاستجمام، فالسفر ليس بموحش، والطريق ليس بمقطوع، بل هو طريق مؤنس عليه قرى وبلاد واضحة المعالم كلما تعب المسافر أو كاد أن يتعب وجد استراحة ينزل فيها، فلا يخاف ولا يقلق بل يجد الزاد ويجد الأمان، كما قال تعالى للقرشيين: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾.

[قريش: ٣-٤]

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم: وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التى باركنا فيها وهي الشأم، قرى ظاهرة.

وقيل: عُني بالقرى التي بُورك فيها بيت المقدس.

وقوله: ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ يعني: قرى متصلة، وهي قرى عربية.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن البصري في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ قال: قرى متواصلة، قال: كان أحدهم يغدو فيقيل

(٥٧٠) أحمر
أسود

في قرية ويروح فيأوي إلى قرية أخرى.

قال: وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها، ثم تمتهن بمغزلها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء من كل الثمار.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ قال: كان بين قريتهم وبين الشأم قرى ظاهرة، قال: إن كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها، تروح من قرية وتغدوها، وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشأم.

وقوله: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا فى قرية ولا يغدون إلا من قرية.

وقوله: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم والقرى التي باركنا فيها ليالي وأياما آمنين لا تخافون جوعًا ولا عطشًا، ولا من أحد ظلمًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ لا يخافون ظلمًا ولا جوعًا، وإنما يغدون فيقيلون، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها، وتمتهن بيدها، فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئًا، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادًا ولا سقاء مما بسط للقوم.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ قال: ليس فيها خوف.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغِبْطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ أي: بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يَقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى؛ ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه، ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل في قرية والمبيت في قرية أخرى وانما يبالغ الإنسان في السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق فإذا وجد الزاد والأمن لم يحمل على نفسه المشقة ونزل أينما أراد ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ أي وقلنا لهم سيروا فيها أي في هذه المسافة فهو أمر تمكين أي كانوا يسيرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا آمنين فهو أمر بمعنى الخبر وفيه إضمار القول ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ ظرفان ﴿ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ نصب على الحال وقال: ليالي وأيامًا بلفظ النكرة تنبيها على قصر أسفارهم أي كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون إليه قال

قتادة: كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضًا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

ج: إيضاحه - والله أعلم - أن قوم سبأ سئموا النعيم الذي كانوا فيه، ولم يقدموا شكرًا لله على ما أنعم به عليهم وتفضل، فبدلاً من أن يكونوا مستريحين في أسفارهم، طلبوا أن تكون هناك مسافات بعيدة بين الاستراحات حتى يجمعوا الحطب وينضجوا اللحم ويتعبوا في ذلك فيشعرون - بزعمهم - بالتلذذ مع التعب والمشقة، فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أي: اجعل بين هذه الاستراحات والقرى مسافات كبيرة بدلاً من أن تكون قرى متقاربة، وظلموا أنفسهم وشقوا عليها بهذا الطلب، وكذا ظلموا أنفسهم بانهماكهم في المعاصي والمحرمات والكفر فشتت الله شملهم وفرَّق الله جمعهم، وجعلهم عبرة يعتبر بها مريد الاعتبار، وجعلهم أحاديث على ألسنة الناس فكان الشخص يقول للآخر شتتك الله كما شتت قوم سبأ، ومزقك الله كما مزقهم، ونحو ذلك، والله أعلم.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن صوَّب قراءة باعد ورجحها على (بعِّد):

فإذا كان هو الصواب من القراءة، فتأويل الكلام: فقالوا: يا ربنا باعد بين

أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز، لنركب فيها الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل للقائلين ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٢﴾ أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة.

وقال الطبري:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال ثنا عبثر، قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ قال: كانت لهم قرى متصلة باليمن، كان بعضها ينظر إلى بعض، فبطروا ذلك، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، قال: فأرسل الله عليهم سيل العرم، وجعل طعامهم أثلًا وخمطًا وشيئًا من سدر قليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله، قال الله: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد... حتى نبيت في الفلوات والصحارى فظلموا أنفسهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ وكان ظلمهم إياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السب، فيقال: تفرق القوم أيادي سبأ، وأيدي سبأ إذا تفرقوا وتقطعوا.

وقوله: ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ يقول: وقطعناهم في البلاد كل مقطع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ) قال قتادة: قال عامر الشعبي: أما غسان فقد لحقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)، وقرأ آخرون: **(بعِّد بين أسفارنا)**، وذلك أنهم بَطِروا هذه النعمة -كما قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وغير واحد- وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحَرُور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ [القصص: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢]. وقال في حق هؤلاء: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: بكفرهم، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ أي: جعلناهم حديثا للناس، وَسمَرًا يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرَّق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: «تفرقوا أيدي سبأ» «وأيادي سبأ» و«تفرقوا شَذَرَ مَذَرَ».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إن في الذي حدث لقوم سبأ من تبديل النعم إلى نقمٍ، ومن الاستقرار والأمان إلى خوفٍ وتشرد وتمزق في البلاد، إلى غير ذلك مما حلَّ بهم، إن في ذلك لدلالات يستدل بها الصبار الذي يصبر على أوامر الله ويجتنب مناهيه، يستدل بها على فضل طاعته لربه واستقامته على أمره، وصبره على ما يحلُّ به من بلاء، وما يؤمر به من الطاعات، وامتناعه عما نُهِيَ عنه من المحظورات.

وكذا فيما حلَّ بقوم سبأ آيات لكل شكور حتى يحافظ على نعم الله التي أعطاه الله إياها ويزداد شكرًا ولا يكفرها ولا يجحدها.

هذا، وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ يبين الحال التي عليها المؤمن، فحاله دائرٌ بين الصبر والشكر إن ابتلي صبر، وإن أنعمَ الله عليه شكر.

كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن، لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيرًا، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له؛ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»**[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تمزيقناهم كل ممزق لآيات، يقول: لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه.

---

(١) مسلم بنحوه (٢٩٩٩).

(٥٧٦) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾ كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾ أي: إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبةً على ما ارتكبوه من الكفر والآثام -لعبرةً وَدَلالةً لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم.



س: ما هذا الظن الذي ظنَّه إبليس بالقوم وحققه؟

ج: ذلك هو قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ قال الله: ما كان إلا ظنًّا ظنه، والله لا يصدق كاذبًا ولا يكذب صادقًا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ قال: أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم عليّ وفضلتهم وشرفتهم لا تجد أكثرهم شاكرين، وكان ذلك ظنًّا منه بغير علم، فقال الله: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن إبليس ظن ببني آدم ظنًّا، وهو أنه سيغويهم أجمعين إلا عباد الله المخلصين، ظنَّ بهم ذلك وأقسم على هذا الظن قائلًا: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، ثم سعى لتحقيق ما أقسم عليه فأغوى بني آدم - إلا من رحم الله وعصم - وكان ممن أغواهم قوم سبأ حقق فيهم إبليس ما ظنه ببني آدم، وحقق فيهم ما أقسم عليه لربه ﷻ فكفروا وجحدوا إلا فريقًا من أهل الإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بتشديد الدال من صدق، بمعنى أنه قال ظنا منه ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣] ثم صدق ظنه ذلك فيهم فحقق ذلك بهم، وباتباعهم إياه.

ثم قال:

ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط عقوبة منا لهم، ظنا غير يقين، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم بإغوائه إياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قيل: كيف علم إبليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب قيل له: لما نفذ له في آدم ما نفذ غلب على ظنه أنه ينفذ له مثل ذلك في ذريته وقد وقع له تحقيق ما ظن وجواب آخر وهو ما أجيب من قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] فأعطي القوة والاستطاعة فظن أنه يملكهم كلهم بذلك فلما رأى أنه تاب على آدم وأنه سيكون له نسل يتبعونه إلى الجنة وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢] علم أن له تبعا ولآدم تبعًا فظن أن تبعه أكثر من تبع آدم لما وضع في يديه من سلطان الشهوات ووضعت الشهوات في أجواف الآدميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في أعينهم تلك الشهوات ومدهم إليها بالأماني والخدائع فصدق عليهم الظن الذي ظنه والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى إجمالاً، وما كان لإبليس على قوم سبأ ولا على غيرهم من تسلط بسيف ولا بحجة إلا بتسليطنا إياه عليهم لنعلم من يتبع إبليس ممن يكذبونه علمًا ينبني عليه الثواب والعقاب، لنعلم أهل الإيمان الذي صدقوا وعد الله وآمنوا به وبرسله، ولنعلم أهل الشك والريب والتكذيب الذين هم مرتابون في قيام الساعة متشككون في وقوعها، وربك قد حفظ كل شيء من عباده ومن خلقه ومن أعمالهم، وسيوافيهم بأعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها إلا بتسليطناه عليهم؛ ليعلم حزبنا وأولياؤنا ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يقول: من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ﴿مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ فلا يوقن بالمعاد، ولا يصدق بثواب ولا عقاب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ قال: قال الحسن: والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أماني وغرورا دعاهم إليها.

عن قتادة أيضًا قوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ قال: وإنما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: عنى بقوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ إلا لنعلم ذلك موجودًا ظاهرًا ليستحق به الثواب أو العقاب.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَفِيظٞ ٢١﴾ لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مُجَازٍ جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر.



س: نوقن بأن الله ﷻ بكل شيء عليم، فكيف يوجَّه قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ إلا

لنظهر، وعليه فلا إشكال وذهب البعض إلى قراءة ذكرها القرطبي عن الزهري وهي (إلا ليُعلَم) على ما لم يسم فاعله، وعلى ذلك فلا إشكال أيضًا.

ووجه ثالث حاصله أن المراد بالعلم العلم الظاهر الذي يقع به الثواب والعقاب، وقد استرسل القرطبي في ذِكر ذلك فقال:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي لم يقهرهم إبليس على الكفر وإنما كان منه الدعاء والتزيين والسلطان: القوة وقيل الحجة أي لم تكن له حجة يستتبعهم بها وإنما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس لا عن حجة ودليل ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يريد علم الشهادة الذي يقع به الثواب والعقاب فأما الغيب فقد علمه تبارك وتعالى ومذهب الفراء أن يكون المعنى: إلا لنعلم ذلك عندكم كما قال: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ [النحل: ٢٧] على قولكم وعندكم وليس قوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ جواب ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ في ظاهره إنما هو محمول على المعنى أي وما جعلنا له سلطانا إلا لنعلم فالاستثناء منقطع أي لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم فـ﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن وقيل هو متصل أي ما كان له عليهم من سلطان غير أنا سلطناه عليهم ليتم الابتلاء وقيل: كان زائدة أي وما له عليهم من سلطان كقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي أنتم خير أمة وقيل: لما اتصل طرف منه بقصة سبأ قال: وما كان لإبليس على أولئك الكفار من سلطان وقيل: وما كان له في قضائنا السابق سلطان عليهم وقيل: إلا لنعلم إلا لنظهر وهو كما تقول: النار تحرق الحطب فيقول آخر لا بل الحطب يحرق النار فيقول الأول تعال حتى نجرب النار والحطب لنعلم أيهما يحرق صاحبه أي لنظهر ذلك وإن كان معلوما لهم ذلك

وقيل: إلا لتعلموا أنتم وقيل: أي ليعلم أولياؤنا والملائكة كقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ١٣٣] أي يحاربون أولياء الله ورسوله وقيل: أي ليميز كقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧] وقد مضى هذا المعنى في البقرة وغيرها وقرأ الزهري: إلا ليعلم على ما لم يسم فاعله ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ أي أنه عالم بكل شيء وقيل: يحفظ كل شيء على العبد حتى يجازيه عليه.



(٥٨٢) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]

(٥٨٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
(شِرْكٍ - ظَهِيرٍ - فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ).
ج:

الكلمة	معناها
(شِرْكٍ)	مشاركة في ملك السموات والأرض
(ظَهِيرٍ)	معاون
(فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ)	ذهب الفزع عنها - جُلِّي عنها وكشف عنها



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أما وقد علمتم يا أهل الشرك ما كان من أمر النبيين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام، وكيف كان إكرامنا لهما، وكذا قد علمتم ما فعلنا بقوم سبأ، وما استطاع أحدٌ أن يمنع من إكرامنا، ولا أن يمنع من عقابنا فادعوا الذين عبدتموهم مع الله عز وجل كي يجلبوا لكم نفعًا أو يدفعوا عنكم ضرًّا، فلن تجدوا ذلك عندهم فهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، بل كل ما في السموات والأرض ملك لله عز وجل، وكذا فليس لهم نصيب من المشاركة، فلا هم ملاكٌ ولا هم شركاء لله عز وجل وما لله عز وجل منهم من معاون يعاونه، وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا، وذاك فعلنا بسبأ الذين فعلنا بهم، إذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون؛ لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز، ثم وصف الذين يدعون من دون الله فقال: إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع، فكيف يكون إلها من كان كذلك.

وقوله: (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ) يقول تعالى ذكره: ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة، لأن الأملاك في المملوكات لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسومًا، وإما مشاعًا، يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا مشاعًا ولا مقسومًا، فكيف يكون من كان هكذا شريكًا لمن له ملك جميع ذلك.

وقوله: (وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾) يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعًا ولا مقسومًا، فيقال: هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم يكن له ملك شيء منه.

قولـه: وأورد بإسـنادٍ حسـن عـن قتـادة: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ يقـول: ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾ من الـذين يـدعون من دون الله ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ من عون بشيء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبيّن تعالى أنه الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا نظير لـه ولا شـريك لـه، بـل هـو المستقل بـالأمر وحـده، مـن غيـر مشـارك ولا منـازع ولا معارض، فقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من الآلهة التي عبدت من دونـه ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، كمـا قـال تبـارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

وقولـه: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ أي: لا يملكـون شـيئا اسـتقلالا ولا علـى سبيل الشركة، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: وليس لله من هذه الأنـداد مـن ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

قال قتادة في قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾، من عون يعينه بشيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعـالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي هـذا الـذي مضـى ذكـره مـن أمر داود وسليمان وقصة سبأ من آثار قدرتي فقـل يـا محمـد لهـؤلاء المشـركين هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك وهذا خطاب تـوبيخ وفيـه إضـمار: أي ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم مـن دون الله لتـنفعكم أو لتـدفع عـنكم مـا قضاه الله تبارك وتعـالى علـيكم فـإنهم لا يملكـون ذلـك و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي مـا لله

من هؤلاء من معين على خلق شيء بل الله المنفرد بالإيجاد فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ولا يتقبل شفاعة شافع إلا بإذن الله، فلن يشفع شافع إلا بإذن الله، فلن يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وكما قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائنًا من كان الشافع لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدًا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم. فـ «من» إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله: ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾: المشفوع له.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾ فقرأ ذلك عامة القراء بضم الألف من (أُذن له) على وجه ما لم يسم فاعله، وقرأه بعض الكوفيين ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾ على اختلاف أيضًا عنه فيه، بمعنى أذن الله له.

(٥٨٧) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي: لعظمته وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة.



قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: **أولاً:** معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ذهب عنها الفزع والخوف.

وقد قيل: إن ذلك بعد إغشاء حصل لهم من شدة الفزع والخوف.

ثانيًا: الذين فزِّع عن قلوبهم عند أكثر العلماء هم الملائكة، وإن كان ثَمَّ قولٌ آخر أنهم المشركون.

ثالثًا: متى فُزِّع عن قلوبهم؟ أكثر العلماء على أن ذلك بعد القضاء الذي يقضيه الله عَزَّ وَجَلَّ بعد الأمر الذي يأمر به، وقد أخرج البخاري[1] في صحيحه عند تفسير هذه الآية الكريمة من كتاب التفسير من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

إن نبي الله ☐ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق**

(١) البخاري (حديث ٤٨٠٠).

السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء».

وأخرج مسلم[١] في صحيحه أن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي □ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله □ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله □: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله □: «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال: الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون**».

وأورد الطبري من طريق الشعبي[٢] عن ابن مسعود في هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ قال: إذا حدث أمر عند ذي العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم

---

(١) مسلم (٢٢٢٩).

(٢) وإن كان الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، لكن له طرق أخر عند الطبري وغيره عن ابن مسعود.

تنادوا: (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ)؟ قال: فيقول: من شاء قال الحق وهو العلي الكبير.

وأورد بإسناد صحيح عن مسروق قال: إذا حدث عند ذي العرش أمر سمعت الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا، قال: فيغشى عليهم، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فيقول من شاء الله الحق وهو العلي الكبير.

أما متى يُفزَّع عن قلوبهم فلأهل العلم أقوال لخصها الطبري بقوله:

وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) يقول: حتى إذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب.

واختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله فزع عن قلوبهم؟ فقال بعضهم: الذي فزع عن قلوبهم الملائكة، قالوا: وإنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحي.

وقال آخرون ممن قال: الموصوفون بذلك الملائكة، إنما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ...) الآية، قال: يوحي الله إلى جبرائيل فتفرق الملائكة، أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة (قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾).

وقال آخرون: بل ذلك من فعل ملائكة السماوات إذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة.

وقال آخرون: بل الموصوفون بذلك المشركون، قالوا: وإنما يفزع الشيطان عن قلوبهم، قال: وإنما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ قال: فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم، وما كان يضلهم ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ قال: وهذا في بني آدم، وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الإقرار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكره الشعبي عن ابن مسعود لصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ بتأييده. وإذ كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يشفع عنده، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه إذنه، حتى إذا فزع عن قلوبهم فجلي عنها، وكشف الفزع عنهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ على كل شيء ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ الذي لا شيء دونه. والعرب تستعمل «فزع» في معنيين فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التي يفزع منها: هو مفزع، وتقول للجبان الذي يفزع من كل شيء: إنه لمفزع، وكذلك تقول للرجل الذي يقضي له الناس في الأمور بالغلبة على من نازله فيها: هو مغلب، وإذا أريد به هذا المعنى كان غالبًا، وتقول للرجل أيضا الذي هو مغلوب أبدًا: مغلب.

واختار ابن كثير ما ذهب إليه الطبري فقال: وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة . هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾. وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السموات كلامه،

أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: زال الفزع عنها.

فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾.

وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يعني: المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة، قالوا: ماذا قال ربكم؟ فقيل لهم: الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا.

وأما وجه الربط بين قوله تعالى: (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ) وقوله: (لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ...) فوجهه - والله أعلم - إن شفاعة هؤلاء الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم لا تُقبل ولا تنفع إلا بإذن الله فهؤلاء الملائكة الذين عبدهم أقوامٌ منكم وظنوا أيضًا أنهم يشفعون لهم، لا يشفعون إلا بإذن الله، ثم هذا حالهم عند سماع الأمر من الله، أنهم يُصابون بالفزع الشديد، يعتريهم الفزع الشديد، الذي هو إغشاءٌ أو شبه إغشاء فإذا صرف هذا عنهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فإذا كان هذا شأنهم فكيف يشفعون هم أو غيرهم لكم؟! والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في

الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨] والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ أي ماذا أمر الله به فيقولون لهم: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ وهو أنه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ فله أن يحكم في عباده بما يريد ثم يجوز أن يكون هذا إذنًا لهم في الدنيا في شفاعة أقوام ويجوز أن يكون في الآخرة وفي الكلام إضمار أي ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففزع لما ورد عليه من الإذن تهيبًا لكلام الله تعالى حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب بالانقياد وقيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل أمر يأمر به الرب تعالى أي لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين.



(٥٩٣) أحمر
أسود

سبأ

قال الله تعالى:

(۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ
هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾)

[سبأ: ٢٤-٣٠]

س: اذكر معنى ما يلي:
(يَفۡتَحُ - أَجۡرَمۡنَا - ٱلۡفَتَّاحُ - أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ - كَآفَّةٗ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَجۡرَمۡنَا)	اكتسبنا من الأعمال
(يَفۡتَحُ)	يقضي
(ٱلۡفَتَّاحُ)	القاضي العليم بخلقه
(أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ)	جعلتموها لله شريكة وعبدتموها مع الله
(كَآفَّةٗ)	عامة - كلهم



س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، قل يا رسول الله - لهؤلاء المشركين - على سبيل الاستفهام الذي يحمل معنى التقرير والتوبيخ والإلزام - من الذي يسوق لكم الرزق من السموات كالغيث الذي ينبت الله به الثمر ويحيي به الأرض بعد موتها، وكذا من الذي يخرج لكم الرزق من الأرض ومن ذلك الثمار والنبات والمعدن والكنوز ونحو ذلك، وكذا من يرزقكم هذه التجارات التي تتجرون، وغير ذلك من الأرزاق من البحار ونحوها، قل لهم ذلك فإن أجابوا بأن الله فاعلٌ

ذلك بهم فالحمد لله قد أقروا وأُقيمت عليهم الحجة وإلا أمسكوا عن الجواب فقل لهم أنت يا رسول الله: إن الله هو الذي يرزقنا، وقل لهم: أحدنا بلا شك على حق، والآخر على باطل، فإما أن نكون نحن على هدى أو في ضلالٍ مبين، يعني بُعد عن الحق مُظهر لمن تأمله أن من هو عليه يُعدّ ضلالًا، وإما أن تكونوا أنتم على هدًى أو في ضلال مبين.

فإذا كنا نحن على هدى، والحمد لله نحن عليه، فأنتم إذن في ضلال مبين.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحًا لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، فقل: الذي يرزقكم ذلك الله وإنا أو إياكم أيها القوم لعلى هدى أو في ضلال مبين: يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنكم على ضلال أو هدى.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: (﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾) قال: قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتدٍ.

وقد قال قوم: معنى ذلك: وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مقررًا تفرُّدَه بالخلق والرزق، وانفراده بالإلهية أيضا، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض -أي: بما ينزل من المطر وينبت من الزرع- إلا الله، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره.

وقوله: (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾): هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله؛ ولهذا قال: (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) لما ذكر أن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب قرر ذلك فقال: قل يا محمد للمشركين: (مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) أي من يخلق لكم هذه الأرزاق الكائنة من السموات أي عن المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع والأرض أي الخارجة من الأرض عن الماء والنبات أي لا يمكنهم أن يقولوا هذا فعل آلهتنا فيقولون: لا ندري فقل: إن الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وإن قالوا: إن الله يرزقنا فقد تقررت الحجة بأنه الذي ينبغي أن يعبد (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾) هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد بل على أمرين متضادين وأحد الفريقين مهتدٍ وهو نحن والآخر ضال وهو أنتم فكذبهم بأحسن من تصريح

التكذيب والمعنى: أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السموات والأرض.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين نعمه قل لهم: لا تُسألون يوم القيامة عن أعمالنا التي عملناها في الدنيا وعن كسبنا السيئ أو الحسن الذي اكتسبناه، وكذا فنحن لن نُسأل عن أعمالكم السيئة التي عملتموها بل لكل منا عمله، وسيحاسب عليه، ولكل منا اعتقاده وسيحاسب على اعتقاده، وكذا على أقواله، وقل يا رسول الله لهؤلاء إن ربنا سيجمع بيننا يوم القيامة ثم يقضي بيننا بالحق، وهو القاضي العليم بما يقضي فيه وبه لا يخفى عليه من أمري وأمركم شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال، لا تسألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا من إثم، ولا نسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل، قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق. يقول: ثم يقضي بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي منا من الضال ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافية، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه

المحق من المبطل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾: معناه التبري منهم، أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتم فنحن براء منكم وأنتم برآء منا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١]، وقال: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الكافرون].

وقوله: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ أي: يوم القيامة، يجمع الخلائق في صعيد واحد، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾، أي: يحكم بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٤-١٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ أي اكتسبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ﴾ نحن أيضًا ﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي إنما أقصد بما أدعوكم إليه الخير لكم لا أنه ينالني ضرر كفركم وهذا كما قال: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: ٦] والله مجازي الجميع. فهذه آية مهادنة، ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل: نزل

هذا قبل آية السيف.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يريد يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي يقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ﴾ أي القاضي بالحق ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوال الخلق وهذا كله منسوخ بآية السيف.



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى: أروني هذه الآلهة التي عبدتموها مع الله وجعلتموها شريكةً لله ﷻ، ماذا خلقت هذه الآلهة من السموات والأرض، وهل لها من مشاركة أو شراكة في ملك السموات والأرض؟ (كَلَّا ۚ) ليس الأمر كما زعمتم أو كما توهمتم، فهذه الآلهة لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وما لها من شراكة في ملك السموات والأرض.

بل الله ﷻ هو مالك السموات والأرض هو العزيز الذي لا يغلب، ولا يمنع من شيء أراده، الحكيم فيما يشرع وفيما يصنع، وفي كل شيء.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أروني أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات؟ (

كَلَّا) يقول تعالى ذكره: كذبوا ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكا، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ) أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادًا وصيَّرتموها له عدْلًا. (كَلَّا) أي: ليس له نظير ولا نَديد، ولا شريك ولا عديل، ولهذا قال: (بَلْ هُوَ ٱللَّهُ):أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له (ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾) أي: ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء، وَغَلَبت كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ) يكون (أَرُونِيَ) هنا من رؤية القلب فيكون (شُرَكَآءَ) المفعول الثالث، أي عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله عَزَّوَجَلَّ وهل شاركت في خلق شيء، فبينوا ما هو؟ وإلا فلم تعبدونها. ويجوز أن تكون من رؤية البصر فيكون (شُرَكَآءَ) حالًا (كَلَّا) أي ليس الأمر كما زعمتم وقيل: إن (كَلَّا) رد لجوابهم المحذوف، كأنه قال: أروني الذين ألحقتم به شركاء قالوا: هي الأصنام فقال كلا أي ليس له شركاء (بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾).



(٦٠١) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الأدلة على عموم بعثة النبي □ أي أنه رسول لقومه ولمن جاءوا من بعدهم، وكذا رسول للإنس والجن على السواء.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ [الفرقان: ١]

وفي الصحيحين[1] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله □: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة».

وفي رواية: «بعثت إلى الأسود والأحمر».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وما أرسلناك إلا للناس كلهم، وكذا الإنس والجن بشيرًا لمن أطاع بالجنة، ونذيرًا لمن عصى بالنار، ولكن أكثر الناس لا

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

يصدقون برسالتك ولا بما جئت به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذبك (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾) أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: أرسل الله محمدًا إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: أي: إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١]. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ أي تبشر مَنْ أطاعك بالجنة، وتنذر مَنْ عصاك بالنار.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) أي وما أرسلناك إلا للناس كافة أي عامة ففي الكلام تقديم وتأخير، وقال الزجاج: أي وما أرسلناك إلا جامعا للناس بالإنذار والإبلاغ والكافة بمعنى الجامع وقيل:

معناه كافًّا للناس تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام والهاء للمبالغة وقيل: أي إلا ذا كافة فحذف المضاف أي ذا منع للناس من أن يشذوا عن تبليغك أو ذا منع لهم من الكفر ومنه: كف الثوب لأنه ضم طرفيه (بَشِيرًا) أي بالجنة لمن أطاع (وَنَذِيرًا) من النار لمن كفر (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾) ما عند الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت أكثر من المؤمنين عددًا.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - ويقول أهل الشرك لرسول الله ﷺ ولأهل الإيمان متى هذا الوعد بقيام الساعة؟ متى تقوم القيامة إن كنتم صادقين في دعواكم أنها ستقوم وستأتي؟ قل لهؤلاء: لكم يا أهل الشرك ميعاد تنتهي فيه آجالكم وتموتون لا تستأخرون عن هذا الميعاد ساعة ولا تستقدمون، وعندها يأتيكم الخبر اليقين الذي لا تستطيعون معه تكذيبًا لما أخبرناكم به، والله أعلم.

وبنحوه هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه (مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ) جائيا، وفي أي وقت هو كائن (إِن كُنتُمْ) فيما تعدوننا من ذلك (صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾) أنه كائن، قال الله لنبيه: (قُل) لهم يا محمد (لَّكُم) أيها القوم (مِّيعَادُ يَوْمٍ) هو آتيكم (لَّا

تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ) إذا جاءكم (سَاعَةً) فتنظروا للتوبة والإنابة (وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾) قبله بالعذاب؛ لأن الله جعل لكم ذلك أجلًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مخبرًا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾، كما قال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ﴾ الآية [الشورى: ١٨].

ثم قال: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: لكم ميعاد مؤجل معدود محرر، لا يزداد ولا ينتقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ﴾ [نوح: ٤]، وقال: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

[هود: ١٠٤، ١٠٥]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فقال الله تعالى: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فلا يغرنكم تأخيره والميعاد الميقات ويعني بهذا الميعاد وقت البعث وقيل: وقت حضور الموت أي لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي وقيل: أراد بهذا اليوم يوم بدر؛ لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى.



(٦٠٥) أحمر
أسود

سبأ

قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ
إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ
جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ
مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣]

(٦٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ - مَوْقُوفُونَ - يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ -ٱسْتُضْعِفُوا - ٱسْتَكْبَرُوا -صَدَدْنَٰكُمْ -ٱلْهُدَىٰ -مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ -أَندَادًا -وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ -ٱلْأَغْلَٰلَ - أَعْنَاقِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ)	بالكتب التي تقدمته (وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف وعموم الكتب التي أنزلها الله)
(مَوْقُوفُونَ)	محبوسون
(يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ)	يرد بعضهم على بعض ويجادل بعضهم بعضًا
(ٱسْتُضْعِفُوا)	الذين كانوا في الدنيا مستضعفين مستذلين
(ٱسْتَكْبَرُوا)	الذين كانوا في الدنيا أهل كبر وتجبر وتسلط
(صَدَدْنَٰكُمْ)	منعناكم
(ٱلْهُدَىٰ)	الإيمان
(مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ)	مكركم بالليل والنهار، والمكر: الخداع والتحايل والتضليل
(أَندَادًا)	أمثالًا
(وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ)	ندموا أشد الندم

(٦٠٧) أحمر
أسود

(ٱلۡأَغۡلَٰلَ)	الغل: هو ما تربط به الأيدي إذا ضمت إلى الرقبة، فاليد تضم إلى الرقبة وتحيط بهما حلقة هي الغل
(أَعۡنَاقِ)	رقاب



س: أين جواب قوله: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾؟

ج: هو محذوف مفهوم من السياق وكأن المعنى - والله أعلم - ولو ترى أهل الظلم وهم محبوسون عند الله يوم القيامة ويتجادل بعضهم مع بعض ويتلاومون فيما بينهم أشد التلاوم وأشد الجدال لو تراهم لرأيت منظرًا بشعًا مؤثرًا لرأيت منظرًا تقشعر منه الجلود وتفزع منه العقول وتضطرب منه الأفئدة، والله أعلم.



س: كيف قيل: (وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ) وهم قد أعلنوا عن ندمهم في عدة آيات كقوله تعالى: (وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ) [فاطر: ٣٧]، وكما في قوله تعالى: (أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) [الزمر: ٥٦]؟

ج: لأهل العلم هاهنا أقوال:

أحدها: أن أسروا بمعنى أظهروا وأبدوا قالوا وكلمة (وَأَسَرُّواْ) من الأضداد، يعنون أنها تأتي أحيانًا بمعنى الإخفاء، وأحيانًا بمعنى الإظهار والإبداء.

الثاني: أنهم أظهروا التنادم فيما بينهم كما قال تعالى في آية مشابهة: (يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣) [طه: ١٠٣].

(٦٠٨) أحمر
أسود

الثالث: أن مواقف القيامة تتعدد فأحيانًا يُبدون التنادم وأحيانًا يُسرّبه بعضهم إلى بعض ويُسر به بعضهم في النفس، وسيأتي مزيد إن شاء الله في هذا الباب.



س: وضح المعنى الإجمالي للآيات المباركات (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ...) إلى قوله: (هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾).

ج: هذا بيانٌ لحال الكفار في الدنيا وما انتهى إليه مصيرهم يوم القيامة على وجه الإجمال، وحاصل المعنى - والله أعلم - أن أهل الكفر والجحود والنكران قالوا في الدنيا لرسول الله ﷺ وقال ذلك من بعدهم من أهل الكفر، قالوا لأهل الإيمان: لن نؤمن بهذا القرآن، لن نصدق به، لن نصدق أنه من عند الله، ولن نؤمن أيضًا بالكتب السابقة (كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب)، فالله ما أنزل على بشرٍ من شيء كذا قالوا، فلو رأيت حال هؤلاء المكذبين يوم القيامة لرأيت منظرًا عظيمًا وتندمًا شديدًا، لو تراهم وهم محبوسون عند الله ﷻ كي يدفع بهم إلى النار، لو رأيتهم وهم يتلاومون ويتجادلون ويرد بعضهم على بعض، لو رأيت الذين كانوا في الدنيا أتباعًا، وكانوا في الدنيا على مناهج ساداتهم من الكفر والضلال، لو رأيت هؤلاء الذين كانوا يستضعفون في الدنيا، وهم يحاجون أهل الاستكبار في الدنيا، يقولون لهم لولا أنتم لكنا مؤمنين، فأنتم الذين صرفتمونا عن الإيمان وحملتمونا على التكذيب، فيرد عليهم أهل الاستكبار، الذين كانوا في الدنيا مستكبرين، أنحن صرفناكم عن الإيمان، وقد جاءكم؟! كلا ما صرفناكم بل أنتم في أنفسكم كنتم أهل إجرام

مُجترمين للذنوب والآثام، فيرد عليهم المستضعفون بقولهم: بل مكركم بالليل والنهار ومكركم وخداعكم لنا ليلاً ونهارًا وتضليلكم لنا وتمويهكم ليلاً ونهارًا، وأنتم تأمروننا بالكفر بالله وجحود وحدانيته، وتأمروننا بالشرك به، واتخاذ آلهة معه نعبدها كما نعبده، كان هذا دأبكم معنا، وأظهروا حينئذ التندم أشد التندم، ومنهم من أخفاه في نفسه لما رأوا العذاب ورأوا الأغلال قد جعلت في الرقاب مع الأيدي، فالأيدي ضُمَّت إلى الرقاب وأحاطت بها الأغلال، الأغلال أحاطت بالرقاب مع الأيدي، فهل يجزى هؤلاء إلا بما كانوا يعملون، كلا فربنا ليس بظلام للعبيد، وإنما تجزى كلُّ نفس بما كسبت كما في الحديث القدسي فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) من مشركي العرب (لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ) الذي جاءنا به محمد ﷺ ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه.

عن قتادة قوله: (لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ) قال: قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء.

وقوله: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ) يتلاومون، يحاور بعضهم بعضًا؛ يقول المستضعفون - كانوا في الدنيا- للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته.

وقال في تأويل قوله تعالى : (قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢).

(٦١٠) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: (قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ) في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله (لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ) فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم إذ قالوا لهم (لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾) :(أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ) ومنعناكم من اتباع الحق (بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ) من عند الله يبين لكم (بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾) فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى ذكره: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ) من الكفرة بالله في الدنيا، فكانوا أتباعا لرؤسائهم في الضلالة (لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ) فيها، فكانوا لهم رؤساء (بَلۡ مَكۡرُ) كم لنا بـ(ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ) صدنا عن الهدى (إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ) أمثالًا وأشباهًا في العبادة والألوهة، فأضيف المكر إلى الليل والنهار. والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار، على اتساع العرب في الذي قد عرف معناها فيه من منطقها، من نقل صفة الشيء إلى غيره، فتقول للرجل: يا فلان نهارك صائم وليلك قائم، وكما قال الشاعر:

ونمت وما ليل المطي بنائم

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ) يقول: بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله.

وقوله: (إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ) يقول: حين تأمروننا أن نكفر بالله.

وقوله: (وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ) يقول: شركاء.

قوله: (وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ) يقول: وندموا على ما فرَّطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب الله اذي أعدَّه لهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ) بينهم (لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ).

قوله: (وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ) وغلت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون، يقول جلَّ ثناؤه: ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابًا لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها، ومكافأة لهم عليها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد؛ ولهذا قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِۗ ﴾ . قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا، ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ﴾ منهم وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ وهم قادتهم وسادتهم: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ ﴾ أي: لولا أنتم تصدونا، لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به. فقال لهم القادة والسادة، وهم الذين استكبروا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمۖ ﴾ أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنَّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك؛ ولهذا قالوا: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتَغُرّونا وتُمَنّونا، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكَذبٌ ومَيْن.

قال قتادة، وابن زيد: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ يقول: بل مكرهم بالليل والنهار. وكذا قال مالك، عن زيد بن أسلم: مكرهم بالليل والنهار.

﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ أي نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شُبهًا وأشياءَ من المحال تضلونا بها ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: الجميع من السادة والأتباع، كُلٌّ نَدم على ما سَلَف منه.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ : وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾ أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كُلٌّ بحسبه، للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يريد كفار قريش ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ قال سعيد عن قتادة : (وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ) من الكتب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل من الآخرة. وقال ابن جريج : قائل ذلك أبو جهل بن هشام. وقيل : إن أهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه فلما سألوه فوافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من التوراة والإنجيل بل نكفر بالجميع، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بقولهم فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم. ثم أخبر الله تبارك وتعالى عن حالهم فيما لهم فقال ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي محبوسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا أخلاء متناصرين وجواب «لو» محذوف أي لرأيت أمرًا هائلًا فظيعًا ثم ذكر أي شيء يرجع من القول بينهم قال : ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ في الدنيا من الكافرين ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ وهم القادة والرؤساء ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: أغويتمونا

وأضللتمونا، واللغة الفصيحة لولا أنتم ومن العرب من يقول: لولاكم حكاها سيبويه تكون لولا تخفض المضمر ويرتفع المظهر بعدها بالابتداء ويحذف خبره. ومحمد بن يزيدٍ يقول: لا يجوز لولاكم لأن المضمر عقيب المظهر فلما كان المظهر مرفوعًا بالإجماع وجب أن يكون المضمر أيضًا مرفوعًا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾ هو استفهام بمعنى الإنكار أي ما رددناكم نحن عن الهدى ولا أكرهناكم ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢﴾ أي مشركين مصرين على الكفر ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المكر أصله في كلام العرب الاحتيال والخديعة وقد مكر به يمكر فهو ماكر ومكار قال الأخفش: هو على تقدير: هذا مكر الليل والنهار. قال النحاس: والمعنى - والله أعلم - بل مكركم في الليل والنهار أي مسارَّتكم إيانا ودعاؤكم لنا إلى الكفر حملنا على هذا. وقال سفيان الثوري: بل عملكم في الليل والنهار قتادة: بل مكركم بالليل والنهار صدنا فأضيف المكر إليهما لوقوعه فيهما وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] فأضاف الأجل إلى نفسه ثم قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ﴾ [الأعراف: ٣٤] إذ كان الأجل لهم. وهذا من قبيل قولك: ليله قائم ونهاره صائم قال المبرد: أي بل مكركم الليل والنهار كما تقول العرب: نهاره صائم وليله قائم. وأنشد لجرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

وأنشد سيبويه:

فنام ليلي وتجلى همي

أي نمت فيه ونظيره: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [غافر: ٦١] وقرأ قتادة: (بل مكر

الليل والنهار) بتنوين (**مكر**) ونصب (**الليل والنهار**) والتقدير : بل مكر كائن في الليل والنهار فحذف وقرأ سعيد بن جبير: (**بل مكرٌّ**) بفتح الكاف وشد الراء بمعنى الكرور، وارتفاعه بالابتداء والخبرمحذوف. ويجوز أن يرتفع بفعل مضمر دل عليه (أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ) كأنهم لما قالوا لهم أنحن صددناكم عن الهدى قالوا بل صدنا مكر الليل والنهار وروي عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال : مر الليل والنهار عليهم فغفلوا وقيل : طول السلامة فيهما كقوله : ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد : ١٦] وقرأ راشد (**بل مكرَّ الليل والنهار**) بالنصب كما تقول : رأيته مقدم الحاج، وإنما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت : رأيته مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي أشباهًا وأمثالًا ونظراء قال محمد بن يزيد : فلان ند فلان أي مثله ويقال نديد وأنشد :

أينما تجعلون إلي ندا   وما أنتم لذي حسب نديد

وقد مضى هذا في البقرة ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي أظهروها وهو من الأضداد يكون بمعنى الإخفاء والإبداء. قال امرؤ القيس:

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر   علي حراصا لو يسرون مقتلي

وروي «يشرون» وقيل: وأسروا الندامة أي تبينت الندامة في أسرار وجوههم قيل : الندامة لا تظهر وإنما تكون في القلب وإنما يظهر ما يتولد عنها حسبما تقدم بيانه في سورة يونس وآل عمران، وقيل : إظهارهم الندامة قولهم : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ١٠٢] وقيل : أسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها كما قال : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [طه : ٦٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الأغلال جمع غل يقال : في رقبته غل من

حديد. ومنه قيل للمرأة السيئة الخلق : غل قمل وأصله أن الغل كان يكون من قد وعليه شعر فيقمل وغللت يده إلى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال : ماله أل وغل. والغل أيضا والغلة : حرارة العطش، وكذلك الغليل يقال منه : غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري. أي جعلت الجوامع في أعناق التابعين. والمتبوعين قيل من غير هؤلاء الفريقين. وقيل يرجع ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إليهم وقيل : تم الكلام عند قوله : ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ ثم ابتدأ فقال : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾ بعد ذلك في أعناق سائر الكفار ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٣٣﴾ في الدنيا.



(٦١٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ
وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٩]

(٦١٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:
(نَّذِيرٍ -مُتْرَفُوهَآ -يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ -وَيَقْدِرُ -زُلْفَىٰٓ -جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ -ٱلْغُرُفَٰتِ -يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا -مُعَٰجِزِينَ -مُحْضَرُونَ -يُخْلِفُهُۥ).

ج:

الكلمة	معناها
(نَّذِيرٍ)	نبي – رسول الله
(مُتْرَفُوهَآ)	قادتها وكبراؤها وأصحاب المال والجاه فيها
(يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ)	يوسع – يكثر من العطاء
(وَيَقْدِرُ)	يضيق – يُصيب بالفقر
(زُلْفَىٰٓ)	قربةً – تقريبًا
(جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ)	الجزاء المضاعف
(ٱلْغُرُفَٰتِ)	جمع غرفة، وهي غرفٌ في الجنان
(يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا)	يجدون ويجتهدون لإبطال حججنا
(مُعَٰجِزِينَ)	ظانين أنهم يعجزوننا
(مُحْضَرُونَ)	متواجدون في العذاب
(يُخْلِفُهُۥ)	يأتي بخير منه



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وما أرسلنا من قبلك يا رسول الله في

قرية إلا عارضه أهل المال والجاه والسلطة فيها، عارضه كبراؤها وشريروها قائلين: إنما بالذي أرسلتم به من الدعوة إلى توحيد الله وترك عبادة ما سواه، كافرون جاحدون لكل ما تدعوننا إليه من هذا، جاحدون للقرآن منكرون أنه من عند الله، منكرون لجعل الآلهة إلهًا واحدًا منكرون للبعث الذي أخبرتمونا عن وقوعه.. منكرون لكل ما جئتمونا به، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرًا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا، إلا قال كبراؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له: إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، كافرون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ ﴾ قال: هم رؤوسهم وقادتهم في الشر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مسليًّا لنبيه، وآمرًا له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبيًّا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [هود: ٢٧]، وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣]؟ وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وقال: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال هاهنا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أي: نبي أو رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾، وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة.

قال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي: لا نؤمن به ولا نتبعه.



س: ما فائدة إخبار الله ﷻ بنبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾؟

ج: فائدة ذلك - والعلم عند الله - مواساة رسول الله □ وتثبيته وتصبيره، فإنه إذا علم أن إخوانه من المرسلين لقوا مثل الذي لقى، وابتلوا بمثل الذي ابتلي به حمله ذلك على الصبر، كما قال تعالى: (فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ) [الأحقاف: ٣٥]. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾).

ج: حاصل معنى هذه الآيات - والعلم عند الله - أن أهل الكفر لما بلغتهم

رسالة الإسلام ودعاهم رسول الله ﷺ إلى التوحيد، وذكَّرهم باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب قالوا مجيبين أهل الإسلام نحن أكثر منكم أموالاً وأكثر منكم أولادًا، أموالنا أكثر من أموالكم، وأولادنا أكثر من أولادكم، وهذا دليلٌ على إكرام الله لنا، فلو علم أننا لا نستحق ذلك ما أعطانا إياه ولا تفضَّل علينا به إنما أعطانا إياه لكرامتنا عنده، وكما أنه رضي عنا بدليل إعطائه لنا هذا المال والولد فلن يعذبنا، هكذا فهموا!!

وهكذا ظنوا! وهكذا رأوا! وأخطأوا كل ذلك، فقل لهم يا رسول الله إن ربي ﷻ يوسع على من يشاء من عباده في الرزق والولد ويضيق على من يشاء، وكل ذلك اختبارٌ وابتلاء كما قال ﷻ: (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾) [الأنبياء: ٣٥]، وكما قال: (وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾) [الأعراف: ١٦٨]. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ما هم فيه من النعيم ابتلاءٌ من الله واختبار، وقلَّ منهم من يعلم ذلك ويتفطن له كما قال سليمان عليه السلام لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًّا عنده: (هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ...) [النمل: ٤٠].

ثم قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالشيء الذي يقربكم عند الله منزلة ويقربكم منه تقريبًا أكثر إلا من آمن وعمل صالحًا واتقى الله ﷻ فيما أعطاه من المال فأنفقه في مرضاة الله ﷻ وفي طاعته فأولئك لهم جزاء أعمالهم أضعاف ما عملوه، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ثم هم يوم القيامة في الغرفات غرف الجنان، آمنون من الحزن والغم والخوف وزوال النعم وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا: نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن في الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضيًا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ من المعاش والرياش في الدنيا ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من خلقه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارًا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ...﴾ الآية، قال: قالوا: نحن أكثر أموالًا وأولادًا، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، قال: وهذا قول المشركين لرسول الله □ وأصحابه، قالوا: لو لم يكن الله عنا راضيًا لم يعطنا هذا، كما قال قارون: لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا، قال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ ...﴾ [القصص: ٧٨] إلى آخر الآية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول جلَّ ثناؤه: وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم، بالتي تقربكم منا قربة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وإن الكافر قد يعطى المال، وربما حبس عن المؤمن.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ ولم يقل باللتين، وقد ذكر الأموال والأولاد، وهما نوعان مختلفان، لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي، ولو قال قائل: أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله، وكان ذلك كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما   عندك راض والرأي مختلف

ولم يقل: راضيان.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال: لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين، وقرأ ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى: الجنة، والزيادة: ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به، كما حاسب الآخرين، فمن حملها على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه، وقد يحتمل أن يكون «من» في موضع رفع، فيكون كأنه قيل: وما هو إلا من

آمن وعمل صالحًا.

وقوله: (فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ) يقول: فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب، بالواحدة عشر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ) قال: بأعمالهم الواحد عشر، وفي سبيل الله بالواحد سبعمائة.

وقوله: (فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾) يقول: وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى إخبارًا عن المترفين المكذبين: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك. قال الله: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

[المدثر: ١١-١٧]

وقد أخبر الله عن صاحب تينك الجنتين: أنه كان ذا مال وولد وثمر، ثم لم تُغن عنه شيئًا، بل سُلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة؛ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ أي: يعطي المال لمن يحب ومَنْ لا يحب، فيفقر مَنْ يشاء ويغني مَنْ يشاء، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة

(٦٢٤) أحمر
أسود

الدامغة القاطعة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ثم قال: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ أي: ليست هذه دليلًا على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه أحمد ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

ولهذا قال: (إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا) أي: إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح، (فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ) أي: تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف (وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾) أي: في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يُحْذَر منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾ قال قتادة: أي أغنياؤها ورؤساؤها وجبابرتها وقادة الشر للرسل: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ أي فضلنا عليكم بالأموال والأولاد ولو لم يكن ربكم راضيًا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ لأن من أحسن إليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبيه □: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي يوسعه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يقتر أي إن الله هو الذي يفاضل بين عباده في الأرزاق امتحانًا لهم فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة فلا تظنوا أموالكم وأولادكم تغني عنكم غدًا شيئًا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) أحمد (٢/ ٥٣٩)، ومسلم (٢٥٦٤).

يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ هذا لأنهم لا يتأملون ثم قال تأكيدًا : ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾ قال مجاهد : أي قربى والزلفة القربة وقال الأخفش : أي إزلافًا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربى نصبًا كأنه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبًا وزعم الفراء أن التي تكون للأموال والأولاد جميعًا وله قول آخر وهو مذهب أبي إسحاق الزجاج يكون المعنى : وما أموالكم بالتي تقربكم عندنا ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه وأنشد الفراء :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضي والرأي مختلف

ويجوز في غير القرآن : باللتين وباللاتي وباللواتي وباللذين وبالذين للأولاد خاصة أي لا تزيد كم الأموال عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبًا ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ قال سعيد بن جبير : المعنى إلا من آمن وعمل صالحًا فلن يضره ماله وولده في الدنيا وروى ليث عن طاوس أنه كان يقول : اللهم ارزقني الإيمان والعمل وجنبني المال والولد فإني سمعت فيما أوحيت ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾

قلت : قول طاوس فيه نظر والمعنى والله أعلم : جنبني المال والولد المطغيين أواللذين لا خير فيهما فأما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا في آل عمران ومريم والفرقان ومن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع أي لكن من آمن وعمل صالحًا فإيمانه وعمله يقربانه مني.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

(فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ) يعني قوله : (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ)

[الأنعام: ١٦٠] فالضعف الزيادة أي لهم جزاء التضعيف وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول وقيل: لهم جزاء الأضعاف فالضعف في معنى الجمع وإضافة الضعف إلى الجزاء كإضافة الشيء إلى نفسه نحو: حق اليقين وصلاة الأولى أي لهم الجزاء المضعف للواحد عشرة إلى ما يريد الله من الزيادة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾) أي من العذاب والموت والأسقام والأحزان.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وكما أن أهل الإيمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف بما عملوا، ففي المقابل فهؤلاء الذين يسعون بجدٍ واجتهادٍ منهم لإبطال آياتنا ووصفها بغير ما هو لائق بها فيصفونها بأنها سحر وكهانة وأساطيرٌ ودجل، كل ذلك لصرف الناس عنها ويظنون أننا نعجز عنهم فهؤلاء محضرون مجموعون جميعًا في العذاب عذاب النار يوم القيامة والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين يعملون في آياتنا، يعني: في حججنا وآي كتابنا، يبتغون إبطاله ويريدون إطفاء نوره معاونين، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾) يعني: في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ أي: يسعون في الصد عن سبيل الله، واتباع الرسل والتصديق بآياته، ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي: جميعهم مَجْزيون بأعمالهم فيها بحسبهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ في إبطال أدلتنا وحجتنا وكتابنا ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ معاندين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي في جهنم تحضرهم الزبانية فيها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء الذين ظنوا أن الله عَزَّ وَجَلَّ أغناهم من فضله لكرامتهم عنده ولفضلهم عنده ولمنزلتهم عنده، قل لهم مُكررًا مؤكدًا إن ربي عَزَّ وَجَلَّ يوسع الأرزاق على من يشاء ويضيق فيها على من يشاء اختبارًا وابتلاءً وامتحانًا ليعلم الشكور من الكفور، والبار التقي من الفاجر الشقي، ومهما أنفقتم يا أهل الإيمان من مالٍ في طاعة الله ومرضاته فأيقنوا بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يخلف عليكم ما هو خير، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه

(٦٢٨) أحمر
أسود

فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختبارًا (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ) يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم.

وأورد بإسناد يُحسَّن عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ) قال: ما كان في غير إسراف ولا تقتير.

وقال الطبري: وقوله: (وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾) يقول: وهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ كرر تأكيدًا.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد إن الله يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تغتروا بالأموال والأولاد؛ بل أنفقوها في طاعة الله فإن ما أنفقتم في طاعة الله فهو يخلفه وفيه إضمار أي فهو يخلفه عليكم يقال: أخلف له وأخلف عليه أي يعطيكم خلفه وبدله وذلك البدل إما في الدنيا وإما في الآخرة وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خلفًا وأَعْطِ مُمْسِكًا تلفًا**»[1] وفيه أيضًا: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن الله قال لي: «**أنفق أنفق عليك**»[2] الحديث وهذه إشارة إلى الخلف في الدنيا بمثل المنفق فيها إذا كانت النفقة في طاعة الله وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعاء

(١، ٢) كلاهما صحيح، وسيأتيان قريبًا.

كما تقدم سواء في الإجابة أو التكفير أو الادخار والادخار هاهنا مثله في الأجر.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)﴾ لما كان يقال في الإنسان: إنه يرزق عياله والأمير جنده قال: وهو خير الرازقين والرازق من الخلق يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم ثم ينقطع والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ولا تتناهى ومن أخرج من عدم إلى الوجود فهو الرازق على الحقيقة كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: بحسب مَا لَه في ذلك من الحكمة، يبسط على هذا من المال كثيرًا، ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدًّا، وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره، كما قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾ [الإسراء: ٢١] أي: كما هم متفاوتون في الدنيا: هذا فقير مدقع، وهذا غني مُوَسَّع عليه، فكذلك هم في الآخرة: هذا في الغُرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغَمَرات في أسفل الدركات. وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: «**قد أفلح مَنْ أسلم ورُزِق كَفَافا، وقَنَّعه الله بما آتاه**». رواه مسلم من حديث ابن عَمْرو[1].

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء

(١) مسلم (١٠٥٤).

والثواب، كما ثبت في الحديث: يقول الله تعالى: «**أنْفق أنْفق عليك**»[(١)]. وفي الحديث: «**أن ملكين يَصيحان كل يوم، يقول أحدهما: اللهم أعط مُمْسِكا تَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقا خَلَفًا**»[(٢)].



س: هل كل شيء ينفقه الشخص يخلف الله به عليه؟

ج: ليس كل من يُنفق يوعد بأن يخلف الله عليه، فالذي ينفق في معصية الله ومساخطه لا يدخل في هذا الوعد، وإنما المراد ما يتقرب به إلى الله وكذا عموم أعمال الخير والبر، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: أما ما أنفق في معصية فلا خلاف أنه غير مثاب عليه ولا مخلوف له وأما البنيان فما كان منه ضروريًّا يكن الإنسان ويحفظه فذلك مخلوف عليه ومأجور ببنيانه وكذلك كحفظ بنيته وستر عورته.



بعض الوارد في الحث على الإنفاق

س: اذكر بعض الأدلة الواردة في الحث على الإنفاق والتي تبين أن الله ﷻ يُخلف على المنفق.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ

(١) البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) بنحوه.

عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾) [آل عمران: ٩٢].

وقوله تعالى: (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾) [سبأ: ٣٩].

وقوله تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾) [البقرة: ٢٦١].

وقوله تعالى: (قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) [إبراهيم: ٣١].

وقوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾) [الليل: ٥-٧].

وقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾) [الأنفال: ٣].

وقوله تعالى: (وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ) [التوبة: ١٢١].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

أما الأحاديث فمنها ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك**»[(١)].

وما أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا**».

وأخرج البخاري[(٣)] ومسلم من حديث أسماء رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ما لي مال إلا ما أدخل على الزبير فأتصدق؟ قال: «**تصدقي ولا تُوعي**

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٤٩٧)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٠٤)، ومسلم (مع النووي ٧/ ٩٥).
(٣) البخاري (مع الفتح ٥/ ٢١٧)، ومسلم (٧/ ١١٩).

فيُوعي عليك».

وأخرجا[١] أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار».

وأخرج البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يملكه في الحق فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل».

وما أخرجه مسلم[٣] من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تمسكه شرٌّ لك ولا تُلام على كفافٍ، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى».

وأخرج البخاري[٤] من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة ، والآخر يشكو قطع السبيل ، فقال رسول الله ﷺ: «أما قطع السبيل : فإنه لا يأتي عليك إلا قليل ، حتى تخرج العير من مكة بغير خفير ، وأما العيلة : فإن الساعة لا تقوم ، حتى يطوف أحدكم بصدقته ، لا يجد من يقبلها منه ، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ، ولا ترجمان يترجم له ، ثم ليقولن له : ألم أوتك مالا؟

---

(١) البخاري (٩/ ٧٣)، ومسلم (٦/ ٩٧).
(٢) البخاري (٩/ ٧٢).
(٣) مسلم (١٠٣٦).
(٤) البخاري (١٤١٣).

فليقولن : بلى ، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولا ؟ فليقولن : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

والباب به أحاديث كثيرة جدًّا.



قال الله تعالى:

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم
مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا
هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ
ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
﴿٤٥﴾) [سبأ: ٤٠-٤٥]

س: وضح معنى ما يلي:
(يَحْشُرُهُمْ -سُبْحَٰنَكَ -وَلِيُّنَا -بَيِّنَٰتٍ-يَصُدَّكُمْ-إِفْكٌ مُّفْتَرًى -مِعْشَارَ -نَكِيرِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَحْشُرُهُمْ)	يجمعهم (يوم القيامة)
(سُبْحَٰنَكَ)	تنزهت عن كل ما لا يليق بك وتنزهت عن الشريك والمثيل والند والصاحبة والولد
(وَلِيُّنَا)	ناصرنا – متولي أمرنا
(بَيِّنَٰتٍ)	واضحات أنها حق، وأنها من عند الله
(يَصُدَّكُمْ)	يصرفكم
(إِفْكٌ مُّفْتَرًى)	كذبٌ مُختلق
(مِعْشَارَ)	عشر
(نَكِيرِ)	إنكاري وتعذيبي لهم



س: ما وجه السؤال الذي وجه للملائكة في قوله تعالى لهم: (أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾)؟ وهل له نظائر في الكتاب العزيز؟

ج: هذا السؤال على سبيل التوبيخ لمن عبدوا الملائكة، له نظير في كتاب الله كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ...) [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا

(٦٣٦) أحمر
أسود

يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ ...) [الفرقان: ١٧-١٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾).

ج: واذكر يا رسول الله يوم يحشر الله الخلق جميعًا أولهم وآخرهم ثم يوجَّه خطاب للملائكة، وسؤال لهم، سؤال على سبيل التوبيخ لمن عبدوا الملائكة فيقول تعالى لملائكته أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون فيجيبون قائلين تنزهت يا ربنا عن أن يكون لك شريك في الملك، تنزهت يا ربنا عن كل ما يصفك به الواصفون المشركون، أنت يا ربنا متولي أمرنا رضينا بك وليًّا ونصيرًا، لقد كان هؤلاء القوم يعبدون الجن أكثرهم بهم مصدقون، مصدقون الجن فيما تخبرهم به الجن، والله أعلم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعًا، ثم نقول للملائكة: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟ فتتبرأ منهم الملائكة (قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ) ربنا؛ تنزيها لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد (أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ) لا نتخذ وليًّا دونك (بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ).

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: (وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ

إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾) استفهام كقوله لعيسى: (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) [المائدة: ١١٦].

وقوله: (أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾) يقول: أكثرهم بالجن مصدقون، يزعمون أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ؟ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال في سورة الفرقان: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾؟ [الفرقان: ١٧] ، وكما يقول لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]. وهكذا تقول الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تعاليتَ وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ يعنون: الشياطين؛ لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم، ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ ، كما قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هذا متصل بقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ [سبأ: ٣١] أي لو تراهم في هذه الحالة لرأيت أمرًا فظيعًا والخطاب للنبي □ والمراد هو وأمته ثم قال : ولو تراهم أيضًا يوم نحشرهم جميعا

العابدين والمعبودين أي نجمعهم للحساب ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتادة: هذا استفهام كقوله ﷻ لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] قال النحاس: فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيها لك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي أنت ربنا الذي نتولاه ونطيعه ونعبده ونخلص في العبادة له ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي يطيعون إبليس وأعوانه وفي التفاسير: أن حيًّا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله وهو قوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - فاليوم لا يملك بعضكم لبعض كشف ضرٍّ أو جلب نفعٍ، لا تملك الملائكة لأهل الشرك دفع ضرٍّ أو جلب نفعٍ، وكذا لا يملك الكفار بعضهم لبعض جلب نفع أو دفع ضرٍّ، ونقول لأهل الشرك: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون، فقد كانوا في الدنيا ينكرون البعث وينكرون الثواب والعقاب والجنَّة والنار، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعًا ينفعونكم به، ولا ضرًّا ينالونكم به أو تنالونهم به (وَنَقُولُ

﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فقد وردتموها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكُرَبكم، اليوم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًّا، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - وهم المشركون- ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك، تقريعًا وتوبيخًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا﴾ أي شفاعة ونجاة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أي عذابًا وهلاكًا وقيل : أي لا تملك الملائكة دفع ضر عن عابديهم فحذف المضاف ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يجوز أن يقول الله لهم أو الملائكة : ذوقوا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإذا تتلى على أهل الكفر هؤلاء آيات الله ﷻ التي أنزلها على نبيه محمد □ واضحات ظاهرات أنها من عند الله، وصفوا رسول الله □ بما لا يليق به من الأوصاف، ووصفوا القرآن كذلك

بما لا يليق به، فقالوا عن رسول الله ﷺ ما هذا إلا رجل يريد أن يصرفكم عما وجدتم عليه أسلافكم من آبائكم وأجدادكم وغيرهم من أسلافكم، وقالوا: ما هذا إلا كذبٌ مختلق، وقال أهل الكفر للقرآن لما تُلي عليهم ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أن قائله ساحر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات، يقول: واضحات أنهن حق من عندنا (قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ) يقول: قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمدًا، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباوكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم (وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى) يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلا إفك، يقول: إلا كذب مفترى: يقول: مختلق متخرص (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾) يقول جلَّ ثناؤه: وقال الكفار للحق، يعني محمدًا ﷺ، لما جاءهم، يعني: لما بعثه الله نبيًّا: هذا سحر مبين، يقول: ما هذا إلا سحر مبين، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أي أسلافكم من الآلهة التي كانوا يعبدونها ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ يعنون القرآن أي ما هو إلا كذب مختلق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ فتارة قالوا سحر وتارة قالوا إفك ويحتمل أن يكون منهم من قال سحر ومنهم

من قال إفك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب؛ لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غَضَّةً طرية من لسان رسوله ، ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ ، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل -عليهم وعلى آبائهم لعائن الله- ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ يعنون: القرآن، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾).

ج: هذا – والله أعلم – مع ما يحمله ظاهره من أن الله ﷻ ما أرسل إلى العرب من نذير من قبل رسول الله ، وما آتاهم من كتاب منزلٍ من عنده، مع هذا الظاهر فالآية أيضًا تحمل توبيخًا لهم، حاصله كيف تدعون أن هذا القرآن إفك مفترى، وكيف تدعونه أنه سحر مبين، وكيف تنكرون رسالة رسول الله ، وما عندكم كتب شاهدة بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد لما جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين، بما يقولون من ذلك كتبًا يدرسونها، يقول: يقرءونها.

(٦٤٢) أحمر
أسود

أورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا) أي: يقرءونها.

وقال الطبري:

(وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾) يقول: وما أرسلنالى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾) ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيا قبل محمد □.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: (وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ) أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد □، وقد كانوا يَوَدّون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غيرنا، فلما مَنَّ الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا) أي: لم يقرؤوا في كتاب أوتوه بطلان ما جئت به ولا سمعوه من رسول بعث إليهم كما قال : (أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾) [الزخرف : ٢١] فليس لتكذيبهم وجه يتشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين : نحن أهل كتاب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾).

ج: أولًا قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن مشركي مكة ما بلغوا عشر ما آتى الله ﷻ الأمم المتقدمة التي أهلكها وأبادها من القوم والبطش، فقد كانت الأمم المتقدمة أشد منهم بطشًا وأكثر منهم عددًا كالفراعنة وقوم عادٍ وثمود وغير هؤلاء ومع ذلك فقد أهلكهم الله وأبادهم مع كثرتهم وشدتهم وقوتهم.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: (وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشًا) [ق: ٣٦].

والوجه الثاني: أن الأمم التي أهلكها الله لم تُعط مثل هؤلاء المشركين من البينات والحجج، ولم يكن كتابها مثل القرآن، فالقرآن أوضح بيان وأعظم حجة، ومع ذلك قد أهلك الله الأمم المتقدمة المكذبة، فهؤلاء الذين كذبوا بالقرآن أجدر بأن يعذبوا فقد عُذب من هذا أدنى منهم ممن جاءتهم حُجج لكنها دون القرآن.

ثانيًا: قوله تعالى: (فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾) أي: كيف كان إنكاري عليهم لما كفروا لقد كان أخذًا شديدًا.

و هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) يقول: وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا (وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ) يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك

من النعم.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ قال: ما بلغ هؤلاء، أمة محمد ﷺ، معشار ما آتينا الذين من قبلهم، وما أعطيناهم من الدنيا، وبسطنا عليهم ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ يقول: فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم، فانظر يا محمد كيف كان نكير، يقول: كيف كان تغييري بهم وعقوبتي.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: من الأمم، ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا. وكذلك قال قتادة، والسدّي، وابن زيد. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ [الأحقاف: ٢٦]، ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ﴾ [غافر: ٨٢]، أي: وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله؛ ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ أي: فكيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي كذب قبلهم أقوام كانوا أشد من هؤلاء بطشًا وأكثر أموالًا وأولادًا وأوسع عيشًا فأهلكتهم كثمود وعاد ﴿وَمَا بَلَغُواْ﴾ أي ما بلغ أهل مكة ﴿مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾

(٦٤٥) أحمر
أسود

تلك الأمم والمعشار والعشر سواء لغتان وقيل : المعشار عشر العشر الجوهري : ومعشار الشيء عشره ولا يقولون هذا في شيء سوى العشر وقيل : ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم حكاه النقاش وقيل : ما أعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس : فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه وقيل : المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءًا من ألف جزء الماوردي : وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ أي عقابي في الأمم وفيه محذوف وتقديره : فأهلكناهم فكيف كان نكيري.



(٦٤٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ ۞قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ
تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٖ
شَدِيدٖ ٤٦ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٖ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٖ شَهِيدٞ ٤٧ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ٤٨ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا
يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ
فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ
وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ
بَعِيدٖ ٥٢ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ
٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي
شَكّٖ مُّرِيبِۭ ٥٤ ﴾ [سبأ: ٤٦-٥٤]

(٦٤٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَعِظُكُم - بِوَٰحِدَةٍ - مَثْنَىٰ - وَفُرَٰدَىٰ - جِنَّةٍ - نَذِيرٌ لَّكُم - بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ - شَهِيدٌ - يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ - عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ - يُبْدِئُ - ٱلْبَٰطِلُ - وَمَا يُعِيدُ - فَزِعُوا۟ - فَلَا فَوْتَ - وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ - ٱلتَّنَاوُشُ - وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ - بِأَشْيَاعِهِم - مُّرِيبٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَعِظُكُم)	أُذكركم - أحذركم - آمركم
(بِوَٰحِدَةٍ)	بمسألة واحدة - بخصلة واحدة - بكلمة واحدة
(مَثْنَىٰ)	اثنين معًا
(وَفُرَٰدَىٰ)	واحدٌ بمفرده
(جِنَّةٍ)	جنون
(نَذِيرٌ لَّكُم)	منذرٌ لكم - مُحذِّر لكم
(بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)	قبل عذاب شديد، وهو عذاب يوم القيامة
(شَهِيدٌ)	عالمٌ ومطلع ورقيب وشاهد
(يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ)	يُنزل القرآن - يؤيد بالحجج
(عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ)	عظيم العلم بكل شيء يغيب عن الخلق وبكل ما هو آت
(يُبْدِئُ)	يُنشئ - يخلق خلقًا

(٦٤٨) أحمر
أسود

(ٱلْبَٰطِلُ)	الشيطان – كل ما هو ضد الحق
(وَمَا يُعِيدُ)	ما يعيد الخلق أحياء بعد موتهم – ما يُعيد أهل الباطل مقولةً بعد مجيء الحق الواضح
(فَزِعُوا۟)	أصابهم الفزع الشديد مما حلَّ بهم
(فَلَا فَوْتَ)	فلا مهرب – فلا نجاة
(وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ)	جاءهم العذاب – وأخذهم العذاب من مكان قريب، قيل: في الدنيا. وقيل: يوم بدر، وقيل لأول وهلة. وقيل: من تحت أقدامهم.
(ٱلتَّنَاوُشُ)	التناول، والمراد تناول الإيمان في الآخرة، وقيل: تناول الرجوع للدنيا كي يؤمنوا
(وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ)	يتكلمون بما لا علم له به
(بِأَشْيَاعِهِم)	بأمثالهم من أهل الكفر السابقين
(مُّرِيبٍ)	مُحيِّر



س: ما فائدة القيام مثنى وفرادى؟

ج: هذا – والله أعلم – أدعى لمزيدٍ من التفكر والإنصاف.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل : إنما قال : (مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ) لأن الذهن حجة الله على العباد وهو

العقل فأوفرهم عقلًا أوفرهم حظًّا من الله فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة وإذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد والله أعلم.



س: ما المراد بالقيام في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾؟

ج: المراد أن تقوموا بالتناصح لوجه الله ولطلب الحق وليس المراد بالقيام الذي هو ضد الجلوس.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود وهو كما يقال: قام فلان بأمر كذا؟ أي لوجه الله والتقرب إليه وكما قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [النساء: ١٢٧].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء الذين وصفوك بالجنون، وكذبوك قل لهم: إنما أُذكركم بواحدة، وأطلب منكم مسألة واحدة، وهي أن يقوم كل اثنين منكم مع بعضهما بمعزل عن الآخرين، ويتناقش الاثنان ويتواعدان قبل المناقشة أن يصدقا في حديثهما معًا إذا تحدثا ثم يقول كل واحدٍ منهما للآخر بعد تفكرٍ ووعدٍ بصدق الحديث، ما تقول في

محمد ﷺ؟! فسيكون الجواب قطعًا إنه لصادقٌ وأمين ليس بمفترٍ ولا كذاب.

ويؤكد الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ أي: ما هو إلا مُحذر ومنذرٌ قبل حلول العذاب بكم يوم القيامة. هذا وجهٌ وثمَّ وجهٌ آخر في تفسير مطلع الآية الكريمة حاصله قل إنما أعظكم بمسألة واحدة، وهي طاعة الله ﷻ.

وقيل: قل إنما آمركم باتباع القرآن، وقيل: قل إنما آمركم بكلمة واحدة وهي كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

فيكون قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ...﴾ حاصل معناه.

قل إنما أُذكركم بمسألة واحدة وهي طاعة الله فقوموا فيما بينكم، ليقم منكم الاثنان معًا أو الواحد بمفرده ويتفكر في صدق رسول الله لما دعاه إلى طاعة الله هل هو صادق في دعواه أم لا، فسيجد قطعًا أنه ﷺ صادق بلا شك ولا ريب.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله.

وقوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ يقول: وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، ﴿وَفُرَادَى﴾ فرادى فأن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة.

وقيل: إنما قيل: إنما أعظكم بواحدة، وتلك الواحدة أن تقوموا لله

(٦٥١) أحمر
أسود

بالنصيحة وترك الهوى. (مَثۡنَىٰ) يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد ﷺ جنونًا قط؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردًا هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم.

وقوله: (ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ) يقول: لأنه ليس بمجنون.

وقوله: (إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦) يقول: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها، وقوله: هو كناية اسم محمد ﷺ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ) تمم الحجة على المشركين ؟ أي قل لهم يا محمد: (إِنَّمَآ أَعِظُكُم) أي أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه. (بِوَٰحِدَةٍۖ) أي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك وإثبات الإله قال مجاهد: هي لا إله إلا الله وهذا قول ابن عباس والسدي. وعن مجاهد أيضًا: بطاعة الله، وقيل: بالقرآن؟ لأنه يجمع كل المواعظ وقيل: تقديره بخصلة واحدة، ثم بيَّنها بقوله: (أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ) فتكون (أن) في موضع خفض على البدل من واحدة أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي هي أن تقوموا. ومذهب الزجاج أنها في موضع نصب بمعنى لأن تقوموا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ أي: إنما آمركم بواحدة، وهي: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ أي: تقوموا قياما خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضا،

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس قال: صَعدَ النبي الصفا ذات يوم، فقال: «**يا صباحاه**». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبّحكم أو يُمَسّيكم، أما كنتم تصدقوني؟**» قالوا: بلى. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] [1].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين: إنني ما سألتكم على دعوتي إلى توحيد الله واتباعه والإيمان به وطاعته. ما سألتكم على ذلك أجرًا، ولا سألتكم أن تجعلوا إليَّ جُعلًا، وإن كان قد صدر في ذلك، وما صدر فهذا الأجر لكم لا حاجة لي فيه، وهذا الجُعل لكم لا حاجة لي فيه إنما أطلب الأجر من الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو شهيد عليَّ ومطلع على ما أقوال، ومطلع على قلبي ونواياي.

وبنحو هذا قال العلماء.

---

(١) البخاري (٤٨٠١).

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذبيك، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جعل على إنذاركم عذاب الله، وتخويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله، والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهموني، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي: جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ يقول: لم أسألكم على الإسلام جعلا.

وقوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلا على الله ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي جعل على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي ذلك الجعل لكم إن كنت سألتكموه ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ أي رقيب وعالم وحاضر لأعمالي وأعمالكم لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله أن يقول للمشركين: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أريد منكم جُعلا ولا عَطاء على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله (

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾) أي: عالم بجميع الأمور، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه.



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾).

ج: هنا اتجاهان متقاربان في تفسير الآيتين الكريمتين:

أحدهما: قل يا رسول الله إن ربي ﷻ ينزل الوحي من السماء، وهو القرآن، فيقذف به على الباطل فيمحقه ويدفعه، وربي ﷻ علام الغيوب يعلم ما غاب وما ظهر وما هو كائن في النفوس فينزل ما يصلحها. وقل أيضًا يا رسول الله: جاء القرآن وما يُنشئ الشيطان شيئًا ولا يخلق خلقًا ولا يُعيد ميتًا حيًّا بعد موته.

الثاني: قل يا رسول الله إن الله ﷻ يأتي رسوله بالحجج البينات النيرات الواضحات وهو أعلم بعباده فيأتيهم بما يدفع به الباطل عنه، وقل يا رسول الله لقد جاءت الحجج من الله ولم يبق للباطل شيئًا ينشؤه ولا يعيده، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك: (إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد □ (عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾) يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مظهر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الرب، غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر، وكذلك

(٦٥٥) أحمر
أسود

تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر، في أن أتبعوا النعت إعراب ما في الخبر، فقالوا: إن أباك يقوم الكريم، فرفع الكريم على ما وصفت، والنصب فيه جائز؛ لأنه نعت للأب، فيتبع إعرابه (قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ) يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله (وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ) يقول: وما ينشىء الباطل خلقًا، والباطل هو فيما فسره أهل التأويل: إبليس (وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾) يقول: ولا يعيده حيًّا بعد فنائه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: (إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ) : أي بالوحي (عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ) أي: القرآن (وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾) والباطل: إبليس، أي: ما يخلق إبليس أحدًا ولا يبعثه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾) فقرأ (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ...) إلى قوله: (وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾) [الأنبياء: ١٨] قال: يزهق الله الباطل، ويثبت الله الحق الذي دمغ به الباطل، يدمغ بالحق على الباطل، فيهلك الباطل ويثبت الحق، فذلك قوله: (قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾)، كقوله تعالى: (يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ) [غافر: ١٥]. أي: يرسل الملك إلى مَنْ يشاء من عباده من أهل الأرض، وهو علام الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض.

وقوله: (قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾) أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهبَ الباطل وزهق واضمحل، كقوله: (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ) [الأنبياء: ١٨]، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم

الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يَطعنُ الصنم بسِيَة قَوْسِه، ويقرأ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة.

وزعم قتادة والسدي: أن المراد بالباطل ها هنا إبليس، إنه لا يخلق أحدا ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك. وهذا وإن كان حقًّا ولكن ليس هو المراد هاهنا والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي يبين الحجة ويظهرها قال قتادة: بالحق بالوحي وعنه: الحق القرآن.

وقال القرطبي كذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ قال سعيد عن قتادة: يريد القرآن. النحاس: والتقدير جاء صاحب الحق أي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ قال قتادة: الشيطان أي ما يخلق الشيطان أحدًا ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ فـ(ما) نفي. ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى أي شيء؛ أي جاء الحق فأي شيء بقي للباطل حتى يعيده ويبدئه أي فلم يبق منه شيء كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: ٨] أي لا ترى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا

(١) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١).

(٦٥٧) أحمر
أسود

﴿يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله إن ابتعدت عن طريق الحق والصواب وحدت عنه فإن ضرر ذلك واقعٌ عليَّ ولاحق بي، وإن اهتديت إلى طريق الحق والصواب فذلك من فضل الله عليَّ بما أوحاه إليَّ من القرآن، فإن آيات هذا الكتاب العزيز بصائر تنير الطريق وترشد الضال.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ فمعناه أن الله ﷻ سميع لكل الأقوال والحركات قريب يجيب دعوة الداعي كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا»[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضره، ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ يقول: وإن استقمت على الحق ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ﴾ يقول: فبوحي الله الذي يوحي إلي، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) انظر البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، والنسائي في الكبرى (١١٤٢٧).

﴿أَضِلُّ﴾ أي إثم ضلالتي على نفسي ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من الحكمة والبيان ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ أي سميع ممن دعاه قريب الإجابة. وقيل وجه النظم: قل إن ربي يقذف بالحق ويبين الحجة، وضلال من ضل لا يبطل الحجة، ولو ضللت لأضررت بنفسي لا أنه يبطل حجة الله، وإذا اهتديت فذلك فضل الله إذ ثبتني على الحجة إنه سميع قيريب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ولو ترى إذا أصيب أهل الكفر بفزعٍ شديد يحلُّ بهم، ولم يستطيعوا الهرب ولا النجاة، وقد أخذوا للعذاب من مكان قريب ليس بالبعيد لرأيت منظرًا بشعًا مخيفًا مزعجًا، ولرأيت حالتهم المزرية المخزية.

هذا، وقد ذكر أهل العلم في وقت هذا الفزع أقوالًا:

أحدها: أنه عندما يحيط بهم عذابٌ في الدنيا ويحلُّ بهم ويوقنوا أنهم هلكى ولا يستطيعون فرارًا، فعليه المكان القريب حاصل معناه أنه الدنيا، أي، وجاءهم العذاب الذي لا يستطيعون التخلص منه في الدنيا قبل الآخرة.

الثاني: أن ذلك كان في غزوة بدر حينما أحلَّ الله ﷻ بالمشركين بأسه ونقمته، ولم يستطيعوا فرارًا ولا هربًا، والمكان القريب الدنيا.

الثالث: أن ذلك عند الموت، وحلوله بهم.

الرابع: أن ذلك عند خسفٍ يصيبهم في الدنيا لا يستطيعون منه فرارًا ولا

نجاة، والمكان القريب تحت أرجلهم.

الخامس: أن ذلك قبل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

السادس: أن ذلك يوم القيامة عند الخروج من القبور والمكان القريب المراد به (عند هؤلاء القائلين بذلك) هو أخذهم لأول وهلة.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو ترى يا محمد إذ فزعوا.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية؛ فقال بعضهم: عني بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ قال: وعني بقوله: ﴿إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ عند نزول نقمة الله بهم في الدنيا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ ...﴾ إلى آخر السورة، قال: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين.

قال الطبري:

وقال آخرون: عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض.

وقال آخرون: بل عنى بذلك المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة عن الحسن قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ قال: فزعوا

يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم.

وقال قتادة: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾) حين عاينوا عذاب الله.

قال الطبري:

والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبراً لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله (فَلَا فَوۡتَ) يقول: فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هربًا، وينجوا من عذابنا.

وقوله: (وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾) يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولو ترى -يا محمد-إذ فَزِع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، (فَلَا فَوۡتَ) أي: فلا مفرَّ لهم، ولا وزر ولا ملجأ (وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾) أي: لم يُمَكَّنُوا أن يُمنعوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة.

والصحيح: أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلًا بذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : (﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ﴾) ذكـر أحـوال الكفـار في وقـت مـا يضطرون فيه إلى معرفة الحق. والمعنى : لو ترى إذا فزعوا في الدنيا عند نـزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم روي معناه عن ابن عباس. الحسـن: هـو فـزعهم في القبـور مـن الصيحة وعنـه أن ذلـك الفـزع إنما هـو إذا خرجـوا مـن قبـورهم، وقالـه قتـادة. وقـال ابـن مغفـل: إذا عـاينوا عقـاب الله يـوم القيامـة. السـدي: هـو فـزعهم يـوم بـدر حـين ضـربت أعنـاقهم بسـيوف الملائكـة فلـم يسـتطيعوا فـرارًا ولا رجوعًـا إلـى التوبـة. سـعيد بـن جبيـر: هـو الجـيش الـذي يخسـف بهـم في البيـداء فيبقـى مـنهم رجـل فيخـبر النـاس بمـا لقـي أصـحابه فيفزعون فهذا هو فزعهم (﴿فَلَا فَوۡتَ﴾) فلا نجاة قالـه ابـن عبـاس. مجاهـد: فـلا مهرب (﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١﴾) أي من القبور وقيل: من حيث كـانوا، فهـم مـن الله قريب لا يعزبون عنه ولا يفوتونه.



س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهـل الكفـر لمـا عـاينوا العـذاب ورأوه قالوا: آمنا بالقرآن وبرسول الله ﷺ، وآمنا بالله وحده لا شريك له، ولكن من أي وجهٍ يمكنهم الرجوع إلى الدنيا لتناول الإيمان، أنى لهم الرجعة إلى الدنيا كي يؤمنوا، فقد أصبحوا بعيدين عن الدنيا فقد انقضت وذهبت.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله: آمنا به، يعني: آمنا بالله وبكتابه ورسوله.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ) عند ذلك، يعني: حين عاينوا عذاب الله.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ) بعد القتل، وقوله: (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) يقول: ومن أي وجه لهم التناوش.

وأورد الطبري قراءتين في قوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ هي (ٱلتَّنَاوُشُ)، و«التناؤش»، وقال:

وقالوا آمنا بالله، في حين لا ينفعهم قيل ذلك، فقال الله: (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) أي: وأين لهم التوبة والرجعة، أي: قد بعدت عنهم، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها، وإنما وصفت ذلك الموضع بالبعيد، لأنهم قالوا ذلك في القيامة فقال الله: أنى لهم بالتوبة المقبولة، والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدًا من الآخرة، فبأي القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾) قال: هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم، وقرأ (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ...) الآية، قال: التناوش: التناول، وأنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها في الدنيا، قال: وهذا بعد الموت في الآخرة.

قال: وقال ابن زيد في قوله: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ) بعد القتل (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾) وقرأ (وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ) [النساء: ١٨] قال: ليس

لهـم توبـة، وقـال: عـرض الله عليهم أن يتوبـوا مـرة واحـدة، فيقبلهـا الله منهم، فأبوا، أو يعرضون التوبة بعد الموت، قـال: فهـم يعرضـونها في الآخـرة خمس عرضات، فيأبى الله أن يقبلها منهم، قال: والتائب عند المـوت ليست لـه توبـة (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ...) [الأنعـام: ٢٧] الآيـة، وقـرأ (رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢) [السجدة: ١٢].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بـالله وبكتبه ورسله، كما قـال تعـالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ ﴾ [السجدة: ١٢]؛ ولهـذا قـال تعـالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ٥٢ ﴾ أي: وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد.

قـال مجاهـد: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ)، قـال: التناول لـذلك، وقـال الزهـري: التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة، وقد انقطعت عنهم الدنيا، وقال الحسن البصري: أما نهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد.

وقال ابن عباس: طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه، ولـيس بحين رجعة ولا توبة.

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: (وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن

مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾).

ج: الظاهر – والله أعلم – أن معنى ذلك أن هؤلاء الذين قالوا لما عاينوا العذاب: آمنا به، قد كفروا بالله ﷻ وبكتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ، وكانوا في الدنيا يقذفون بالغيب، أي يرمون رسول الله ﷺ بناء على الظنون، فيقولون ساحر، ويقولون شاعر، ويقولون مجنون، كل ذلك بلا تدقيق منهم فيما يقولونه كالذي يرجم بالغيب، وكالذي يرمي من مكان بعيد ولا يصيب برميه شيئًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ) يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم، ومعاينتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله وبمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ) : أي بالإيمان في الدنيا.

وقوله: (وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾) يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدًا من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾) أي: يرجمون بالظن، يقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: بالقرآن.

(٦٦٥) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل؟

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾: قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: بالظن.

قلت: كما قال تعالى: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]، فتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: مجنون. إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد، ويقولون: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ [الجاثية: ٣٢].

قال قتادة: يرجمون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بالله ﷻ، وقيل: بمحمد ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحقه: هو يقذف ويرجم بالغيب ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ على جهة التمثيل لمن يرجم ولا يصيب، أي يرمون بالظن فيقولون: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار رجمًا منهم بالظن قاله قتادة وقيل: يقذفون أي يرمون في القرآن فيقولون: سحر وشعر وأساطير الأولين. وقيل: في محمد فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ أي إن الله بعد لهم أن يعلموا صدق محمد. وقيل: أراد البعد عن القلب، أي من مكان بعيد عن قلوبهم. وقرأ مجاهد (**ويقذفون بالغيب**) غير مسمى الفاعل أي يرمون به. وقيل: يقذف به إليهم من يغويهم ويضلهم.



(٦٦٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وجُعِل حائلٌ بين أهل الكفر وبين ما يحبونه ويهوونه كما فُعِل بأسلافهم ومن كان على طريقتهم من أهل الكفر من قبل إنهم كانوا في شكٍّ مُحيِّر.

أما ما الذي كان أهل الكفر يشتهونه، وحيل بينهم وبينه.

فلأهل العلم في تعيينه أقوال:

أحدهما: أنه الإيمان بالله، فقد كانوا يحبون الرجوع للإيمان.

الثاني: أنه طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، وإجابة المرسلين.

الثالث: أنه طاعة الله مطلقًا.

الرابع: أنه أولادهم وزوجاتهم وبناتهم الذين كانوا يحبونهم في الدنيا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: آمنا به (وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا.

وقال آخرون: معنى ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ قال:

في الدنيا التي كانوا فيها والحياة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأن القوم إنما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا، ما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه، وقالوا آمنا به فقال الله: وأنى لهم تناوش ذلك من مكان بعيد، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا. فإذا كان ذلك كذلك فلأن يكون قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ خبراً عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبراً عن غيره.

وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يقول: فعلنا بهؤلاء المشركين؛ فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعاينتهم بأسه، كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم؛ فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم.

والأشياع: جمع شيع، وشيع: جمع شيعة؛ فأشياع جمع الجمع.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا، كانوا إذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم إيمان.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الإيمان؛ إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك، من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، أن الله مهلكهم، ومحل بهم عقوبته في عاجل الدنيا، وآجل الآخرة قبل نزوله بهم، ﴿مُّرِيبٍ﴾ يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه، من قولهم: قد أراب الرجل إذا أتى ريبة وركب فاحشة، كما قال الراجز:

(٦٦٨) أحمر
أسود

يـا قـوم مـا لـي وأبـا ذؤيـب؟ كنـت إذا أتوتـه مـن غيـب
يشـم عطفـي ويبـز ثـوبي كأنمـا أربتـه بريـب

يقول: كأنما أتيت إليه ريبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي: كانوا في الدنيا في شكٍّ وريبة، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب.

قال قتادة: إياكم والشك والريبة. فإنه من مات على شك بُعِثَ عليه، ومن مات على يقين بعث عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قيل: حيل بينهم وبين النجاة من العذاب. وقيل: حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من أموالهم وأهليهم. ومذهب قتادة أن المعنى أنهم كانوا يشتهون لما رأوا العذاب أن يقبل منهم أن يطيعوا الله جل وعز وينتهوا إلى ما يأمرهم به الله فحيل بينهم وبين ذلك؛ لأن ذلك إنما كان في الدنيا وقد زالت في ذلك الوقت. والأصل «حول» فقلبت حركة الواو على الحاء فانقلبت ياء ثم حذفت حركتها لثقلها ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ الأشياع جمع شيع، وشيع جمعه شيعة ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي بمن مضى من القرون السالفة الكافرة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ﴾ أي من أمر الرسل والبعث والجنة والنار.

وقيل : في الدين والتوحيد والمعنى واحد ﴿مُّرِيبٍ ۝٥٤﴾ أي يستراب به يقال : أراب الرجل أي صار ذا ريبة فهو مريب. ومن قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال: يقال شك مريب؟ كما يقال: عجب عجيب وشعر شاعر في التأكيد.

تم بحمد الله تفسير سورة سبأ

تفسير سورة فاطر

قال الله تعالى:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ
وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ
فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ
ٱلۡأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ
وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ
وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾
وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ
كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ
وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ
هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ
أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: ١-١١].

(٥٠٦) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَاطِرِ -رَّحْمَةٍ -يُمْسِكْ -مُرْسِلَ -فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ -تَغُرَّنَّكُمُ -ٱلْغَرُورُ -حِزْبَهُۥ - ٱلسَّعِيرِ -زُيِّنَ لَهُۥ -سُوٓءُ عَمَلِهِۦ -حَسَرَٰتٍ -فَتُثِيرُ -بَلَدٍ مَّيِّتٍ -ٱلنُّشُورُ -ٱلْعِزَّةَ -يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ -يَبُورُ -وَمَا يُعَمَّرُ -مُّعَمَّرٍ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَاطِرِ﴾	خالق (على غير مثالٍ سابق)
﴿رَّحْمَةٍ﴾	خير – نعمة
﴿يُمْسِكْ﴾	يمنع – يُغلق
﴿مُرْسِلَ﴾	باسط – مُنعم – مُسدي
﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾	من أي وجه تنصرفون عن الحق إلى الباطل
﴿تَغُرَّنَّكُمُ﴾	تخدعنكم
﴿ٱلْغَرُورُ﴾	الشيطان
﴿حِزْبَهُۥ﴾	جماعته وجنوده
﴿ٱلسَّعِيرِ﴾	النار المستعرة
﴿زُيِّنَ لَهُۥ﴾	حُسِّن له
﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾	عمله السيئ
﴿حَسَرَٰتٍ﴾	أحزان – تحسرات وتندمت
﴿فَتُثِيرُ﴾	فتهيج – فتحرك

﴿بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾	أرض ليس فيها زرع ولا نبات
﴿ٱلنُّشُورُ﴾	الخروج من القبور
﴿ٱلْعِزَّةَ﴾	الغلبة – التعزز – القوة
﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	يفعلون السيئات والمراد هنا الشرك
﴿يَبُورُ﴾	يبطل ويذهب ثوابه
﴿وَمَا يُعَمَّرُ﴾	ما يطول من عمره
﴿مُّعَمَّرٍ﴾	طويل العمر – عمره طويل



س: ما مدى صحة الأثر الذي ذكره ابن كثير عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها؟

ج: أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث، والبيهقي في شعب الإيمان[1]، من طريق إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن ابن عباس، وإبراهيم فيه مقال.



شيءٌ من ذكر الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

س: قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من؟

ج: إلى من يشاء من خلقه، وبالذي يُريد من أمره.

* فالملائكة رسلٌ إلى الأنبياء والمرسلين من البشر يوحون إليهم ما يشؤه الله.

---

(١) غريب الحديث (٣٧٣/٤)، والبيهقي في الشعب (٢١١/٣، ٢١٢).

قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١].

* وكذا فمن الملائكة رسلٌ لقبض الأرواح عند استيفاء الآجال، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

* وكذا فالملائكة رسل لكتابة الأعمال قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

* كذا ويرسلون لتبشير أقوام ولإهلاك آخرين قال تعالى في شأن الملائكة مع إبراهيم عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

* وكذا قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٧٠].

* وأحيانًا يرسلون لاختبار العباد كما في حديث الأبرص والأقرع والأعمى[(١)]. فقد أرسل إليهم ملك لاختبارهم.

* وترسل لشهود الصلوات وحضور الجُمع والجماعات خاصة صلاة الفجر والعصر في جماعة[(٢)]، وكذا تؤمن على تأمين المصلين مع الإمام.

وترسل أحيانًا للقتال مع أهل الإيمان ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

---

(١) البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٢) انظر البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).

مُّرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٩].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من يشاء من عباده وفيما شاء من أمره.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن الله ﷻ خلق الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربع، ومنهم من له أكثر من ذلك.

فقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ يرى جمهور العلماء أن المراد هنا زيادة عدد الأجنحة لمن يشاء من الملائكة وبالعدد الذي يشاؤه الله، وإن كان من أهل العلم من ذهب إلى أن قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ أعم من أن يكون متعلقًا بأجنحة الملائكة، فأدخل في ذلك حسن الصوت وصباحة الوجه، وملاحة الشخص، واتساع العين إلى غير ذلك، فالله أعلم.



س: اذكر بعض الوارد في أجنحة الملائكة.

ج: من ذلك أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له ستمائة جناح؛ فقد قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ٩، ١٠]، أنه محمد ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[1].

وفي الحديث الآخر: طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه[2].

---

(١) البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤)، وانظر مسند أحمد (٤١٢/١).

(٢) أحمد (١٨٥/٥) بسندٍ صحيح.

وفي حديث صفوان بن عسال المرادي أن النبي ﷺ قال: ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع(١).

وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سينزل واضعًا كفيه على أجنحة ملكين ثبت الخبر بذلك عند مسلم(٢).

والأدلة في هذا الباب كثيرة، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾.

ج: يحمد ربنا عَزَّ وَجَلَّ نفسه فهو أهلٌ؛ لأن يُحمد، وكذا يحثنا ربنا عَزَّ وَجَلَّ على حمده، فالحمد لله والشكر الكامل كل الشكر لله عَزَّ وَجَلَّ خالق السموات والأرض على غير مثالٍ سابق، لم يكن له شريك في خلقهما هو سبحانه الذي خلق الملائكة وجعلهم رسلًا إلى خلقه بما يريد، فمنهم رسلٌ بالوحي إلى الأنبياء والمرسلين، ومنهم بغير ذلك، قد جعل الملائكة متفاوتين في الخلق فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربع ومنهم من له أكثر من ذلك فهو يخلق ما يشاء، ويزيد للملائكة ما يشاء من الأجنحة إنه على كل شيء قدير. قدير على فعل أي شيء، وعلى إمضاء أي شيء يريده، وعلى خلق أي شيء، فهو ذو قدرة على كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

(١) صحيح لغيره، وقد أخرجه عبد الرزاق (٢٣٩/٤)، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أبي داود (٣٦٤٢).
(٢) مسلم (٢٩٣٧).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض، ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ يقول: أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ قال: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى.



س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

ج: من الآيات في معناها:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ

لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧].

ومن الأحاديث قوله ﷺ في أدعيته دبر الصلاة وبعد الركوع: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ** »[(١)].

وفي الحديث كذلك: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعَت عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»[(٢)].



س: ما المراد بالرحمة في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ ﴾؟

ج: المراد – والله أعلم – أي نوع من أنواع الخير وأي نعمة من النعم فخزائن كل شيء عند الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

فتشمل الرحمة الغيث النازل من السماء يرحم الله به العباد وتشمل الرزق الواسع، والعلم النافع، والمال والبنين، والصحة والعافية والمنصب والجاه وعموم الخير.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد أن ذكر صورًا في تفسير الرحمة):

ولفظ الرحمة يجمع ذلك، إذ هي منكرةٌ للإشاعة والإبهام، فهي متناولة

---

(١) كان يقول ذلك ﷺ بعد الرفع من الركوع، وكذا بعد الانصراف من الصلاة انظر البخاري (٨٤٤، ٦٣٣٠..)، ومسلم (٤٧٧).

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٤/٤٠٩) وغيرهما.

لكل رحمة على البدل، فهو عام في جميع ما ذكر.



س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– ما يفتح الله ﷻ شيئًا من أبواب رحمته ومن خزائنه كي يكرم عبدًا من العباد بشيء، أي شيء كان فلا يستطيع أحدٌ منع ذلك ولا إمساك ذلك، وما يمنع الله ﷻ من شيء عن أي شخص كان فلن يستطيع أحدٌ إيصال هذا الخير لهذا الشخص.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيز غالبٌ على أمره يفعل ما يريده سبحانه وتعالى، ويقضي بما يشاء، حكيم في كل شيء يصنعه، في كل عطاء يعطي، وفي كل منع يمنع حكيم في كل ذلك، وفي غير ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أي: من خير ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾ فلا يستطيع أحد حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ وقال تعالى ذكره: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾ فأنث ما لذكر الرحمة من بعده وقال: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ فذكر للفظ «ما» لأن لفظه لفظ مذكر، ولو أنث في موضع التذكير للمعنى وذكر في موضع التأنيث للفظ، جاز، ولكن الأفصح

من الكلام التأنيث إذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها والتذكير إذا لم يظهر ذلك.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يقول: وهو العزيز في نِقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحًا، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة.



س: ما المراد بذكر النعمة في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج: لأهل العلم قولان، وكلاهما صحيح إلا أن أولهما أقوى في هذا المقام، وهو:

❊ أن المراد بذكر نعمة الله، عدم نسيانها ومن ثَمَّ العمل بمقتضى هذا الإنعام، من تقديم شكر لله ﷻ عليها وإفراده وحده بالعبادة؛ إذ هو مُسدي النعم وواهبها ومعطيها.

الثاني: أن المراد التحديث بنعم الله كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].



س: لماذا ذكر نعمة الخلق دون غيرها من النعم؟

ج: ذلك – والله أعلم – لأن أهل الشرك كانوا يقرون بأن الله ﷻ هو خالقهم فخوطبوا بما أقروا به، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وكذا كانوا يقرون بأنه الذي يرزقهم قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ

ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم – مفاده أن الله ﷻ ينادي خلقه ويأمرهم أن يذكروا نعمه عليهم فما هم فيه من نعمةٍ فإنما هي من الله ﷻ، فليعملوا لذلك وليقدموا له شكرًا متمثلًا في توحيده وحمده والعمل بشرائعه والنهي عن ما نهى عنه، وكذا لا يجحدونها بين خلق الله، فالله هو الوهاب، وليس من خالق خلقنا غيره، ولا من رازق رزقنا غيره، لا إله إلا هو فمن أي وجهٍ ينصرف العباد عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ﷺ من قريش: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ التي أنعمها ﴿عَلَيۡكُمۡۚ﴾ بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فتعبدوه دونه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئًا سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه، فله فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالألوهة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ يقول: فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فَليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان؛ ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾، أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟



س: ما المستفاد من إخبار الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ بأن الرسل الذين قبله قد كذِّبوا؟

ج: ذلك –والله أعلم– لمواساته وتصبيره وتثبيته وتعزيته، حتى يصبر كما صبروا ويتأسى بالمرسلين قبله، كما قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وكما قال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وقد أورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعزِّي نبيه ﷺ كما تسمعون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – وإن يكذبك هؤلاء المشركون فلا تجزع ولا

تحزن، فقد كذَّب إخوانك المرسلون وإلى الله مرجع هؤلاء المكذبين ومرجعكم جميعًا فأجازي المحسن بإحسانه وبالحسنى والمسيء بما عمل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله، من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمُحِل بهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك، ومنجيك وأتباعك من ذلك، سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: وإن يكذبك -يا محمد- هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة، فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي: وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لا يخدعنكم بالله الشيطان.

ولذلك صور:

منها: أنه يُغريكم بأن الله ﷻ سيغفر لكم ويتجاوز عن سيئاتكم؛ لأنكم مؤمنون، فافعلوا ما بدا لكم من المعاصي والكبائر، وما شئتم فإن الله غفور رحيم.

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

ومنها: ما غرَّ به اليهود والنصارى لما زيَّن لهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فارتكبوا الكفر وزعموا أن الله له ولد وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

ومنها: ما غر به أبانا آدم فقد أقسم له بالله على صدق مدعاه من أنه سيكون هو وزوجته ملكين أو يكونا من الخالدين، ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ...﴾.

ومن صور تغريره بهم التسويف بالتوبة وعدم المبادرة بها بدعوى أن العمر طويل وإظهاره أن الله غفور رحيم، وإخفاؤه أن الله شديد العقاب أحيانًا، وأحيانًا العكس لتقنيطهم من رحمة الله.



س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن ما وعد الله ﷻ به حقٌّ وصدق، فلا تنصرفوا عنه وتنخدعوا بالدنيا الفانية الزائلة فتصرفكم عن عبادة الله وطاعته بمتاعها وملذاتها، ولا يخدعنكم الشيطان بإخباركم بغير الحقيقة حتى يوقعكم في المآثم والمحرمات والكبائر والشرك، والقنوط من رحمة الله.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد ﷺ، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق، فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يقول: فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله العدات الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ أي: المعاد كائن لا محالة، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تَتَلَهَّوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ وهو الشيطان. قاله ابن عباس. أي: لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرَّار كذاب أفاك. وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣] . قال مالك، عن زيد بن أسلم: هو الشيطان. كما قال: يقول المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب ﴿بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ

(٥٢٠) أحمر
أسود

وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إن الشيطان لكم عدوٌّ يا بني آدم فأنزلوه المنزلة اللائقة به منزلة الأعداء الشريرين المفسدين فتخيل يا ابن آدم أن لك عدوًّا يتربص بك يريد اغتيالك يريد قتلك يريد سلب مالك، يريد الفتك بك فكيف تصنع معه؟! إنك تهرب منه غاية الهرب، وتفرُّ منه غاية الفرار فهكذا الشيطان بل أشد من ذلك فلا تنخدع به فأمره لا يقتصر على قتلك واغتيالك إنما يمتد لإدخالك الجحيم وأن تصلى السعير عياذًا بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله ﴿لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوِّكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾، يعني شيعته ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يقول: ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ فإنه لحقٌّ على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ وحزبه: أولياؤه ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: ليسوقهم إلى النار فهذه

عداوته.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وقال: هؤلاء حزبه من الإنس، يقول: أولئك حزب الشيطان، والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وهذه كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ٥٠﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد إيضاح الدليل على صحة قوله: إن البعث والثواب والعقاب حق ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ قال سعيد بن جبير: غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول: يا ليتني قدمت لحياتي ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ قال ابن السكيت و أبو حاتم: الغرور الشيطان وغرور جمع غر وغر مصدر ويكون الغرور مصدرًا وهو بعيد عند غير أبي إسحاق

لأن غررته متعدٍّ والمصدر المتعدي إنما هو على فعل نحو: ضربته ضربًا إلا في أشياء يسيرة، لا يقاس عليها قالوا: لزمته لزومًا ونهكه المرض نهوكًا فأما معنى الحرف فأحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير قال: الغرور بالله أن يكون الإنسان يعمل بالمعاصي، ثم يتمنى على الله المغفرة وقراءة العامة (**الغرور**) بفتح الغين وهو الشيطان أي لا يغرنكم بوساوسه في أنه يتجاوز عنكم لفضلكم وقرأ أبو حيوة و أبو السمال العدوي ومحمد بن السميقع الغرور برفع الغين وهو الباطل أي لا يغرنكم الباطل وقال ابن السكيت: والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا. قال الزجاج: ويجوز أن يكون الغرور جمع غار مثل قاعد وقعود. النحاس: أو جمع غر أو يشبه بقولهم: نهكه المرض نهوكًا ولزمه لزومًا. الزمخشري: أو مصدر غره كاللزوم والنهوك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ ﴾؟

ج: هذا بيانٌ لمصير أهل الكفر وجزائهم وكذا بيان لمصير أهل الإيمان والعمل الصالح ولجزائهم فالذين كفروا أعد الله لهم عذابًا شديدًا يلقونه يوم يبعثون، وأهل الإيمان لهم مغفرةٌ لذنوبهم وأجر كبير مدخرٌ لهم عند لقاء ربهم، وهو الجنة ورضوان الله ﷻ، ومن المذكور أيضًا عذاب القبر ونعيمه، فمن العذاب الشديد المعدّ لأهل الكفر عذابٌ في قبورهم، وفي المقابل أيضًا أمنٌ وأمانٌ لأهل الإيمان في القبور.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ ﴾ من الله ﴿شَدِيدٞۖ ﴾ وذلك عذاب النار. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ من الله لذنوبهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴾ وذلك الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير، ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد؛ لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴾ على ما عملوه من خير.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾ ، وهل عقبه مقدرٌ محذوف أم لا؟

ج: المعنى –والله أعلم–: أفمن حسَّن له الشيطان عَمَلَه السيئ فرآه بتزيين الشيطان له عملًا حسنًا صوابًا صالحًا مقبولًا، واستمر في ضلالته، وهو يحسبها هدايات، واستمر في منكراته ويحسب ذلك حسنًا وجميلًا وصوابًا، واستمر في شركه ويحسب أنه على خير، أفمن كانت هذه حاله ذهبت نفسك عليه حسرات؟!!

كلا، لا ينبغي أبدًا أن تذهب نفسك عليه حسرات، فجواب أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا فعمل السيئات ذهبت نفسك عليه حسرات؟!

وفي معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ

سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وفي معنى هؤلاء اليهود والنصارى الذين تعبدوا بطرائق باطلة وأشركوا بالله وكذا الخوارج، وطرائق المتصوفة الضالة والمعتزلة والمرجئة وغير هؤلاء.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٣].



س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى إجمالًا –والله أعلم– أفمن حُسِّن له في نظره عمره السيئ، وظهر في عينيه أنه عملٌ حسن فاستمر فيه ودافع عنه، أفمن كانت تلك حاله تأسفت عليه وتحسرت وتقطعت نفسك أحزانًا عليهم وندمًا على ما تركوا من الخير وحزنًا على ما سيلقونه يوم القيامة من أليم العقاب.

ألا فاعلم أن الله ﷻ يضلُّ من يشاء، يصرفه عن الطاعة والإيمان والعمل الصالح، ويهدي من يشاء، ويوفق للخير من يشاء، فلا تتقطع نفسك حسرات عليهم، فالله أعلم بهم منك، وأعلم بصنيعهم منك، وبنحو هذا قال أهل

التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفمن حسَّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسنًا فحسب سيىء ذلك حسنًا، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له. ذهبت نفسك عليهم حسرات، وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ منه، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويهدي من يشاء، يقول: ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ يقول: فلا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ قال قتادة والحسن: الشيطان زيَّن لهم ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي: لا يحزنك ذلك عليهم؛ فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ قال: الحسرات الحزن، وقرأ قول الله: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم،

ومجازيهم به جزاءهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ ﴾ يعني: كالكفار والفجار، يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ أي: بقدره كان ذلك، ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: والقول بأن المراد كفار قريش أظهر الأقوال لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقوله: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ [الكهف: ٦]. وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾ [الشعراء: ٣] وقوله في هذه الآية: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ وهذا ظاهر بيِّنٌ أي لا ينفع تأسفك على مقامهم على كفرهم فإن الله أضلهم وهذه الآية ترد على القدرية قولهم على ما تقدم أي أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا تريد أن تهديه وإنما ذلك إلى الله لا إليك والذي إليك هو التبليغ.



بعض الاستدلالات على البعث

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دلِّل على ذلك؟

ج: قد قدمت الأدلة على ذلك في مواطن كثيرة من كتابي هذا (التسهيل)، ومنها ها هنا:

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾، أي: الخروج من القبور.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ...﴾ [الحج: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ [فصلت: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ١١].



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: والله هو الذي أرسل الرياح فتهيّج هذه الرياح السحب وتحركها من مكان إلى مكان حتى تضمها إلى بعضها، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور: ٤٣]، فيسوق الله ﷻ السحب إلى حيث يريد، يسوقها كذلك إلى بلدةٍ من البلاد التي لا نبات فيها ولا زرع ولا ثمر فتصب السحب – بإذن الله – ماءها في هذه البلاد فيحيي الله ﷻ بهذا الماء النازل من السماء تلك الأرض الميتة فإذا الأرض قد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيج..

فهكذا يخرج الله الموتى من القبور أحياءً بعد إماتتهم. يخرجهم الله أحياء

يوم القيامة، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث ﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ يقول: فسقناه إلى بلد مجدب الأهل، محل الأرض، داثر لا نبت فيه ولا زرع ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي الزعراء عن عبد الله قال: يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم إلا وفي الأرض منه شيء، قال: فيرسل الله ماءً من تحت العرش؛ منيًّا كمني الرجل، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ ...﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ قال: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه فتنطلق كل نفس إلى جسدها فتدخل فيه.

وبأثر حسن عن قتادة قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كثيرًا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها -كما في سورة الحج -ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها،

﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحج: ٥] ، كذلك الأجساد ، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرًا يعمُّ الأرض جميعًا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض؛ ولهذا جاء في الصحيح: «**كلُّ ابن آدم يبلى إلا عَجْب الذَّنَب، منه خلق ومنه يركب**»[1]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: من كان النصر والغلبة والقوة والتأييد على العدو والتعزز وغير ذلك مما تقتضيه معاني كلمة العزة فليعلم أن كل ذلك لله ﷻ فهو العزيز، وهو الذي يعزُّ ويذلُّ ويقبض ويبسط ويرفع ويخفض ويُكرم ويهين فليطلب ما يريده من الله ﷻ، وليتعزز بطاعته لله جل وعلا، فمن كان سائلًا عن العزة فهي لله وهو العزيز، ومن كان يريد التعزز فليطلبه من الله ولينالـه بطاعة الله ﷻ لا من الأصنام والأوثان، ولا من المعبودات من دون الله، ولا من أحد سوى الله .

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فإن العزة لله جميعًا.

وقال آخرون: معنى ذلك من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله.

---

(١) البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ يقول: فليتعزز بطاعة الله.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: من كان يريد علم العزة لمن هي، فإنه لله جميعًا كلها أي: كل وجه من العزة فلله.

والذي هو أولى الأقوال بالصواب: عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضًا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: مَنْ كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ [يونس: ٦٥].

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

[المنافقون: ٨]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ التقدير عند الفراء: من كان يريد علم العزة وكذا قال غيره من أهل العلم أي من كان يريد علم العزة التي

لا ذلة معها لأن العزة إذا كانت تؤدي إلى ذلة فإنما هي تعرض للذلة والعزة التي لا ذل معها لله عز وجل ﴿جَمِيعًاۚ﴾ منصوب على الحال وقدر الزجاج معناه: من كان يريد بعبادته الله عز وجل العزة - والعزة له سبحانه - فإن الله عز وجل يعزة في الآخرة والدنيا.

قلت: وهذا أحسن وروي مرفوعا على ما يأتي ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ ظاهر هذا إيئاس السامعين من عزته وتعريفهم أن ما وجب له من ذلك لا مطمع فيه لغيره فتكون الألف واللام للعهد عند العالمين به - سبحانه - وبما وجب له من ذلك وهو المفهوم من قوله الحق في سورة يونس: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٦٥].

ويحتمل أن يريد سبحانه أن ينبه ذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة ومن أين تستحق فتكون الألف واللام للاستغراق وهو المفهوم من آيات هذه السورة فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع وجدها عنده – إن شاء الله - غير ممنوعة ولا محجوبة عنه، قال ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من غيره وكله إلى من طلبها عنده**» وقد ذكر قوم طلبوا العزة عند من سواه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩] فأنبأك صريحًا لا إشكال فيه أن العزة له يعز بها من يشاء ويذل من يشاء

وقال ﷺ مفسرًا لقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾: «**من أراد عز الدارين فليطع العزيز**» وهذا معنى قول الزجاج ولقد أحسن من قال:

وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها في ذلها

فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة - ولله العزة

فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله.



س: ما المراد بالكلم الطيب؟

ج: المراد، والله أعلم: كل كلم يُرضي الله ويحبه الله ﷻ فيدخل في ذلك ذِكْرُهُ تبارك وتعالى بالتهليل والتكبير والتسبيح والحمد وغير ذلك، كقولنا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبي الله ونعم الوكيل، وغير ذلك.

ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس والحث على الصدقة، ويدخل فيه قراءة القرآن ووعظ الناس وغير ذلك.



س: هل كل كلم طيب لا يرتفع إلا مع عمل صالح؟

ج: ليس الأمر كذلك، وإنما المراد بالكلم؛ الكلم الذي له ارتباط بالعمل.

فعلى سبيل المثال قولنا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر كل ذلك يصعد بإذن الله وإن لم يكن مشفوعًا بعمل صالح.

أما الكلم الطيب الذي له ارتباط بالعمل نفسه ففيه تفصيل فإذا كان الشخص يقول للناس: (لا تغشوا) وهو كبير الغشاشين، أو قال لهم: (لا تزنوا) وهو الزاني الأثيم، ونحو ذلك فإن عمله يدمر قوله كأهل النفاق، يقولون: لا إله إلا الله، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

القول الأول: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولًا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

القول الثاني: إن قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ كلامٌ تامٌّ، ومعناه: أن الكلم الطيب يصعد إلى الله.

وقوله: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ أي: يرفعه الله أو يرفع صَاحِبَه.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ يقول: ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاء إلى ما أمر به.

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي قال: أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ

ٱلصَّـٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق قال: قال كعب: إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لدويًّا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عباس : فإذا ذكر العبد الله وقال كلامًا طيبًا وأدى فرائضه ارتفع قوله مع عمله وإذا قال ولم يؤد فرائضه رد قوله على عمله.

قال ابن عطية : وهذا قول يرده معتقد أهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله وقال كلامًا طيبًا فإنه مكتوب له متقبلًا منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك وأيضًا فإن الكلام الطيب عمل صالح وإنما يستقيم قول من يقول : إن العمل هو الرافع للكلم بأن يتأول أنه يزيده في رفعه وحسن موقعه إذا تعاضد معه كما أن صاحب الأعمال من صلاة وصيام وغير ذلك إذا تخلل أعماله كلم طيب وذكر الله تعالى، كانت الاعمال أشرف فيكون قوله ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ موعظة وتذكرة وحضًّا على الأعمال وأما الأقوال التي هي أعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبولة. قال ابن العربي : «إن كلام المرء بذكر الله إن لم يقترن به عمل صالح لم ينفعه؛ لأن من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا : أن العمل إذا وقع شرطًا في قبول القول أو مرتبطًا فإنه لا قبول له

إلا به وإن لم يكن شرطًا فيه فإن كلمه الطيب يكتب له وعمله السيئ يكتب عليه وتقع الموازنة بينهما ثم يحكم الله بالفوز والربح والخسران».

قلت: ما قاله ابن العربي تحقيق والظاهر أن العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب وقد جاء في الآثار أن العبد إذا قال: لا إله إلا الله بنية صادقة نظرت الملائكة إلى عمله فإن كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا وإن كان عمله مخالفًا وقف قوله حتى يتوب من عمله فعلى هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله والكناية في يرفعه ترجع إلى الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس و شهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبي العالية والضحاك وعلى أن الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالكناية تعود على العمل الصالح.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم–: والذين يمكرون بخلق الله فيعملون بالسيئات (الشرك والكبائر والرياء ونحوها) ويوهمون الناس أنهم على طاعة لهم عذاب شديد.

ومكر هؤلاء المشركين من أهل مكة في باطل وضلال وذهاب وبوار، فهو مكر زائلٌ والله خير الماكرين وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره:

والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن قال: هؤلاء أهل الشرك.

وقال الطبري أيضًا وقوله: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: قال مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، وشَهْر ابن حَوْشَب: هم المراؤون بأعمالهم، يعني: يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بُغَضَاء إلى الله عز وجل، يراؤون بأعمالهم، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢] . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون.

والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، أي: يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنُّهى، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل يُكشَف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وما يعيش شخص عُمرًا طويلًا وزمنًا طويلًا، إلا وعمره مكتوب

عند الله.

وكذا ولا يُنقص من عمر شخص آخر، أي: وما يموت شخص آخر في صغره إلا وعمره مكتوب عند الله.

والثاني: وما يعمر من معمر، ولا ينقص من أيامه ولو يوم واحد إلا والله يعلمه، يعلم ما تبقى من عمره وما بقي.

وسيأتي مزيد من القول في جواب السؤال التالي بإذن الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾؟

ج: حاصلُ معناه – والله أعلم-: أن الله ﷻ ذكَّر عباده بأصل خلقهم فقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي: خلق أباكم آدم عليه السلام من تراب، ثم خلقكم يا بني آدم من نطفة ﴿مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: ٣٧] وكما قال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢] أي أخلاط، فقيل: من نطفة من مني الرجل ومني المرأة، ثم بعد ذلك أخرجكم من بطون أمهاتكم وجعل منكم الذكر والأنثى يتزوجان، وبيَّن الله ﷻ عظيم علمه بقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ في بطنها و﴿وَلَا تَضَعُ ﴾ ما في بطنها إلا بعلم الله بذلك وتقدير الله ذلك، وما يعيش شخصٌ زمنًا طويلًا، ولا ينقص من عمر شخص آخر فيموت صغيرًا أو دون الشيخوخة، إلا وكل ذلك مسطرٌ مكتوب عند الله ﷻ فذلك على الله أمر سهل ويسير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ يعني بذلك أنه

(٥٣٨) أحمر
أسود

خلق أباهم آدم من تراب؛ فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقًا ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني ذريته ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فزوج بعضكم بعضًا.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرًا طويلا ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه، لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ قال: ألا ترى الناس؛ الإنسان يعيش مائة سنة، وآخر يموت حين يولد؟ فهذا هذا، فالهاء التي في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على هذا التأويل، وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول، فهي كناية اسم آخر غيره، وإنما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول، وذلك كقولهم: عندي ثوب ونصفه، والمعنى: ونصف الآخر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يعمر من معمَّر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك هو نقصان عمره، والهاء على هذا التأويل للمعمر

الأول؛ لأن معنى الكلام: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فيُنقَص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب التأويل الأول، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: ذكرًا وأنثى، لطفًا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجًا من جنسكم، لتسكنوا إليها.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء، بل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٨، ٩].

وقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ أي: ما يعطى بعض النُّطف من العمر الطويل يعلمه، وهو عنده في الكتاب الأول، ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ الضمير عائد على الجنس، لا على العين؛ لأن العين الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس.

قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه» أي: ونصف آخر.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعضهم: بل معناه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يكتب من الأجل ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾، وهو ذهابه قليلًا قليلًا الجميع معلوم عند الله سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، ويومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة، الجميع مكتوب عند الله في كتاب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان، سمعت ابن وهب يقول: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سرَّه أن يُبْسَط له في رزقه، ويُنْسَأ له في أجله فليصل رَحِمَه».

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود، من حديث يونس بن يزيد الأيلي، به.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل عليه، يسير لديه علمه بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته، فإن علمه شامل لجميع ذلك لا يخفى عليه منه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ قال سعيد عن قتادة قال : يعني آدم عليه السلام والتقدير على هذا : خلق أصلكم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ قال : أي التي أخرجها من ظهور آبائكم ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ قال : أي زوج بعضكم بعضًا فالذكر زوج الأنثى ليتم البقاء في الدنيا إلى انقضاء مدتها

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ أي جعلكم أزواجًا فيتزوج الذكر بالأنثى فيتناسلان بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع إلا والله عالم به فلا يخرج شيء عن تدبيره ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ سماه معمرًا بما هو صائر إليه.



قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ
تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ
مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

[فاطر: ١٢-١٤]

(٥٤٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:
﴿ٱلْبَحْرَانِ -عَذْبٌ فُرَاتٌ -سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ -مِلْحٌ أُجَاجٌ -ٱلْفُلْكَ -مَوَاخِرَ -لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ -يُولِجُ -لِأَجَلٍ مُّسَمًّى -قِطْمِيرٍ -يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ -وَلَا يُنَبِّئُكَ -مِثْلُ خَبِيرٍ﴾؟
ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾	البحر والنهر
﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾	شديد العذوبة والطعم العذب
﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾	مستساغ عند شربه (تستسيغه النفوس)
﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾	ملح شديد الملوحة والمرارة
﴿ٱلْفُلْكَ﴾	السفن العظيمة الهائلة
﴿مَوَاخِرَ﴾	تشق المياه – تمخرها – شاقة للمياه عند سيرها في البحار
﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾	لتلتمسوا فضل الله بالتجارات ونحوها
﴿يُولِجُ﴾	يدخل
﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	لوقتٍ قد سماه الله وحدَّده
﴿قِطْمِيرٍ﴾	القشرة الرقيقة التي تكون على النواة
﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾	ينكرون كونهم كانوا شركاء الله يتبرؤون من عبادتكم لهم
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾	ولا يخبرك

(٥٤٤) أحمر
أسود

﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	مثل ذو خبرة



س: ما المراد بالبحرين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾؟

ج: المراد بالبحرين (العذب والمالح).

الأنهار (في اصطلاحنا) والبحار المالحة.



س: لماذا أطلق عليهما بحران، وإنما هي بحارٌ وأنهارٌ؟

ج: لذلك، وجهان، والله أعلم:

أحدهما: أن النهر أطلق عليه بحر لاتساعه وقد قال النبي ﷺ عن الفرس: «**وإن وجدناه لبحرًا**» لاتساعه.

الثاني: أنه أطلق على النهر بحرٌ هاهنا تغليبًا كما نقول الأبوان (والمراد الأب والأم) وكما يُقال الشمسان، والمراد الشمس والقمر، وبين كل أذانين صلاة، والمراد الأذان والإقامة والأسودان، والمراد التمر والماء، والله أعلم.



س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾؟

ج: فائدته التذكير بأمور:

* **منها**: التذكير بقدرة الله ﷻ على خلق الشيء وما يقابله، كما قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ...﴾ [يس: ٣٦]، وكما خلق الليل والنهار، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأعمى والبصير، والحلو والحامض، والذكر والأنثى، إلى غير ذلك، فهو أيضًا الذي خلق العذب شديد العذوبة، والمالح شديد الملوحة والمرارة.

(٥٤٥) أحمر
أسود

* ومنها: التذكير بأنه، وكما أنه لا يستوي العذب الفرات مع الملح الأجاج، فكذلك لا يستوي المهتدي مع الضال، ولا المؤمن مع الكافر، ولا الصالح مع الطالح، والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾؟

ج: من هذه الحلية اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾؟

ج: المعنى إجمالًا، وما يستوي البحران (وهما البحر والنهر) في طعومهما وعذوبتهما وملوحتهما، فهذه الأنهار ذات مياهٍ عذبة شديدة العذوبة تستسيغها النفوس وتحبها، وهذا الآخر ملحٌ مرٌّ شديد الملوحة والمرارة، ومن هذا وذلك نأكل اللحم الطري، وهو السمك وتستخرج حلية تلبسها، ومنها اللؤلؤ والمرجان، وترى من قدرة الله ﷻ أن المياه تحمل هذه السفن الهائلة العظيمة، ولو شاء الله لأغرقها فترى السفن العظيمة تمخر المياه تشقها، وذلك عند ركوبكم فيها في أسفاركم، لعلكم تقدموا شكرًا لله على تيسيره هذه لكم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحران فيستويان؛ أحدهما عذب فرات،

والفرات: هو أعذب العذب، وهذا ملح أجاج يقول: والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر، والأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾ والأجاج: المر.

وقوله: ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ يقول: ومن كل البحار تأكلون لحمًا طريًّا، وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ يعني: الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج، وقد بيَّنا قبل وجه ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ﴾ وأنما يستخرج من الملح، فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها، وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدتها ماخرة، يقال منه: مَخَرت تَمْخُر وتمخَر مخرًا، وذلك إذا شقت الماء بصدورها.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ أي: منهما جميعًا ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ هذا اللؤلؤ ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

وقوله: ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم، ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة: وخلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري

والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زُعَاقًا مُرَّة، ولهذا قال: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، أي: مُرّ.

ثم قال: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾ [الرحمن: ٢٢، ٢٣].

وقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ أي: تمخره وتشقه بحيزومها، وهو مقدمها المُسَنَّم الذي يشبه جؤجؤ الطير -وهو: صدره.

وقال مجاهد: تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بأسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: يُدخل الليل في النهار، وذلك عندما يقصر الليل ويطول النهار ويدخل النهار في الليل، فيأخذ الليل جزءًا من النهار، وذلك عندما يقصر النهار ويطول الليل، وسخر الشمس والقمر

يجريان لأجل قد حدَّده الله ﷻ ذلكم الله ربكم وحده لا شريك له هو المعبود وحده لا رب غيره، ولا إله سواه، والذين يعبدون من دونه ما يملكون قشرة النواة الخفيفة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ يقول: وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار.

وقوله: ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ يقول: كل ذلك يجري لوقت معلوم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أجل معلوم، وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم.

وقوله: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها

في هـذه الآيـات الـذي لـه الملـك الكامـل، الـذي لا يشـبهه ملـك، صـفته (مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾) يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها.

وأورد من عدة وجوهٍ أن القطمير قشر النواة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ أي: هـذا الـذي مـن صـنعه مـا تقـرر هـو الخـالق المـدبر والقـادر المقتـدر فهـو الـذي يعبـد ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعنـي الأصـنام ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ أي لا يقـدرون عليـه ولا علـى خلقـه والقطمير : القشرة الرقيقة البيضاء التي بين الثمرة والنواة قاله أكثر المفسرين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًـا مـن قدرتـه التامـة وسـلطانه العظيـم، في تسـخيره الليـل بظلامـه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده على قصر هذا فيعتدلان. ثـم يأخـذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضـان صـيفًا وشـتاء، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ أي: والنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضـوائهن أجـرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلـى منهـاج مقنـن محـرر، تقـديرًا من عزيز عليم.

﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أي: إلى يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ أي: الذي فعـل هـذا هـو الـرب العظـيم، الـذي لا إلـه غيـره، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: مـن الأنـداد والأصـنام التـي هـي علـى صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾.

قـال ابـن عبـاس، ومجاهـد، وعِكْرِمَـة، وعطـاء وعطيـة العَـوْفي، والحسـن، وقتـادة وغيـرهم: القطميـر: هـو اللفافـة التـي تكـون علـى نـواة التمـرة، أي: لا

يملكون من السموات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا القطمير.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: إذا سألتم يا أهل الشرك هذه الآلهة التي عبدتموها مع الله ﷻ ما سمعت دعاؤكم ولا فهمت ولا وعت، وإن قُدِّر، وأنها سمعت بما يقذفه الله فيها من قدرة على السماع إن شاء ما أجابتكم إلى طلبكم ثم يوم القيامة تكفر هذه الآلهة بعبادتكم لها وتنكر عبادتكم إياها وكونها كانت شريكة لله ﷻ، ولا يخبرك بحقيقة الأمور، وحقيقة هذه الآلهة وإلى ماذا سيؤول إليه أمر هذه الآلهة وعابديها.

قال الطبري: قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمعًا يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولا متيسرًا له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكًا في الدنيا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ إياهم ولا يرضون ولا يقرون به.

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عَبَدَتها يوم القيامة؛ من تبرئها منهم، وكفرها بهم، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم، وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم ؛ لأنها جماد لا أرواح فيها ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أي: يتبرؤون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] ، وقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨١، ٨٢] .

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، مثلُ خبير بها.

قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾ أي: إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جمادات لا تبصر ولا تسمع ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ إذ ليس كل سامع ناطقًا. وقال قتادة : المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل : أي لو جعلنا لهم عقولًا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ أي يجحدون أنكم عبدتموهم ويتبرءون منكم، ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يعقل كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًّا وأنهم أمروكم بعبادتهم كما أخبر عن عيسى بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: ١١٦] ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضًا أي يحييها الله حتى تخبر أنها ليست أهلًا للعبادة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ هو الله جل وعز أي لا أحد أخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك مثله في عمله



قال الله تعالى:

﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ
يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ
أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ
ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ
وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا
وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦ ﴾

[فاطر: ١٥-٢٦]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْفُقَرَآءُ - ٱلْحَمِيدُ - يُذْهِبْكُمْ - بِعَزِيزٍ -وَلَا تَزِرُ - وَازِرَةٌ - وِزْرَ أُخْرَىٰ -مُثْقَلَةٌ - حِمْلِهَا - ذَا قُرْبَىٰٓ - بِٱلْغَيْبِ - تَزَكَّىٰ - ٱلْمَصِيرُ - ٱلْحَرُورُ - خَلَا - بِٱلْبَيِّنَٰتِ -ٱلزُّبُرِ - ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ - فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾	المحتاجون
﴿ٱلْحَمِيدُ﴾	المحمود على نعمه
﴿يُذْهِبْكُمْ﴾	يُميتكم – يهلككم
﴿بِعَزِيزٍ﴾	بشاق – بعسير – بمعجزٍ لله – بممتنع – بصعب
﴿وَلَا تَزِرُ﴾	ولا تحمل
﴿وَازِرَةٌ﴾	نفسٌ حاملةٌ
﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	حمل نفس أخرى – ذنوب نفس أخرى
﴿مُثْقَلَةٌ﴾	نفس أثقلتها الذنوب، وكثرت عليها ذنوبها
﴿حِمْلِهَا﴾	حملها من الذنوب والآثام
﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾	قريبًا (كالأب والأخ والعم ونحوهم)
﴿بِٱلْغَيْبِ﴾	وهم لا يرون الله – في حال غيابهم عن الناس
﴿تَزَكَّىٰ﴾	تطهر من الشرك والذنوب والمعاصي والبدع
﴿ٱلْمَصِيرُ﴾	المرجع والمآب (يوم القيامة)

﴿ٱلۡحَرُورُ﴾	الحرُّ
﴿خَلَا﴾	مضى – سلف وكان
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	بالحجج الواضحات
﴿ٱلزُّبُرِ﴾	الكتب المنزلة
﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾	الكتاب الواضح البين الظاهر
﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	كيف كان إنكاري عليهم أي لقد كان إنكاري عليهم شديدًا، وذلك أني عاقبتهم عقابًا شديدًا على صنيعهم



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾.

ج: هـذا – والله أعلـم – إخبـارٌ ونـداء للنـاس مفـاده يـا أيهـا النـاس أنـتم المحاويج إلى الله تحتاجون إليه في كل شيء، وفي كل أمر، لا غنى لكم عنه، وهو سبحانه الغني عنكم لا يحتاج إليكم، وكذا طاعتكم وعبادتكم وتقواكم لا يزيد ذلك في ملك الله شيئًا.

ثم هو ذو النعم، فليس غنيًّا فحسب بل هو المنعم المحمود على نعمه وآلائه وإحسانه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُنْجِح لديه حوائجكم ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم

ومن غيركم ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ أي: هو المتفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي المحتاجون إليه في بقائكم وكل أحوالكم. الزمخشري: «فإن قلت لم عرف الفقراء؟ قلت: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨]، وقال: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ [الروم: ٥٤] ولو نكَّرَ لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء فإن قلت: قد قوبل (الفقراء) بـ(الغني) فما فائدة (الحميد)؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادًا منعمًا وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد-ذكر (الحميد) ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾.

ج: المعنى إن يشأ ربنا سبحانه أن يهلككم ويُميتكم ويأت بخلق جديد مطيع له لذهب بكم ولأهلككم، وما هذا الصنيع عليه بشاقٍّ ولا بعسير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم؛ لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦﴾ يقول: ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عمَّا نهاهم عنه.

وقوله: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك.



س: معلوم أن النبي ﷺ أرسل للعالمين نذيرًا فما توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ...﴾؟

ج: المراد إنما ينتفع بالإنذار من كان يخشى ربه بالغيب، والله أعلم.



س: لأهل العلم قولان في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ وضحهما؟

ج: أحد القولين: أنهم يخشون ربهم وهم لا يرونه.

الثاني: أنهم أيضًا يخشون ربهم في حال غيابهم عن الناس. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى إجمالًا، والله أعلم: وصف لبعض ما يكون يوم القيامة فهنالك نفوس (بشرٌ وجنٌّ) أثقلتهم ذنوبهم، كانوا قد أذنبوا في دنياهم ذنوبًا عظيمة، أتوا بها يوم القيامة يحملونها على ظهورهم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٣١] فهذه الذنوب تثقل هذه الأنفس وترهقها ولا تحمل نفسٌ حمل نفس أخرى، ولا تخفف عنها من أحمالها وإن دعت نفسٌ مثقلة بالذنوب نفسًا أخرى لحمل شيء من أوزارها ما أجابتها ولو كان المدعو قريبًا لمن دعاه، فإنه يفرُّ منه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فحاصله أنك يا رسول الله تنذر القوم كلهم، ولكن المنتفعون بالذكرى هم الذين يخافون ربهم وهم لا يرونه، وكذلك يخشونه إذا ابتعدوا عن أعين الناس، وأقاموا الصلاة حافظوا على أدائها في أوقاتها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي: ومن تطهر من الشرك والذنوب والمعاصي والآثام، مقلعًا عنها مستغفرًا منها فإن تطهره لنفسه والله غنيٌّ عن العباد وأعمالهم، وإنما المرجع والمآب إلى الله ويجازي كلًّا بعمله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تحمل آثمة إثم

أخرى غيرها ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ يقول تعالى: وإن تسأل ذاتُ ثِقَل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئًا منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ إلى ذنوبها ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ أي: قريب القرابة منها، لا يحمل من ذنوبها شيئًا، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئًا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

وقوله: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم.

وقوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته. فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه الذي أعده لأهل الكفر به.

وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ يقول: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، وبركم وفاجركم، وهو مجازٍ جميعكم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي: وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تُساعَد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه، ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾، أي: ولو كان قريبًا إليها، حتى ولو كان أباها أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنُّهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: ومَنْ عمل صالحًا فإنما يعود نفعه على نفسه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الفضيل بن عياض: هي المرأة تلقى ولدها فتقول: يا ولدي! ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ثدي لك سقاء، ألم يكن حجري لك وطاء فيقول: بلى يا أماه فتقول: يا بني قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبًا واحدًا فيقول: إليك عني يا أماه فإني بذنبي عنك مشغول.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي إنما يقبل إنذارك من يخشى عقاب الله تعالى وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه وقرئ: «**ومن ازكى فإنما يزكى لنفسه**» ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي إليه مرجع جميع الخلق.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: هذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ للكافر والمؤمن، ولما هما عليه ولما يؤول إليه أمرهما يوم القيامة، وكذا لحالهم عند تبليغهم أمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ.

* فكما أنه لا يستوي في الدنيا الأعمى الذي فقد بصره مع ذي العينين في إبصار الطريق ورؤيته.

** فكذا لا يستوي أعمى البصيرة، الذي أعمى الله قلبه عن الإيمان مع ذي البصيرة الذي بصرَّه الله بالإيمان وهداه ووفقه لسلوكه.

وكما أن الظلمات لا تستوي مع النور.

فكذلك لا تستوي ظلمات الكفر مع نور الإيمان والهداية.

وكما أنه لا يستوي الظل مع الحر.

فكذلك لا تستوي الجنة مع النار.

وكما أنه لا يستوي الحي مع الميت.

فكذا لا يستوي المؤمن مع الكافر.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ أي: يُسمعه ما يهتدي به ويوفقه له، وما أنت بمسمع من في القبور، حاصل معناه أنك لن تستطيع هداية أحدٍ في حكم الميت، بل هو ميت القلب فما أنت إلا منذر تحذر الناس من عاقبة ما هم عليه، ومن سوء ما أُعِدَّ لهم، وبنحو هذا وليس لك من أمر هدايتهم (هداية

التوفيق) من شيء، قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ ﴿وَٱلۡبَصِيرُ﴾ الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمدًا وصدقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾ قيل: ولا الجنة ﴿وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾ قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، أنه كان يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار. وأما أبو عبيدة فإنه قال: الحرور في هذا الموضع والنهار مع الشمس، وأما الفراء فإنه كان يقول: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار.

والقول في ذلك عندي: أن الحرور يكون بالليل والنهار، غير أنه في هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة: أشبه مع الشمس لأن الظل إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور: الذي يوجد في حال وجود الظل.

وقوله: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ﴾ يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ ...﴾ الآية، خلقًا فضل بعضه على بعض؛ فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي

النية، حي العمل، وأما الكافر فعبد ميت؛ ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ قال: هذا مَثْلٌ ضربه الله؛ فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه ولا هذا الأعمى، وقرأ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] قال: الهدى الذي هداه الله به ونور له، هذا مَثْلٌ ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيًّا وجعل الكافر ميتًا ميت القلب ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء؟

قال الطبري:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حُججه.

وأورد بإسناد حسن عن سعيد، عن قتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يرسلك ربك

إليهم إلا لتبلغهم رسالته، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات، وهذا مَثْلٌ ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ [هود: ٢٤] فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي، على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة؛ حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم، في ظلمات يمشي، لا خروج له منها، بل هو يتيه في غَيِّه وضلاله في الدنيا والآخرة؛ حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتِب عليهم الشقاوة لا حيلةَ لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : ﴿وَمَايَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي الكـافر والمـؤمن والجاهـل والعالـم مثل : ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ قـال الأخفـش سـعيد: (لا) زائـدة والمعنـى ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور. قال الأخفش: والحرور لا يكون إلا مع شمس النهار والسموم يكون بالليـل وقيـل بـالعكس. وقـال رؤبـة بـن العجاج: الحرور تكون بالنهـار خاصـة والسـموم يكـون بالليـل خاصـة حكـاه المهـدوي وقـال الفـراء : السـموم لا يكـون إلا بالنهـار والحـرور يكـون فيهمـا. النحـاس: وهذا أصح لأن الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير أي الحر المؤذي.

قلت : وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عـن رَسـول الله ﷺ قـال: «**قالـت النار ربِّ أكل بعضـي بعضًـا فـأذن لـي أتـنفس فـأذن لهـا بنفسـين؛ نفس في الشـتاء ونفس في الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجـدتم من حرٍّ أو حرور فمن نفس جهنم**»وروي مـن حـديث الزهـري عـن سـعيد عـن أبـي هريرة : «فما تجدون من الحر فمن سمومها وشـدة مـا تجـدون مـن الـبرد فمـن زمهريرهـا» وهـذا يجمـع تلـك الأقـوال وأن السـموم والحـرور يكـون بالليـل والنهار فتأمله وقيل : المراد بالظل والحرور الجنة والنار فالجنة ذات ظل دائـم كمـا قـال تعـالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعـد: ٣٥] والنـار ذات حـرور وقـال معناه السدي وقال ابن عبـاس : أي ظـل الليـل وحـر السـموم بالنهـار. قطـرب: الحرور الحـر والظـل الـبرد ﴿وَمَايَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ قـال ابـن قتيبـة: الأحيـاء العقلاء والأموات الجهال. قال قتادة : هذه كلها أمثال أي كمـا لا تسـتوي هـذه الأشـياء كـذلك لا يسـتوي الكـافر والمـؤمن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي يسـمع

أولياءه الذين خلقهم لجنته ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ أي الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم أي كما لا تسمع من مات كذلك لا تسمع من مات قلبه.

وقال:

قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي رسول منذر فليس عليك إلا التبليغ ليس لك من الهدى شيء إنما الهدى بيد الله تبارك وتعالى.



سماع الأموات

س: هل الموتى يسمعون؟

ج: أولًا: وقبل الإجابة على السؤال، فأنبِّه على أمرٍ ألا وهو أن الأموات وإن سمعوا لا ينتفعون بهذا السماع، لمجرد أنهم سمعوه أما إذا دعا لهم داعٍ، أو سأل لهم سائل، أو استغفر لهم مستغفر، فقد ينتفعون بذلك بإذن الله.

ثانيًا: اختلف أهل العلم في سماع الأموات على قولين:

القول الأول: أنهم لا يسمعون، وحجة أصحابه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

القول الثاني: أنهم يسمعون، ولكن لما أسلفت لا ينتفعون بذلك السماع، ومن حجج أصحاب هذا القول ما يلي:

أولًا: قصة القليب، قليب بدر لما أُلقي فيه أهل الشرك بعد قتلهم، كأبي جهل وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وغير هؤلاء وخطاب الرسول لهم وقوله: «**يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أبا جهل بن هشام، يا فلان، يا فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا**

فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟!»، قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلَّم أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

ولهذا الحديث طرق وألفاظ كثيرة[(١)].

ثانيًا: حديث أَنَس رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاه...**» الحديث.

وفي رواية: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ...**» الحديث[(٢)].

ثالثًا: استدلوا أيضًا بتسليم النبي ﷺ على أهل القبور، فكان إذا أتى المقبرة قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**»[(٣)] إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الصدد.

واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم[(٤)] من حديث عمرو بن العاص موقوفًا عليه قال وهو في سياقة الموت فَبَكَى بكَاءً طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَقَالَ: فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي».

قال النووي رحمه الله: ...وفيه أن الميت يسمع حينئذٍ من حول القبر.

---

(١) انظر البخاري (٣٩٧٦)، و(٣٩٧٩)، و(٣٩٨٠، ٣٩٨١) ومسلم (٢٨٧٣) و(٢٨٧٤) و(٢٨٧٥)، وأحمد (١٥٩٢١، ١٥٩٢٤، ١١٦٠٩)، وغيرها كثير جدًّا.

(٢) البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) مسلم (مع النووي ٣/ ١٣٧)، و(٧/ ٤٠).

(٤) مسلم (١٢١).

وكذا استدلوا بأحاديث أُخر في أسانيد كثير منها فقال:

ووجَّه هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، على أن المراد موتى القلوب وهم الكفار.

لكن أجاب الأولون على ذلك بما حاصله أن المشبَّه به يكون أقوى من المشبه، فإذا شبه الكافر بالميت في عدم سماعه فيكون الميت أقوى في عدم السماع، أي: أشد امتناعًا للسماع كما تقول فلانٌ أسدٌ، تشبهه بالأسد في شجاعته، فمعلوم أن الأسد أشد شجاعة.

لكن يُمكن أن يجاب على هذا بأن تشبيه الكافر بالميت إنما هو في عدم الاستفادة أي: أن المنفي هو سماع الاستفادة، والله أعلم.

وعَلَى كل حال فالمسألة خلافية كما ترى وللعلماء فيها القولان لكن لا ينتفع الميت بما يدور حوله وبما يسمعه من كلام، اللهم إن كان استغفارًا أو دعاء، أو ما ورد فيه نصٌّ أم مجرد السماع، فلا انتفاع. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إنا أرسلناك رسولًا إلى الناس يا رسول الله ومعك الحق، بالقرآن، كذا أرسلناك وأرسالنا لك حق، بشيرًا لمن أطاع ربَّه ﷻ ووحده وعبده بالجنة، ونذيرًا لمن أشرك وعصى بالنار، وما من أمةٍ من الأمم قد تقدمت ومضت وسلفت إلا وقد كان فيها نذير، منذرٌ ومحذرٌ من غضب الله وعقابه ومنذرٌ من الشرك والعصيان.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّ ﴾ وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده ﴿بَشِيرٗا ﴾ يقول: مبشرًا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَنَذِيرٗاۚ ﴾ تنذر الناس مَن كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ كل أمة كان لها رسول.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ ﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النُّذر، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ [الرعد: ٧]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾ الآية [النحل: ٣٦]، والآيات في هذا كثيرة.



س: هل هناك فارق بين الزبر والكتاب المنير؟

ج: قال كثيرٌ من أهل العلم: إنهما في هذا المقام بمعنى واحد، حاصله أن المراد الكتب التي أنزلها الله عليهم، وإنما قوله الكتاب المنير فريدٌ وصف للزبر كما تقول: طبتك باللحم واللحم الطيب، فالثاني بيانٌ للأول وإيضاح له.

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: (بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ أي الكتب، وقوله: ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ يقول: وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق.

وقال أيضًا: ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ يضعف الشيء وهو واحد.

قلت (مصطفى): بل وقال بعض أهل العلم: إن قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ ثلاث مسميات لشيء واحد وهو الكتاب الذي أنزل الله على رسوله (رسول كل أمة).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي بالمعجزات الظاهرات والشرائع الواضحات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ أي: الكتب المكتوبة ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ أي الواضح وكرر الزبر والكتاب وهما واحدٌ لاختلاف اللفظين وقيل: يرجع البينات والزبر والكتاب إلى معنى واحد وهو ما أنزل على الأنبياء من الكتب.



س: ما فائدة إخبار النبي ﷺ بما سبق من تكذيب الأمم للمرسلين من قبله؟

ج: فائدته تصبير النبي ﷺ وتثبيته كما قال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وكذا حمله على التأسِّي بمن سبقه من أهل الصلاح والفضل من المرسلين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى: وإن يكذبك قومك والقرشيون والذين أرسلت فيهم فقد

كذبت الأمم من قبلهم رسلهم، مع مجيء رسلهم بالحُجج الواضحات والمعجزات الباهرات الدالة على صدقهم ونبوتهم ورسالتهم، وكذا جاؤوهم بالكتب من عند الله فكذبوهم أيضًا مع مجيئهم بالكتب التي هي الكتب الواضحات الظاهرات التي لا لبس فيها ولا غموض، فماذا كان بعد تكذيبهم، لقد أخذت أهل الكفر بعذاب شديد فكيف كان إنكاري عليهم لقد كان إنكارًا شديدًا، لقد كان إنكاري عليهم متمثلًا في عذاب شديد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه ﷺ فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات، يقول: بحجج من الله واضحة، وبالزبر يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا وأصروا على جحودهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم وحلول عقوبتي بهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: كيف كانت عقوبتي لهم وأثبت ورش عن نافع و شيبة الياء في (**نكيري**) حيث وقعت في الوصل دون الوقف وأثبتها يعقوب في الحالين وحذفها الباقون في الحالين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ وهي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وهي الكتب، ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ أي: الواضح البين.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: ومع هذا كله كَذّب أولئك رسلَهم فيما جاؤوهم به، فأخذتهم، أي: بالعقاب والنكال، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيمًا شديدًا بليغًا؟



(٥٧٣) أحمر

أسود

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ
ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]

(٥٧٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿جُدَدٌ -وَغَرَابِيبُ سُودٌ -يَخْشَى﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(جُدَدٌ﴾	طرائق في الجبال – قطع خطوط بألوان تغاير لون الجبل (أي: أن الجبل نفسه به خطوط ملونة تخالف لونه)
(وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	سود غرابيب أي سود شديدة السواد
(يَخْشَى﴾	يخاف



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ألم تر بعينيك وأمامك وكذا ألم تر بقلبك وتعلم أن الله ﷻ أنزل من السماء ماء – وهو الغيث والمطر – فأخرج به من الأرض نباتًا، ثم أثمر هذا النبات ثمرات متنوعة في ألوانها هذا أصفر، وذاك أحمر، وذاك أبيض، ومن كل الألوان كما قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥]، وكذا فإن الله ﷻ جعل من الجبال قطعًا وطرائق أوهى الخطوط تكون في الجبال بألوان تخالف لون الجبل الأصلي فترى الجبل الشامخ به ألوان في وسطه أحيانًا ترى اللون الأبيض وترى لونًا آخر أحمر، وألوان أخر، وترى من الجبال جبالًا سودًا غرابيب (أي: شديدة

السواد)، وهكذا من الناس أيضًا من هو أبيض، ومن هو أسمر، ومن هو أحمر، ومن هو بين ذلك ودون ذلك وكذا الدواب التي تدب على الأرض والأنعام أيضًا، من إبل وبقر ضأن ومعز كلها ذات ألوان يخالف بعضها بعضًا ويُغاير بعضها بعضًا.

ألم تر ذلك فتستدل به على قدرة الله ﷻ فهو قادر على خلق الشيء وما يقابله كما قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٦].

إنما يستدل بذلك على وحدانية الله وقدرته أهل العلم الذين يخشون الله ويعلمونه أنه على كل شيء قدير، يعلمون أن الله قادرٌ على هداية أقوامٍ، وإضلال أخرى، قادر على تعذيب أقوام ورحمة آخرين.

إن الله عزيز لا يغلب، غفور كثير المغفرة لمن استغفر وأناب.

وبنحو هذا قال العلماء

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثًا فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها: يقول: فسقيناه أشجارًا في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفًا ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدتها جدة، ومنه قول امرئ القيس في صفة حمار:

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ مَتْنِهِ كَنَائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصُ

يعني بالجدة: الخطة السوداء تكون في متن الحمار.

(٥٧٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾ يعني: مختلف ألوان الجدد ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير، وذلك أن العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد، وجعل السواد ها هنا صفة للغرابيب.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾ أحمر وأخضر وأصفر ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ﴾ أي: طرائق بيض ﴿وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾ أي: جبال حمر وبيض ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ هو الأسود يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ

(٥٧٧) أحمر
أسود

صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤] .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضًا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق -وهي: الجُدَد، جمع جُدّة-مختلفة الألوان أيضًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجُدَد: الطرائق. وكذا قال أبو مالك، والحسن، وقتادة، والسدي .

ومنها: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وكذا قال أبو مالك، وعطاء الخراساني وقتادة.

وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا: أسود غربيب.

ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي: سود غرابيب. وفيما قاله نظر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ أي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والدواب -وهو: كل ما دبَّ على قوائم- والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضًا، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢]. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا

اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم قال:

ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.



قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا
وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم
مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ
ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ
بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا
يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن
فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ ﴾

[فاطر: ٢٩-٣٥]

(٥٨٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَتۡلُونَ -وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ -سِرًّا -وَعَلَانِيَةً -لَّن تَبُورَ - أُجُورَهُمۡ- غَفُورٌ شَكُورٌ -أَوۡحَيۡنَآ -مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ -ٱصۡطَفَيۡنَا -ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ -مُّقۡتَصِدٞ - سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ - جَنَّٰتُ عَدۡنٖ -يُحَلَّوۡنَ -أَسَاوِرَ -شَكُورٌ -أَحَلَّنَا -دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ -لَا يَمَسُّنَا -نَصَبٞ - لُغُوبٞ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَتۡلُونَ﴾	يقرؤن (وقيل: يتبعون)
﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	أدوا الصلاة في أوقاتها بأركانها وحدودها
﴿سِرًّا﴾	في خفاء
﴿وَعَلَانِيَةً﴾	علنًا (أمام الناس) جهارًا
﴿لَّن تَبُورَ﴾	لن تكسد ولن تخيب ولن تضيع
﴿أُجُورَهُمۡ﴾	ثواب أعمالهم
﴿غَفُورٞ شَكُورٞ﴾	غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم
﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾	أنزلنا
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾	موافقًا لما بين يديه من الكتب التي تقدمته (كالتوراة والإنجيل)
﴿ٱصۡطَفَيۡنَا﴾	اخترنا – فضلنا – اجتبينا
﴿ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾	مسرف على نفسه بالمعاصي والكبائر

(٥٨١) أحمر
أسود

﴿مُّقْتَصِدٌ﴾	متوسط في الطاعات يفعل الواجبات ويترك الكبائر
﴿سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾	يسبق غيره إلى فعل الخير – مسابق إلى الخير سباق إليه
﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾	بساتين إقامة
﴿يُحَلَّوْنَ﴾	يلبسون (كحلية)
﴿أَسَاوِرَ﴾	جمع أسورة، وهي ما يلبس في اليد
﴿شَكُورٌ﴾	يشكر لعباده أعمالهم الصالحة التي عملوها ويكافؤهم عليها
﴿أَحَلَّنَا﴾	أسكننا – أدخلنا – وأنزلنا – جعلها محلًّا لنا
﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾	دار الإقامة التي لا تحول عنها ولا خروج منها
﴿لَا يَمَسُّنَا﴾	لا يصيبنا
﴿نَصَبٌ﴾	تعب
﴿لُغُوبٌ﴾	إعياء



س: اذكر بعض الوارد في فضل تلاوة القرآن والحث على ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وفي الحث على ذلك:

وقوله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤].

والآيات في هذا كثيرة.

أما الأحاديث فمنها ما يلي:

قوله ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**»[1].

وقوله ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[2].

وما أخرجه ابن ماجه[3] وغيره من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**».

قوله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ** »[4].

وقوله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**»[5].

---

(١) مسلم (٧٩٨)، ونحوه عند البخاري (٤٩٣٧).
(٢) مسلم (٢٦٩٩).
(٣) ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧).
(٤) البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧).
(٥) الترمذي (٢٩١٤) وغيره.

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(١).

وقوله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ...» الحديث(٢).

وقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٣).

وقوله ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ(٤) عِظَامٍ سِمَانٍ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»(٥).

وفي صحيح مسلم أيضًا أن النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».



س: ما المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾؟

ج: قال بعض العلماء أن المراد بالزيادة ما يلي:

أولًا: تضعيف الثواب على الحسنات فالحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

ثانيًا: الشفاعة تقبل فيهم بإذن الله فالقرآن يشفع لهم والرسول ﷺ يشفع

(١) مسلم (٨١٧).
(٢) البخاري (٥٠٢٦)، ونحوه عند البخاري ومسلم عن ابن عمر مرفوعًا، البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).
(٣) البخاري (٥٠٢٧).
(٤) المراد الحوامل من الإبل
(٥) مسلم (٨٠٢).

لهم، وأعمالهم الصالحة هنالك يثابون عليها.

ثالثًا: رفعة الدرجات، ففي الحديث: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا**».

رابعًا: فضل الله عليهم بالنظر لوجهه الكريم وإحلال رضوانه عليهم. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم – إخبارٌ من الله ﷻ بفضيلة حملة كتابه العزيز العاملين به، فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾، الذين يقرؤون القرآن ويرتلونه ويتبعونه، ويحافظون على صلواتهم كما أمرهم الله ﷻ، وكذلك يؤدون الزكوات زكوات الفرض والنفل (سرًّا) في خفاء، وهذا غالب حالهم سترًا على الفقراء والمحاويج والمساكين، ومن العلماء من قال: زكاة الفرض لا بأس بإبدائها (وعلانية) حيث يحتاج الأمر إلى ذلك كأن يكون في ذلك دفعًا للشبهات المثارة حول شخص، أن يكون في ذلك حملٌ للآخرين على التأسي والاقتداء، فهؤلاء الذين ذكر صفاتهم وأعمالهم، يبتغون بأعمالهم هذه ثوابًا من ربهم ﷻ بتلك الأعمال، لن يضيع ثوابهم، بل سيوفيهم ربهم ﷻ أجورهم، ثواب أعمالهم مستوفى كاملًا، بل وسيزيدهم من فضله عطاءً فوق العطاء وثوابًا فوق الثواب، فإنه ﷻ غفورٌ لذنوب عباده المستغفرين، وشكور لأعمالهم الحسنة التي عملوها.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: ويقيموا الصلاة.

وقوله: ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضًا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه.

وقوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ يقول تعالى ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام. وقوله: ﴿تِجَٰرَةً﴾ جواب لأول الكلام.

وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل، وكان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء.

وأورد الطبري بأسانيد صحيحة عن مُطرف بن عبد الله قال: في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ...﴾ إلى آخر الآية، هذه آية القراء يعني بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الآية التي فيها فضيلة القراء واضحة وظاهرة وجلية وعظيمة.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلا ونهارًا، سرًّا وعلانية، ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: يرجون ثوابًا عند الله لا بد من حصوله. كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه: «**إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة**»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ أي: لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل من أعمالهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: والذي أنزلنا إليك يا رسول الله هو الحق، لا شك فيه ولا ريب، وهو الصواب أنزلناه إليك موافقًا الكتب التي سبقته، تلك التي أنزلناها على أنبيائنا ورسلنا كالتوراة والإنجيل وغيرها، فهي لا تخالفه ولا يخالفها بل هو مصدقٌ لها وهي به مبشرة وله مصدقة وفي قوله (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) وجهان مشهوران للعلماء:

أحدهما: أن الأخبار التي في الكتاب العزيز توافق تلك التي في التوراة والإنجيل، وكذا ما فيه من الأخبار بوحدانية الله ﷻ والأمر بعبادته وحده لا شريك له.

الثاني: أن مجيء القرآن تصديق للتوراة والإنجيل، ففي التوراة والإنجيل

إخبار بأنه سينزل على النبي محمد ﷺ، فإذا لم ينزل كانت الأخبار التي فيها بخروجه كاذبة، فنزوله يُعدُّ تصديقًا لها، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ فحاصل معناه أن الله ﷻ ذو خبرةٍ بعباده، والله يستحق الإكرام منهم، وبصيرٌ بما يصلحهم وينفعهم فيشرع لهم ما ينفعهم ويرشدهم إلى كل ما فيه خيرٌ لهم.

وبنحو ما ذكر قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ يقول: هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ يقول: هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل.

وأورد بإسناد حسن، عن قتادة قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ للكتب التي خلت قبله.

قال:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وهو القرآن ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ أي: من الكتب المتقدمة يصدقها، كما شهدت له بالنبوة، وأنه منزل من رب العالمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ أي: هو خبير بهم، بصير بمن يستحق ما يفضله به على مَنْ سواه. ولهذا فضَّل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.



الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات

س: ما المراد بالكتاب المذكور في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ومن الذين اصطفاهم الله من عباده الذين عناهم الله بقوله: ﴿ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؟

ج: لأهل العلم في تفسير الكتاب أقوالٌ – وسأذكرها بعد إن شاء الله – أختار منها أن المراد بالكتاب هنا القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

والذين اصطفاهم الله ﷻ هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم الله من سائر الأمم وفضلهم على سائر الأمم كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وكما قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»[(١)].

وللحديث عدة ألفاظ تحمل هذا المعنى في الصحاح وغيرها وكما قال ﷺ: «إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وإنما قلت: (اصطفاهم الله من سائر الأمم) احترازًا من أن يفهم أحدٌ أن أفراد أمة محمد ﷺ أفضل من الأنبياء؛ فالأنبياء عمومًا صفوة الله من خلقه من البشر، وكيف يكون الظالم لنفسه من أمة محمد ﷺ أفضل من الأنبياء؟!!

(١) البخاري (٢٦٥١، ٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣، ٢٥٣٤) وله طرق.

فلذا قلت مُحترزًا: اصطفى الله أمة محمد ﷺ في الجملة من سائر الأمم.



س: وضح المراد بالظالم لنفسه وبالمقتصد وبالسابق بالخيرات بإذن الله.

ج: على ما ذهبت إليه من تأويل الآية الكريمة فالذي أراه، والعلم عند الله.

أن الظالم لنفسه: هو المسرف على نفسه من أمة محمد ﷺ وهو مرتكب الذنوب والمعاصي والآثام ومقترف الكبائر والموبقات، ولكن من أهل التوحيد يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا يشرك بالله شيئًا.

فهذا، وإن كان يعذب – إن لم يغفر الله له – يُعذب على ذنوبه وجناياته وجرائمه، لكن مآله ما دام من أهل التوحيد إلى الجنة، على ما وردت به الأحاديث الصحاح الثوابت عن رسول الله ﷺ من خروج أقوام من النار ودخولهم الجنة.

وقد يفهم أيضًا هذا من السياق القرآني الكريم فعقب هذه الآيات يقول تعالى: ﴿ جَنَّتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ فإن حملناها على الثلاثة الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات بإذن الله، فيكون توجيه القول في الظالم لنفسه ودخوله الجنة بأحد أمرين:

أولهما: أن يغفر الله له لتوحيده، وذلك أمر مردُّه إلى الله، وقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

والثاني: أن يعذب في النار بقدر جرائمه وجرائره ثم يخرج منها ويدخل الجنة على ما أفادته الأحاديث الصحاح. والله أعلم.

أما المقتصد من هذه الأمة: فهو الذي يفعل الواجبات والفرائض ويتقي المحظورات والكبائر، وأراه كالقائل في الحديث لما سأل النبي □ عن

الصلاة والزكاة والصيام ... وقال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، وقال النبي ﷺ: «أفلح إن صدق»، أو «دخل الجنة إن صدق»، وكذلك يدخل في هذا الباب من كان مقتصدًا في الطاعات ليس بمستكثر منها.

أما السابق بالخيرات من هذه الأمة: فهو القائم بالفرض والمتبعه بالنفل، هو المحسن المتصدق، هو المصلي والقانت آناء الليل، هو فاعل النوافل بعد الفرائض عمومًا هو المسابق إلى الخيرات عمومًا، هو محسن التوكل على الله هو التقي الورع، إلى غير ذلك مما تقتضيه المسابقة بالخيرات. والله أعلم



س: لماذا قدَّم الظالم لنفسه على المقتصد والسابق بالخيرات؟

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

واختلف أهل العلم في سبب تقديم الظالم في الوعد بالجنة على المقتصد والسابق ، فقال بعضهم : قدم الظالم لئلا يقنط ، وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط . وقال بعضهم : قدم الظالم لنفسه؛ لأن أكثر أهل الجنة الظالمون لأنفسهم؛ لأن الذين لم تقع منهم معصية أقل من غيرهم . كما قال تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص : ٢٤] .



س: ما وجه الإفادة بقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾؟

ج: ذلك – والله أعلم – لبيان أمر حاصله أن من يسبق بالخيرات سبق لا يكون إلا بإذن الله بذلك وبتوفيق من الله لذلك، فمن ثَمَّ يحرص العبد على سؤال الله ﷻ أن يجعله من السابقين بالخيرات.



س: ما وجه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ثم تفضَّلنا على أمة محمد ﷺ بهذا الكتاب العزيز متضمنًا ما في الكتب التي تقدمته ومصدقًا لها ومهيمنًا عليها، تفضلنا عليهم بأن جعلناهم القائمين بهذا الكتاب العزيز، المؤمنين به، العاملين بما فيه المصدقين له.

فوراثة الكتاب وراثة الإيمان به والعمل بما فيه والتصديق له.

وإن كان بعض العلماء كالطبري - رحمه الله تعالى - قد أوَّل الميراث بأنه الإيمان بالكتب المتقدمة – على ما سيأتي من قوله إن شاء الله – وابن كثير أوَّله بالقيام به (أي: بالقيام بالقرآن يعني بالعمل به).

وآخرون أوّلوا بتأويلاتٍ أخر، لكن ما ذكرته لعلها والله أعلم يكون أشملها.



س: ذلك هو الفضل الكبير إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك يحتمل أمورًا:

أحدها: أنه راجع إلى أقرب مذكور وهو السبق بالخيرات، فمن سبق بالخيرات فقد تفضَّل الله عليه بفضلٍ كبير.

الثاني: أنه عائدٌ على الاصطفاءِ وإيتاءهم هذا الكتاب مع أن منهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد.

الثالث: أنه عائدٌ على الجنات التي أعدت لهم، والله أعلم.



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)﴾.

ج: من هذه الأقوال ما يلي:

قول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال:

اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومَن المصطفون من عباده، والظالم لنفسه؛ فقال بعضهم: الكتاب هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان. والمصطفون من عباده أمة محمد ﷺ. والظالم لنفسه أهل الإجرام منهم.

وأورد من طرق متعددة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: قال كعب: إن الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة، ألم تر أن الله يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ حتى بلغ قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن حميد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبًا عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ إلى قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فقال: تماست مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال آخرون: الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم هو شهادة أن لا إله إلا الله، والمصطفون هم أمة محمد ﷺ، والظالم لنفسه منهم هو المنافق، وهو في

النار، والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن قال: الظالم لنفسه المنافق.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ هذا المنافق في قول قتادة والحسن ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ قال: هذا صاحب اليمين ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال: هذا المقرب، قال قتادة: كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن ومنافق ومشرك، وأما عند الموت فإن الله قال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤] وأما في الآخرة فكانوا أزواجًا ثلاثة ﴿ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الواقعة: ٨- ١١].

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عني بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد ﷺ لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أُنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد ﷺ وبما جاء به وعمل

بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله.

وإنما قيل: عني بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الكتب التي ذكرنا؛ لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ فكان معلومًا إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا ﷺ انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته أن ذلك معناه: وإذ كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته، وأما الظالم لنفسه فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر، وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ فعمَّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا ﴾ إنما عني به المقتصد والسابق!

قيل له: وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد؟ قيل: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا، وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه، ثم يدخله الجنة، فيكون ممن عمَّه خبر الله جل ثناؤه بقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

وأورد الطبري حديثين في هذا الباب في إسناديهما ضعف أعرضت عن

ذكرهما عن عمدٍ وقد أشار الطبري نفسه إلى ضعفهما، ثم قال رحمه الله:

وعنى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم، وقوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ يقول: فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصي واقترافه الفواحش ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو غير المبالغ في طاعة ربه وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله في ذلك قصدًا ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وهو المبرز الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه، فسبقهم بصالح الأعمال وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يقول: بتوفيق الله إياه لذلك.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضَّل به من كان مُقصِّرًا عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

وأورد عددًا كبيرًا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد لا يثبت

منها أي حديث عن رسول الله ﷺ ثم قال:

وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه الرحمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أقوالًا في الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات:

قوله تعالى: ﴿أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي أعطينا والميراث عطاء حقيقة أو مجازًا فإنه يقال فيما صار للإنسان بعد موت آخر و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هاهنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده وكأن الله تعالى لما أعطى أمة محمد ﷺ القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة فكأنه ورث أمة محمد عليه السلام الكتاب الذي كان في الأمم قبلنا ﴿ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ أي اخترنا واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوائب الكدر وأصله اصتفونا فأبدلت التاء طاء والواو ياء ﴿مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ قيل المراد أمة محمد ﷺ قاله ابن عباس وغيره وكان اللفظ يحتمل جميع المؤمنين من كل أمة إلا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إلا لأمة محمد ﷺ والأول لم يرثوه وقيل: المصطفون الأنبياء توارثوا الكتاب بمعنى أنه انتقل عن بعضهم إلى آخر، قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ [النمل: ١٦] وقال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾ [مريم: ٦] فإذا جاز أن تكون النبوة موروثة فكذلك الكتاب ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ من وقع في صغيرة. قال ابن عطية: وهذا قول مردود من غير ما وجه. قال الضحاك: معنى ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ أي: من ذريتهم ظالم لنفسه وهو المشرك. الحسن: من أممهم على ما تقدم ذكره من الخلاف في الظالم والآية في أمة محمد ﷺ وقد اختلفت عبارات أرباب القلوب في الظالم والمقتصد والسابق فقال سهل بن عبد الله:

السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري: الظالم الذاكر الله بلسانه فقط والمقتصد الذاكر بقلبه والسابق الذي لا ينساه. وقال الأنطاكي : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال. وقال ابن عطاء : الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من أجل العقبى والسابق الذي أسقط مراده بمراد الحق وقيل : الظالم الذي يعبد الله خوفًا من النار والمقتصد الذي يعبد الله طمعًا في الجنة والسابق الذي يعبد الله لوجهه لا لسبب. وقيل: الظالم الزاهد في الدنيا لأنه ظلم نفسه فترك لها حظًّا وهي المعرفة والمحبة والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل : الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الصابر على البلاء والسابق المتلذذ بالبلاء وقيل : الظالم الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة وقيل : الظالم الذي أعطي فمنع والمقتصد الذي أعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر وآثر يدوى أن عابدين التقيا فقال : كيف حال إخوانكم بالبصرة ؟ قال : بخير إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا فقال : هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ ! عبادنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا وقيل : الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل : الظالم التالي للقرآن ولا يعمل به والمقتصد التالي للقرآن ويعمل به والسابق القارئ للقرآن العالم به والعامل به وقيل : السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة لأنه ظلم نفسه الأجر فلم يحصل لها ما حصله غيره وقال بعض أهل العلم في هذا : بل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك

الفضيلتين والمقتصد الذي إن فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت والجماعة فهو أولى بالظلم وقيل : الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب دينه والسابق الذي يحب ربه وقيل : الظالم الذي ينتصف ولا ينصف والمقتصد الذي ينتصف وينصف والسابق الذي ينصف ولا ينتصف وقالت عائشة رضي الله عنها : السابق الذي أسلم قبل الهجرة والمقتصد من أسلم بعد الهجرة والظالم من لم يسلم إلا بالسيف وهم كلهم مغفور لهم.

قلت : ذكر هذه الأقوال وزيادة عليها الثعلبي في تفسيره وبالجملة فهم طرفان وواسطة وهو المقتصد الملازم للقصد وهو ترك الميل ومنه قول جابر ابن حني التغلبي :

نعاطي الملوك السلم ما قصدوا لنا ... وليس علينا قتلهم بمحرم

أي: نعاطيهم الصلح ما ركبوا بنا القصد أي: ما لم يجوروا وليس قتلهم بمحرم علينا إن جاروا فلذلك كان المقتصد منزلة بين المنزلتين فهو فوق الظالم لنفسه ودون السابق بالخيرات.

وفي «أضواء البيان»:

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

قد بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب ، دليل على أن الله اصطفاها في قوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وبين أنهم ثلاثة أقسام :

الأول : الظالم لنفسه ، وهو الذي يطيع الله ، ولكنه يعصيه أيضاً فهو الذي قال الله فيه: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [التوبة: ١٠٢] .

والثاني: المقتصد وهو الذي يطيع الله ، ولا يعصيه ، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

والثالث : السابق بالخيرات : وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة ، وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه ، والمقتصد والسابق ، ثم إنه تعالى بين أن إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير منه عليهم ، ثم وعد الجميع بجنات عدن وهو لا يخلف الميعاد في قوله: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ والواو في يدخلونها شاملة للظالم ، والمقتصد والسابق على التحقيق . ولذا قال بعض أهل العلم : حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين ، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة ، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن ، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة ، فالوعد الصادق بالجنة في الآية من أرجى آيات القرآن ، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة ، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين ولذا قال بعدها متصلاً بها ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ .

❁ ❁ ❁

س: هل الرجال في الجنة يتحلَّون بالأساور من ذهب؟

ج: نعم كلٌّ يتحلى بذلك الرجال والنساء على السواء فالذهب، وإن كان مُحرمًا لبسه على الرجال في الدنيا لكنه حلالٌ لهم يوم القيامة كما أفادته الآيات المباركات.



س: ما المراد بالحزن الذي أذهبه الله عن أهل الإيمان؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه الخوف من دخول النار، فقد سلمهم الله وآمنهم، وكانوا من قبل خائفين من ذلك.

الثاني: حزن الموت والخوف من الموت.

الثالث: ما كان في الدنيا من تعب ونصب وهمٍّ وحزن .

الرابع: أن الحزن هو الخوف الذي كان يعتري الظالم لنفسه.

الخامس: أن الحزن الخوف الذي كانوا فيه في مواقف القيامة عند تلقي الكتاب، وعند الميزان وعند الصراط، وعند دنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة، وكذا عند القنطرة لقصاص المظالم، وعند الخروج من القبور.

والظاهر -والله أعلم-: أن المراد بالحزن هو كل حزن قد أصابهم قبل دخول الجنة. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم – بيانٌ للفضل الكبير الذي أخبر الله ﷻ أنه أعدَّه للذين اصطفاهم من عباده، فهذا الفضل الكبير هو ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ أي: حدائق وبساتين إقامة دائمة يلبسون في هذه الجنات، أساور من ذهب يتحلون بها وكذا يتحلون باللؤلؤ وغيره، ولباسهم في هذه الجنات حرير ثم يخبر الله عن قولهم وشكرهم لما أدخلهم جناته جنات النعيم إذ قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ الذي كنا نعاني منه في دنيانا وكنا نخشاه عند موتنا ويوم بعثنا وقبل أن ندخل تلك الجنات جنات النعيم.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لذنوبنا التي اقترفناها فقد كنا بشرًا نخطئ ونذنب ﴿شَكُورٌ﴾ لصنائع المعروف التي صنعناها الحمد لله الذي أسكننا وأنزلنا وجعل محلًّا لنا ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ الجنة التي هي دار الإقامة الدائمة لا تحوَّل عنها ولا خروج منها، أنزلنا فيها بفضله سبحانه، وإلا فأعمالنا لم تكن بكافية لإنزالنا تلك الدار، أحلنا بفضله وبرحمته هذه الدار لا يصيبنا فيها تعبٌ ولا إعياءٌ، لا قليل التعب ولا كثيره، لا تعبٌ على الأبدان، ولا تعب على النفوس فلله الحمد جعلنا الله من سكان الفردوس، اللهم آمين، وهذه بعض أقوال العلماء في الآيات المباركات.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب،

الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب ﴿وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ يقول: ولباسهم في الجنة حرير.

وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ اختلف أهل التأويل في الحَزَنِ الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم؛ فقال بعضهم: ذلك الحزَن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار إذ كانوا خائفين أن يدخلوها.

وقال آخرون: عني به الموت.

وقال آخرون: عني به حزن الخبز.

(يعني) والله أعلم، التعب من أجل الحصول على الطعام، الذي كان يحدث للبعض في الدنيا.

وقال آخرون: الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا.

وقال آخرون: بل عني بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعًا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الذين أدخلوا الجنة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي: ربنا الذي أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة، فدار المقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها ولا تحول، والميم إذا ضمت من «المقامة» فهو من الإقامة، فإذا فتحت فهي من المجلس، والمكان الذي يقام فيه، قال الشاعر:

يَومَانِ يَومُ مَقامَاتٍ وأَنْدِيةٍ ... وَيَومُ سَيرٍ إلَى الأعْدَاءِ تَأويبِ

وقوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ يعني باللغوب: العناء والإعياء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين مأواهم يوم القيامة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: جنات الإقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يوم معادهم وقدومهم على ربهم عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[1].

(١) مسلم (٢٥٠)

﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ ولهذا كان محظورًا عليهم في الدنيا، فأباحه الله لهم في الدار الآخرة، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»(١). وقال: «**هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

وقال في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ وهو الخوف من المحذور، أزاحه عنا، وأراحنا مما كنا نتخوفه، ونحذره من هموم الدنيا والآخرة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله وَمَنِّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**لن يدخل أحَدٌ منكم عمله الجنة**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يَتَغَمَّدَنِي الله برحمة منه وفضل**»(٢).

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء.

والنصَب واللغوب: كلٌّ منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يُدْئِبُون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة، قال الله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤].

---

(١) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣) وله طرق.
(٢) البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٦٠٥) أحمر
أسود



(٦٠٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم
مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا
أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ
فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ
اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾

[فاطر: ٣٦-٣٨]

س: وضح معنى ما يلي:
﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ - نَجْزِي - كَفُورٍ - يَصْطَرِخُونَ - نُعَمِّرْكُم - مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾	لا يحكم عليهم بالموت
﴿نَجْزِي﴾	نعطيه جزاءه الذي يستحقه
﴿كَفُورٍ﴾	جحود لنعم الله
﴿يَصْطَرِخُونَ﴾	يصيحون – يضجون – يصرخون بشدة – ينادون بصوت عالٍ – يستغيثون بصوت عالٍ
﴿نُعَمِّرْكُم﴾	نجعلكم أحياء في الدنيا
﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾	زمنًا يتعظ فيه من يتعظ



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: هذا بيان لحال الأشقياء يوم القيامة بعد أن بُيِّن حال السعداء، قال تعالى في شأن الأشقياء: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، جزاءً لهم على كفرهم وعصيانهم وتمردهم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ لا يحكم لهم بالموت فيموتوا، بل يبقون بلا موت، وكذا لا يخفف عنهم العذاب كما قال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ

وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٥]، فهكذا نجازي كل جحود لنعم الله وجحود لرسالات الله.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ يقول: لهم نار جهنم مخلدين فيها؛ لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها.

وأورد بإسناد حسن، عن قتادة: ﴿لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ ﴾؛ لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ ﴾ يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، فيخفف ذلك عنهم.

وأورد من حديث أَبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكنَّ ناسًا**، أو كما قال، **تُصيبهمُ النارُ بذنوبِهم**، أو قال: **بخطاياهم، فَيُمِيتُهم إماتةً حتى إذا صاروا فَحْمًا أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضَبَائرَ ضَبَائرَ، فَبُثُّوا على أهل الجنة، فقال: يا أهلَ الجنة أَفِيضُوا عليهم فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الحبة في حَمِيلِ السيل**» فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية[1].

قال الطبري: فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ ﴾ وقد قيل في موضع آخر: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧] ؟ قيل: معنى ذلك: ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يكافِئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة؛ بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قدموها في

(١) انظر مسلم (١٨٥).

الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشقياء، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ﴾، كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤] . وثبت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها ولا يحيون**»[(١)] . قال الله تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧] . فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] ، وقال: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧] ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠] .

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ أي: هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وأهل النار يضجون فيها ويستغيثون بصوت عالٍ ويصيحون قائلين: يا ربنا أخرجنا من هذه النار نعمل عملًا صالحًا غير الذي كنا نعمله من العمل السيئ، فلا يجابون إلى طلبهم بل

(١) انظر مسلم (١٨٥).

يوبَّخون فيقال لهم: أولم نعمركم في الدنيا أعمارًا كانت كفيلة بأن يتعظ فيها من اتعظ، ويعتبر فيها من اعتبر؟! فلم تتعظوا ولم تعتبروا، وأرسلنا إليكم رسولنا يحذركم وينذركم فما سمعتم له ولا أطعتم فذوقوا النار جزاء تكذيبكم فما لأهل الشرك والظلم والكفر من نصير ينصرهم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحًا أي: نعمل بطاعتك ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ قبلُ من معاصيك. وقولهُ: ﴿يَصۡطَرِخُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ؛ حولتْ تاؤها طاءً لقرب مخرجها من الصاد لما ثَقُلت.

ثم أورد جملة آثار وقال:

فتأويل الكلام إذن: أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين، ما يتذكر فيه من تذكر، من ذوي الألباب والعقول، واتعظ منهم من اتعظ، وتاب من تاب، وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله، فلم تتذكروا مواعظ الله، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم.

ويقول تعالى ذكره: ﴿فَذُوقُواْ﴾ نار عذاب جهنم الذي قد صَلِيتموه أيها الكافرون بالله ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولــه: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: ينــادون فيهــا، يجــأرون إلــى الله عَزَّوَجَلَّ بأصواتهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا؛ ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب جَلَّ جَلَالُهُ أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون. فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، كما قال تعالى مخبراً عنهم في قولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾ [غافر: ١١، ١٢]، أي: لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك، ولو رددتم لعدّتم إلى ما نهيتم عنه؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي: أوما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة.

وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نُعَيَّر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة.

ثم قال بعد أن أورد جملة من الأحاديث والآثار:

وكذا بعد أن أورد قولين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ﴾: أحدهما أن النذير هو الشيب، والثاني: أن النذير الرسول محمد ﷺ.

وصوب هذا الثاني بقوله:

وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٧،

٧٨]، أي: لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل، فأبيتم وخالفتم، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: فذوقوا عذابَ النار جزاءً على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال.



س: ما المراد بالنذير في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾؟

ج: للعلماء فيه قولان:

أحدهما: أن النذير هو الشيب الذي يعتري الرأس.

الثاني: وعليه الأكثرون أن النذير هو رسول الله محمد ﷺ، وهذا الأظهر وعليه الأكثر.

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: ١٢]. والله أعلم.



س: ما العمر الذي قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾؟

ج: لأهل العلم فيه أقوال:

أحدهما: أنه أربعون سنة، وذلك لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: ١٥].

الثاني: أنه ستون سنة (وعليه أكثر العلماء)، وقد روي هذا، وذاك (أربعون

وستون) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد فيه عبد الله بن عثمان بن خثيم وهو صدوق، ويبدو أنه يُحسن حديثه ما لم يخالف لكن هنا رواه مرة بلفظ ستين، ومرة بلفظ أربعين فالله أعلم.

وقد جنح الحافظ ابن كثير إلى القول بأنه ستين سنة محتجًّا بأحاديث منها ما أخرجه البخاري رحمه الله والإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخَّر عمره حتى بلغه ستين سنة**»[1].

وهذا أخرجه البخاري من طريق معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: .. فذكره.

أما رواية أحمد من طريق رجل من بني غفار عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه لقد أعذر الله إليه**».

وهناك وجوه أخر للاختلاف في سند هذا الحديث.

وأورد ابن كثير – رحمه الله تعالى – بإسناد حسن[2] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**».

وفيه كلام أيضًا، ولكن له بعض الشواهد قد يصحح بها فالله أعلم.

قلت (مصطفى): وعلى كلٍّ فالذي يظهر لي كتفسير لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أن المراد به: أولم نعيشكم في الحياة زمنًا

---

(١) البخاري (٦٤١٩)، وأحمد (٢/٢٧٥) وغيرهما، قلت (مصطفى): وفي إسناد هذا الحديث بعض الاختلاف.

(٢) وفيه بعض الكلام كذلك، وقد أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، والسياق المذكور عزاه ابن كثير للحسن بن عرفة.

يحدث به التذكر والاتعاظ والاعتبار، وليس بلازم أن يكون أربعين سنة أو ستين سنة؛ لأن من الكفار من يموت وهو في العشرين، ومنهم من يموت دون ذلك والله أعلم.

أما الذي أحياه الله إلى ستين سنة، فقد أعذر الله إليه كما في الحديث ولا تعارض. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها:

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو في نبوة محمد، غير الذي تبدونه بألسنتكم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله.



(٦١٥) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ
عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا (٣٩) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ
ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا
(٤٠) ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا
مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا (٤١) وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن
جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا
(٤٢) ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ
يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا
(٤٣) أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ
مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ
عَلِيمٗا قَدِيرٗا (٤٤) وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا (٤٥)﴾ [فاطر: ٣٩-٤٥]

(٦١٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿خَلَٰٓئِفَ - مَقۡتٗاۖ - خَسَارٗا - شُرَكَآءَكُمُ - تَدۡعُونَ - شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ -عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ -غُرُورًا - تَزُولَاۚ -جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ - أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ -نُفُورًا -ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ -وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ - يَحِيقُ -يَنظُرُونَ -سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ -تَبۡدِيلٗا -تَحۡوِيلًا -لِيُعۡجِزَهُۥ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(خَلَٰٓئِفَ﴾	قومٌ يأتون بعد قوم آخرين (جيل بعد جيل، وأمة بعد أمة، وقرن بعد قرنٍ)
(مَقۡتٗاۖ﴾	بغضًا (والمقت أشد البغض) بُعدًا عن الرحمة غضبًا عليهم
(خَسَارٗا﴾	هلاكًا
(شُرَكَآءَكُمُ﴾	آلهتكم التي جعلتموها شريكةً لله ﷻ
(تَدۡعُونَ﴾	تعبدون – تسألون وترجون
(شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	مشاركة مع الله في خلق السموات أو في شيء مما في السموات
(عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ﴾	على بصيرة منه – على أمرٍ منه
(غُرُورًا﴾	خداعًا – غشًّا وتضليلًا
(تَزُولَاۚ﴾	تنتقلا عن أماكنهما
(جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾	مجتهدين في الأيمان – يقسمون أشد القسم ويؤكدون اليمين أشد التأكيد ويوثقونها أشد التوثيق

﴿أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾	أوفق – أكثر توفيقًا ورشادًا واتباعًا للطريق المستقيم من إحدى الأمم التي مضت (قيل اليهود أو النصارى)
﴿نُفُورًا﴾	ابتعادًا وهربًا
﴿ٱسۡتِكۡبَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	تعاليًا على الحق وبطرًا له امتناعًا بكبرٍ عن اتباع آيات الله
﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕ﴾	المكر السيئ وهو الشرك وتضليل العباد وصرفهم عن الإيمان إلى الكفر
﴿يَحِيقُ﴾	ينزل – يحلُّ
﴿يَنظُرُونَ﴾	ينتظرون
﴿سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	طريقة الله في عقاب الأولين – طريقته في المكذبين وهي تعذيبهم والانتقام منهم
﴿تَبۡدِيلًا﴾	تغييرًا
﴿تَحۡوِيلًا﴾	صرفًا ودفعًا
﴿لِيُعۡجِزَهُۥ﴾	يعجز عن إدراكه، ليهرب منه شيء فيعجز عن إدراكه- ليفوته ولا يستطيع اللحاق به



س: ما المراد بقوله: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يخلفون من؟

ج: المراد –والله أعلم-: خلائف لقوم آخرين قد سبقوا ومضوا وهلكوا، قيل: خلائف لقوم عادٍ وثمود، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: ١٤].

(٦١٨) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أمةً بعد أمةٍ وقرنًا بعد قرن.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فمن كفر منكم فإثم كفره وجزاؤه عائدٌ عليه، ووبال كفره عائدٌ على نفسه دون غيره؛ إذ هو المعاقب عليه دون غيره، ولن يضر بكفره إلا نفسه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن استمرار الكافر على كفره يومًا بعد يوم يزيده بغضًا من الله وبُعدًا عن رحمة الله.

وكذا لا يزيده إلا هلاكًا يوم القيامة وخسارة لنفسه وعذابًا. وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ يقول تعالى: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدًا من رحمة الله ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا

خَسَارًا﴾ يقول: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحَسُن عمله، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة، وزاد أجره وأحبه خالقه وبارؤه رب العالمين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أُخرى، قل لهم أرأيتم أوثانكم هذه التي جعلتموها شريكة لله ودعوتموها من دون الله انظروا إليها وفكِّروا واعتبروا، هل خلقت شيئًا في الأرض، أم هل هي شريكة لله في سمواته، سلهم يا رسول الله عن ذلك فلن يجدوا جوابًا.

كذا سلهم هل أنزل الله إليهم كتابًا من عنده يأمرهم بالشرك بالله فهم لهذا الكتاب متبعون وبه مقتدون، كلا بل هي أماني كاذبة وغشٌّ وخداع يخدع به المستكبرون أهل الاستضعاف ويغشونهم، وكذا يخدع أهل الظلم عمومًا بعضهم بعضًا، يقولون: ستشفع لكم تلك الأصنام إذا عبدتموها.

يقولون: إنها تقربكم من الله زلفى!

هكذا يخدع بعضهم بعضًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أيها القوم ﴿شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السماوات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئًا ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابًا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بينة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لا شيء والله خلقوا منها ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لا والله ما لهم فيها شرك ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: أم آتيناهم كتابًا فهو يأمرهم أن يشركوا.

وقوله: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ وذلك قول بعضهم لبعض: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] خداعًا من بعضهم لبعض وغرورًا، وإنما تزلفهم آلهتهم من النار، وتقصيهم من الله ورحمته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير.

وقوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي: أم أنزلنا عليهم كتابًا بما

يقولون من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك، ﴿بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.



لا يسقط نجم على نجم إلا بإذن الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إن الله ﷻ يمسك السموات والأرض ويحفظهما من أن تنتقلا عن أماكنهما ولئن قدَّر عليهما فانتقلتا عن أماكنهما فلن يستطيع أحدٌ أن يمنعهما ولن يستطيع أحدٌ أن يمسكهما ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ بعباده إذ لم يعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿غَفُورٗا﴾ كثير المغفرة لمن تاب إليه وأناب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ لئلا تزولا من أماكنهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ يقول: ولو زالتا ﴿إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ يقول: ما أمسكهما أحد سواه. ووضعت «لئن» في قوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ في موضع «لو» لأنهما يجابان بجواب واحد، فيتشابهان في المعنى، ونظير ذلك قوله: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ [الروم: ٥١] بمعنى: ولو أرسلنا ريحًا، وكما قال: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١٤٥] بمعنى: لو أتيت. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي وائل: قال: جاء رجل إلى عبد الله

فقال: من أين جئت ؟ قال: من الشأم. قال: من لَقيتَ؟ قال: لقيتُ كعبًا. فقال: ما حدثك كعب ؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك. قال: فصدقته أو كذبته ؟ قال: ما صدقته ولا كذبته. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، وكذب كعب، إن الله يقول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان حليمًا عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفورًا لذنوب من تاب منهم، وأناب إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥] ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعْجَل، ويستر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾.



(٦٢٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم–: أن مشركي مكة، كانوا قبل مبعث النبي ﷺ يقسمون ويجتهدون في الأيمان، ويغلظونها أشد التغليظ أن لو جاءهم نذير من عند الله (يعنون رسولًا من عند الله،وكتابًا من عند الله) ليكونن أفضل وأحسن حظًّا وأحسن استقامة ورشادًا من اليهود ومن النصارى كما في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

أي: فلما جاءهم النذير من عند الله، وهو رسول الله محمد ﷺ، ما زادهم مجيؤه إلا بعدًا وهربًا ونفورًا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم، يقول: أشد الإيمان فبالغوا فيها، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يقول: ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني بالنذير محمد ﷺ، يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ يقول: ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق، إلا نفورًا وهربًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، قبل إرسال الرسول إليهم: ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِ﴾ أي: من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل. قاله الضحاك وغيره، كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٦، ١٥٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ١٧٠﴾ [الصافات: ١٦٧-١٧٠]

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ -وهو: محمد ﷺ- بما أنزل معه من الكتاب العظيم، وهو القرآن المبين، ﴿مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾، أي: ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمدًا ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل اسمه ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ أي نبي ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِ﴾ يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من أنفسهم نفروا عنه ولم يؤمنوا به.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن أهل الشرك لما جاءهم نذير نفروا أشد النفور وامتنعوا عن الإيمان أشد الامتناع كبرًا وتعاليًا على الحق، فـ(**الكبر بطر الحق وغمط الناس**) كما قال النبي ﷺ فنفروا كبرًا وتعاليًا وجحدًا له، ومكروا المكر السيئ، واقترفوا السوء وأضلُّوا العباد فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وسعوا في غش العباد وتضليلهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، أي ولا يحل إثم المكر السيئ إلا بأهله، فهذا المكر الذي مكروه بشركهم، وتضليلهم العباد، عقوبته حالة بهم نازلة بهم.

فماذا عساهم أن ينتظروا حتى يؤمنوا؟

هل ينتظرون إلا مثل ما حلَّ بالأولين الذين سبقوهم من العقوبات، فعندها لن ينتفعوا بإيمان إن هم آمنوا، وسيحل بهم نحو من الذي حلَّ بمن كانوا قبلهم، فلن تجد لسنة الله تغييرًا، ولن تجد لعذاب الله تحويلًا.

فلن تتغير سنة الله وطريقته في أهل الظلم فإنه ﷻ يهلكهم ويعاقبهم، وإن تنوعت صور العقوبات.

ولن تجد أحدًا يستطيع أن يحول عنهم العذاب إذا نزل بهم وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: نفروا استكبارًا في الأرض وخدعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به. والمكر هاهنا: هو الشرك.

(٦٢٦) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ وهو الشرك.

قال الطبري: وأضيف المكر إلى السيئ، والسيئ من نعت المكر كما قيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥].

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ يقول: ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله، يعني بالذين يمكرونه، وإنما عني أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم.

وقوله: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: عقوبة الأولين ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ يقول: فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرًا.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلًا يقول: لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنه لا مرد لقضائه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿ٱسۡتِكۡبَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله، ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ أي: ومكروا بالناس في صدِّهم إياهم عن سبيل الله، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

وقوله: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي

جارية كذلك في كل مكذب، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ أي: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الرعد: ١١]، ولا يكشف ذلك عنهم، ويحوله عنهم أحد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ أي إنما يتنظرون العذاب الذي نزل بالكفار الأولين ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ أي: أجرى الله العذاب على الكفار ويجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه لا يقدر أحد أن يبدل ذلك ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن وقد مضى في (آل عمران) وأضافها إلى الله عز و جل وقال في موضع آخر: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ﴾[الإسراء: ٧٧] فأضاف إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين وهو كالأجل تارة يضاف إلى الله وتارة إلى القوم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ [النحل: ٦١].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء القوم المكذبين سيروا في الأرض فانظروا إلى آثار الذين كذبوا من قبلكم، فقد كانوا أكثر منكم قوة وأشد منكم بطشًا، ثم ها هي بيوتهم خاوية لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا، انظروا كيف أن الله ﷻ انتقم منهم وشتت شملهم وفرّق جمعهم وأبادهم وأفناهم، وما كان منهم من أحد يستطيع الفرار من قدر الله ولا من أمر الله ولا

من عقاب الله، وما كان من شيء يعجز الله ويفوته هربًا وفرارًا، فلا ملك، ولا إنس ولا جن، ولا دابة ولا طائر ولا يحتان، ولا أي شيء يستطيع أن يهرب من الله ﷻ ويُعجز الله ﷻ بل الله ﷻ عليم بكل شيء، قديرٌ على كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يَسِرْ يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الأمم التي كانوا يمرون بها، ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلًا لمن بعدهم، فيتعظوا بهم وينزجروا عمَّا هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدًا، فيسبقونا هربًا في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليمًا بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آيب، قديرا على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل؟ كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فَخُلِيَتْ منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النَّعَم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدَد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء، لما جاء أمر ربك؛ لأنه تعالى لا يعجزه شيء، إذا أراد كونه في السموات والأرض ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بين السنة التي ذكرها أي: أولم يروا ما أنزلنا بعاد وثمود وبمدين وأمثالهم لما كذبوا الرسل فتدبروا ذلك بنظرهم إلى مساكنهم ودورهم وبما سمعوا على التواتر بما حلَّ بهم أفليس فيه عِبرة وبيان لهم ليسوا خيرًا من أولئك ولا أقوى بل كان أولئك أقوى دليله قوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: إذا أراد إنزال عذاب بقوم لم يعجزه ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: ولو يؤاخذ الله ﷻ الناس بما اقترفوه من الذنوب والآثام ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدبُّ عليها من إنس ولا

جنٌّ، ولا أنعام ولا أي شيء يدبُّ على الأرض، ولكن يؤخر عقابهم إلى أجل قد سماه الله وعيَّن وحده، وهو يوم القيامة، وقيل: إلى يوم مماتهم، فإذا جاء الأجل الذي حدَّده الله فالله ﷻ كان ولا يزال بصيرًا بعباده، وبصيرًا بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وسيجازيهم على ما اقترفوه واكتسبوه، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ يقول: ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ إلا ما حمل نوح في السفينة.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيرًا من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعًا، ومن كان فيها به مشركًا، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: لو آخذهم بجميع ذنوبهم، لأهلك جميع أهل الأرض، وما

يملكونه من دواب وأرزاق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: كاد الجَعْلُ أن يعذب في جُحْره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[1].

وقال سعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّيّ في قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: لما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ولكن يُنْظِرهُم إلى يوم القيامة، فيحاسبهم يومئذٍ، ويوفي كلَّ عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهلَ الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾.



س: هل يستفاد من الآية الكريمة أن الله ﷻ لو آخذ كل شخص بذنوبه لأهلكه؟

ج: الظاهر – والله أعلم –: أن الله ﷻ لو آخذ الناس ومن على الأرض بذنوب بعضهم لكانت ذنوب بعضهم كفيلة بإهلاك كل من على الأرض، أما هل لو آخذ الله كل شخص بذنبه لأهلكه؟ فهذا يعكر عليه أن الأنبياء وأهل الصلاح حسناتهم تزيد على سيئاتهم، والله أعلم.

تم بحمد الله

تفسير سورة فاطر

---

(١) وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦٣٢) أحمر
أسود